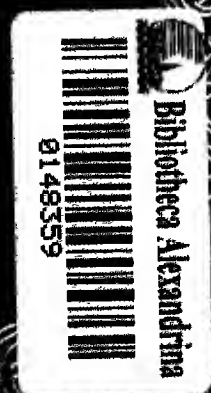


نور الحقيفة ونور الحكاية
في سيرة الأجداد

لشيخ الدين
الحسين بن عبد المستند ساري البعلاني المالكي
ولد سنة ١٠٩٠ هـ
ولد الشيخ البعلاني

في سنة ١١٩٠ هـ

مكتبة
الشيخ عبد المستند ساري البعلاني
في سنة ١٢٩٠ هـ



نور الحقيقة ونور الحرية
شعير حنا

نُورُ الْحَقِيقَةِ وَنُورُ الْحَدِيثِ فِي غُلَّةِ الْأَخْلَافِ

للشيخ عز الدين
الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي
٩١٥ هـ - ٩٨٥ هـ
والد الشيخ البهائي

محقّقه
محمّد جمال الحسيني الجاللي

مَنْشُورَات
مُؤَسَّسَةُ النُّورِ لِلْمَطْبُوعَاتِ
بَیروت - لَبْنان

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الثانية

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مؤسسة النور للطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة ص.ب - ١١/٨٦٤٥

المؤلف والكتاب

بقلم

مجتبى حسين الحسيني الجلالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤلف هذا الكتاب من أشهر علماء جبل عامل الذين واصلوا نشر العلوم الإسلامية في كافة الاقطار التي رحلوا اليها .

وهو الشيخ الحسين بن عبد الصمد بن محمد الحارثي الهمداني الجبعي العاملي المولود عام ٩١٨ هجرية والمتوفى سنة ٩٨٥ هجرية . ونسبه ينتهي الى الحارث الهمداني المعروف .

لازم المؤلف شيخه الشهيد الثاني [ت / ٩٦٥ هـ] في الحضر والسفر وارتحل الى مختلف البلاد الإسلامية في سبيل نشر الحديث النبوي الشريف منها حلب الشام وخراسان وهرات ومكة، واستوطن آواخر أيامه في البحرين حتى وافاه الاجل المحتوم في سنة ٩٨٥ هـ .

لقد أشادت كتب التراجم بالمؤلف ومكانته السامية في العلم والورع ومما

ذكره فيه استاذة - الذي هو أعرف به - الشيخ الشهيد الثاني ، مانصه :
«الشيخ العالم الاوحد ، ذو النفس الطاهرة الزكية ، والهمة الباهرة العلية
والاخلاق الزاهرة الانسية ، عضد الاسلام والمسلمين عز الدنيا والدين ...»
[لؤلؤة البحرين للبحراني ص ٢٤]

وقال فيه الشيخ الحر العاملي [ت/ ١١٠٤ هـ] :
«كان عالماً ماهراً محققاً مدققاً متبحراً جامعاً أديباً منشئاً شاعراً عظيم الشأن
جليل القدر ثقة ثقة من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني ...»

[أمل الامل ج ١/ ٧٤ طبع النجف سنة ١٣٨٥ هـ]
ونقل المحدث النوري عن الافندي في كتابه الرياض قوله :
« ... توجه الى حضرته الطلبة ، بل العلماء والفقهاء ، من الاطراف
والاكفاف ، من أهل ايران وتوران ، لاجل مقابلة الحديث ، وأخذ العلوم
الدينية ، وتحقيق المعارف الشرعية» .

ثم توجه هذا الشيخ من هراة الى قزوین ، لادراك خدمة السلطان المذكور
(طهاسب) ثانياً ، واسترخص من السلطان لزيارة بيت الله الحرام لنفسه
ولولده الشيخ البهائي ، فرخص هذا الشيخ لزيارة البيت ولم يرخص ولده ...»
[مستدرك الوسائل ج ٣/ ٤٢١]

ومن هذا النص يظهر انهما كانا كارهين لشيخوخة الاسلام ، تلك فتخلص
منها الاب دون ولده .

ولما بلغ وفاته الشيخ البهائي رثاه بقصيدة منها :

يا جيرة هجروا واستوطنوا هجرا	واها لقلب المعنسى منكم واها
يا ناوياً بالمصلى من قرى هجر	كسيت من حبل الرضوان ابهاها
أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت	ثلاثة كن أمثالا وأشباهها

وتربته اليوم واضحة المعالم في شمالي المسجد في المقبرة المعروفة
بمقبرة الشيخ راشد .
[أنوار البدرين ص ٤٦ ط النجف سنة ١٣٧١ هـ] .

آثاره:

له من المؤلفات :

- ١ - ثقة أهل الايمان في قبلة عراق العجم وخراسان .
- ٢ - حاشية على الارشاد (في الفقه) .
- ٣ - شرح ألفية الشهيد (في الفقه) .
- ٤ - العقد الحسيني (في الفقه) .
- ٥ - مناظراته ، (توجد نسخة منها في مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم في النجف الاشرف وهي في العقائد) .
- ٦ - وصول الاختيار الى أصول الاخبار .

(وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في ايران عام ١٣٠٦ هـ
و توجد منه نسخة مقروءة على المؤلف في آخرها قراءة بخط
المؤلف مؤرخه ليلة السبت عاشر شهر جمادي الاخر سنة تسع
وستين وتسعمئة وهذه النسخة في مكتبة السيد محمد المشكاة
ب طهران برقم ١٠٤٤ و عندي منها نسخة مصورة ذكرتها في
الصيانة) .

٧ - هذا الكتاب المسمى نور الحقيقة ونور الحقيقة .

النسخة الوحيدة من هذا الكتاب التي هي بخط المؤلف كانت
في مدينة كربلاء ثم انتقلت منها الى ايرلندا ولا تزال محفوظة بها في

مكتبة جستريني، تحت رقم، ام . اس - ٣٨٢٠ .
وأما تاريخ انتقالها وكيفية فلا يزال مجهولاً ، ومن المرجح ان النسخة
نقلت بعد وفاة مالكة الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف (شيخ العراقيين)
والمتوفى سنة ١٢٨٦ هـ .
وكانت مكتبة شيخ العراقيين في كربلاء من عيون المكتبات ، وصفها شيخنا
العلامة بقوله :

«مكتبة عظيمة فيها كثير من نفائس المخطوطات ونوادير الكتب والاسفار
المهمة القيمة وكان الكثير منها بخطوط المؤلفين ومنحصرأ بالفرد وقد وقفنا
على عدد لا بأس به من مخطوطاتها ففهرسناه ووزعناه على أبواب الذريعة ، وتلفت
المكتبة» . [البررة الكرام ج ٢ / ٧١٥]

وكان من حسن الصدف أن شيخنا العلامة قد وقف على النسخة ووصفها
في الذريعة وصفاً يرفع اللبس لذلك نورد كلامه دام ظله بطوله . قال دام
ظله :

نور الحقيقة ونور الحقيقة في الاخلاق لعزالدين الحسين بن عبد الصمد
الحارثي^(١) والد الشيخ البهائي ، أوله :

(الحمد لله الذي خلق العقل بكمال قدرته ، وجعله مستنداً لعلم ما يكتمل به
النفس الناطقة بلطف حكمته وأرشدها (به)^(٢) الى وجوه المعاش ...)
وفي آخره: (فرغ من مشقة مشقه مؤلفه الفقير رحمة ربه (الغني)^(٣) حسين

(١) في النسخة المطبوعة من الذريعة أضيف هنا ما يلي : (٩ / ٢٤٩) وصاحب
الاجازات ١ / ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢، ٣) لم يذكر العلامة الشيخ آغا بزرك هاتين الكلمتين وإنما أضفناهما لوجودهما
في النسخة الخطية (المحقق) .

ابن عبد الصمد الحارثي . ثلاث خلت من شهر رمضان سنة ٩٤٥ .

وفي أوله فهرس أبوابه الاثنى والعشرين .

١ - العقل ، ٢ - العلم ، ٣ - الكتابة ، ٤ - الالغاز ، ٥ - الدنيا ، ٦ - أدب النفس ، ٧ - الكلام ، ٨ - الصدق والكذب ، ٩ - الخير والشر ، ١٠ - الاستشارة ، ١١ - الكبر ، ١٢ - الحلم ، ١٣ - الصبر ، ١٤ - السخاء والشح ، ١٥ - حسن الخلق ، ١٦ - الحياء ، ١٧ - المصاحبة ، ١٨ - المزاح ، ١٩ - الحسد ، ٢٠ - باب الطيرة ، ٢١ - باب الامل ، ٢٢ - باب الموت والقبير ، وهو خاتمة الكتاب .

رأيت النسخة قديماً بخط المؤلف ^(١) في مكتبة الطهراني بکربلاء وقد كتب على النسخة تقریضات للادباء بخطوطهم :

منها تقریض تقي الدين بن علاء الدين بن تقي بن عبد الصمد من أحفاد المصنف ^(٢) وهي رباعية :

هذا الكتاب قد حوى نكتاً وأقوالاً دقيقة

نور الحقيقة اسمه لكنه عين الحقيقة

ومنها رباعيتان للحسن الفتال النجفي ، احديهما في أول الكتاب :

تأمل بما فيه جميعاً فانه تروق معانيه لدى القلب واللب

تضمن آداباً حسناً وحكمة ومنها قد استولى على القلب واللب

والاخرى بخطه على آخر الكتاب :

طالعتيه مستوعباً فوجدته جم الفوائد زينة لمجالس

كم نكتة ونصيحة قد ضمها و لطيفه هي نزهة لمجالس

وكتب منصور بن علي عقيل الحسيني الخادم رباعية هي :
 كتاب حوى فضلا وعلماً وسؤدداً ونظماً وإيقاظاً وعقلاً وأفكاراً
 قلله در* السالكين طريقه ففسي طرقه حور حسان وأبكارا
 وغير ذلك ، وعليه تملك درويش محمد العيفاوي النجفي ثم تملك ولده
 ابراهيم بخطيهما والاسف خلو الخطوط عن التاريخ) .
 (الذريعة/ حرف النون/ مخطوط) (*) .

مصادر الكتاب :

ولم يذكر المؤلف (ره) في مصادر كتابه هذا سوى كتابين هما :
 اولاً : البيان والتبيين : لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى
 سنة ٢٥٥هـ وقد ذكر هذا المصدر في مورد واحد فقط واليك نص كلامه مع
 بيان مواضع الاختلاف في النسخة المطبوعة من البيان و التبيين قال في ص
 ٢٨٢ مانصه :

قال الجاحظ في كتاب البيان : وجد مكتوباً على حجر^(١) يا^(٢) ابن آدم
 لو^(٣) رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك ،
 ولرغبت في الزيادة من^(٤) عملك ، ولقصرت من حرصك وحيلك^(٥) ، وانما
 يلقاك بغتة^(٦) ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ، وتبرأ منك
 القريب ، وانصرف عنك الحبيب^(٧) .

وقد جاء هذا النص في النسخة المطبوعة بمصر عام ١٣٣٢ هجرية من

(*) قد طبع هذا الجزء أخيراً ، والنص المذكور هو في الجزء ٢٤ ص ٣٦٧
 — ٣٦٨ (المحقق) .

البيان الجزء ٣ الصفحة ٨٤ وفيها من اختلاف النسخة ما يأتي :

- (١) في حجر مكتوب .
 - (٢) ليس فيها حرف الداء (*).
 - (٣) لو أنك رأيت .
 - (٤) في عملك .
 - (٥) من حرصك .
 - (٦) وانما بقلبك غداً ندمك لو قد زلت .
 - (٧) فيها هذه الزيادة : فلأنت الى أهلِكَ بعائد ولا في عملك بزائد .
- ثانياً : كتاب منشور الحكم :

ينقل عنه المؤلف في موارد عديدة كالآتي: ٣٨، ١٠٠، ١٥١، ١٥٤، ١٨١، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٤٣، ٢٦٥، ٢٦٦ .
ولم أقف على نسخة من الكتاب ولا على مؤلفه وانما أورده الحاجي خليفة في كشف الظنون ووصفه بقوله :

منشور الحكم مختصر على ثمانية أبواب في الكلمات الحكمية :
الاول : في العلم والعقل ، الثاني : في الزهد والعبادة .
الثالث : في أدب اللسان . الرابع : في أدب النفس .
الخامس : في مكارم الاخلاق ، السادس : في حسن السيرة .
السابع : في حسن السياسة ، الثامن : في حسن البلاغة .

(كشف الظنون : ١٨٥٨/٢)

ولم يذكر المصنف غير هذين المصدرين مصدراً آخر في كتابه، ويظهر من الجملة التالية، أنه ألف كتابه هذا مع قلة المصادر حيث قال في ص ٧٩ ما نصه :
وربما استنقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع

(*) وفي النسخة المطبوعة عام ١٣٦٨ هـ ج ٣ ص ١٦٦ وردت مع حرف النداء (المحقق)

الى الكتب عند الحاجة فلا يكون الا كمن أطلق مصادره ثقة بالقدرة عليه بعد الاطلاق ، فلا يعقبه التفريط الا ندماً وهذا كما ابتلينا به زماناً طويلاً ...
وهذا كلام جوهري لا يصل الى غوره الا من ابتلى بما ابتلي به (قدس الله روحه الطاهرة) .

والغالب على أسلوبه سرد كلمات المحكمة منسوبة الى قائلها، والابيات والمقطوعات الشعرية الى ناظميها .

والغالب على أسلوبه أيضاً في صورة الاختلاف في الاراء هو ايرادها مع محاولة الجمع بينها والتوفيق ما أمكن، فهو مثلاً يقول في باب الاستشارة في ص ١٩٧ مانصه :

وذهب اخرون الى ان الاولى افراد كل واحد بالمشورة ليجيل كل واحد منهم فكرته في الرأي طمعا في الحظوة بالصواب ، فان القرائح اذا انفردت استكدها الفكر واذا اجتمعت فوضت فيه .

ولكل من المذهبين وجه ، ولعل كل واحد في محله اللائق به احسن وذلك بحسب اختلاف المستشير والمشيرين على انه اذا امكن افرادهم اولاً ثم جمعهم كان اولى بغير شك» .

ولم يحد المؤلف عن هذا الاسلوب الا بالنسبة الى المعتزلة فانه حمل عليهم قائلاً في الصفحة ١٤٠ مانصه :

«وان خفي شيء من ذلك فلا يخفى ما كان بين المعتزلة - قابلهم الله بما يستحقونه - وبين اهل الحق - رفع الله درجاتهم - من المعاداة والبغض والتعصب والحمية والتشنيع الفضيح الى ان أحق الله الحق بكلماته وابطل دابرهم وخسر هالك المبطلون» .

وعلى النقيض من وصفه للمعتزلة ، تجده يصف الشافعية في الصفحة ٤٤ بقوله : (أمة من اصحابنا الشافعية) .

كلمات الحكمة :

وقد أورد المؤلف كلمات الحكمة عن حكماء من مختلف الأمم والملل على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم وعقائدهم ، فنقل عن أهل التأويل ص ١٢٧ والقرس ص ٢١٦ وبعض أشراف الأشراف ص ٢٥٨ وبعض الحكماء (في مواضع كثيرة) ، وبعض الهاشميين - من دون تعيينه بالاسم - ص ١٧٢

الحكماء قبل الاسلام :

كما نقل عن حكماء كانوا قبل الاسلام وهم : اقليدس : ١٠٩ و اردشير : ١٦٠ ، ٢٢١ ، وبرزجمهر : ٦٦ ، ٧١ ، ١٥١ ، ١٩٨ ، وكسرى : ١٤٨ ، ١٦٦ ، ٢٣١ ، ولقمان : ٦١ ، ٦٥ ، ١١٨ ، ١٩٥ ، وملك الصين : ١٦٦ ، وملك الهند : ١٦٦ ، وقيصر : ١٦٦ ، والاسكندر : ١٣٢ ، ٢١٢ ، ٢٨٣ ، ونقل عن التوراة : ١٤٩ ، ٢١٥ .

الحكماء المسلمون :

واما في العصر الاسلامي فقد نقل احاديث كثيرة عن الرسول الاعظم ﷺ في مطاوي الفصول ، ومرّة واحدة عن جبرائيل ص ٢١٠ واليك ثبناً باسماء حكماء الاسلام حسب القرون وقد ذكرنا الاسماء كاملة مع تاريخ وفياتهم .

١- ابو بكر ص ١٨٤ .

هو عتيق بن ابي قحافة التيمي المتوفى عام ١٣ (الخلافة الاول) .

٢ - ابو عبيدة بن الجراح ص ١٤٠

هو عامر بن عبد الله الفهري المتوفى عام ١٨ هـ

- ٣- عمر بن الخطاب ص ١٣٥ ، ١٤٣ ، ٢٠٨ ، ٢٨١
هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي المتوفى عام ٢٣ هـ (الخليفة الثاني) .
- ٤ - أسماء بنت يزيد ص ١٨٦
هي أسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية، كانت من اخطب نساء العرب توفيت نحو عام ٤٥ هـ .
- ٥ - عبد الله بن مسعود ص ٦٥ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١٣٠ .
هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المتوفى عام ٣٢ هـ .
- ٦ - سلمان الفارسي ص ٢٧٤ . المتوفى سنة ٣٦ هـ .
- ٧ - صهيب بن سنان ص ٢٦٤ .
لعله بن سنان بن مالك المعروف بـ (صهيب الرومي) المتوفى سنة ٣٨ هـ .
- ٨ - علي بن أبي طالب (في مواضع كثيرة من الكتاب) .
هو الامام علي بن أبي طالب المستشهد سنة ٤٠ للهجرة .
- ٩ - ليث بن سعد ص ٢٧١ .
هو بن ربيعة بن مالك العامري المتوفى سنة ٤١ هـ .
- ١٠ - ابن الزبير (ص ١٠٤ ٢٠٩ ٢١٤) .
هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي المتوفى سنة ٧٣ هـ .
- ١١ - الحطيئة (ص ١٧٩) .
هو جرول بن اوس بن مالك العبسي المتوفى نحو سنة ٤٥ هـ .
- ١٢ عدي بن حاتم (ص ١٨٥) .
هو ابو طريف بن حاتم الطائي الجواد المشهور، شهد صفين مع علي بن أبي طالب ومات بعد الستين من الهجرة .

- ١٣ - عقيل (ص ١٧٦) .
- هو ابن عبدمناف (أبي طالب) المتوفى سنة ٦٠ للهجرة .
- ١٤ - قيس بن سعد ص ١٥٤ .
- هو ابن سعد بن عبادة الخزرجي المتوفى سنة ٦٠ للهجرة .
- ١٥ - معاوية (ص ١٧٦ ، ١٧٨) .
- هو ابن صخر (أبي سفيان) الاموي المتوفى سنة ٦٠ للهجرة .
- ١٦ - ابن عباس (ص ٤٤ ، ٤٨ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٢٦ ، ٢١٨ ، ٢٦٥) .
- هو عبدالله بن عباس الهاشمي المتوفى سنة ٦٨ هـ .
- ١٧ - أبو الاسود الدؤلي ص ١٧٢ ، ١٩٤ .
- هو ظالم بن عمرو المتوفى سنة ٦٩ هـ .
- ١٨ - الاحنف ص ٢١١ .
- هو ابن قيس التميمي من الفصحاء الدهاة، توفي سنة ٧٢ هـ .
- ١٩ - عبدالله بن عمر ص ١٨٠ ، ٢٧٤ .
- هو: ابن عمر بن الخطاب العدوي (ال خليفة الثاني) ، توفي سنة ٧٣ هـ .
- ٢٠ - عبدالله بن جعفر ص ٢٤٢ .
- هو ابن أبي طالب - عبدمناف - الهاشمي، المتوفى سنة ٨٠ هـ .
- ٢١ - الربيع ص ٢٨٤ .
- الظاهر انه بن خثيم بن عائد بن عبدالله بن موهبة بن منقذ الثوري، أبويزيد الكوفي الذي قال عنه ابن جبان مانعه :
- «أخباره في الزهد والعبادة أشهر من ان يحتاج الى اغراق، ذكره العسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٢٣، وقد توفي عام ٨١ هـ» .

- ٢٢ - المهلب ص ٢٠٣ .
- هو ابن ابي صفرة، ظالم بن سراق الازدي، المتوفى سنة ٨٨٣ هـ .
- ٢٣ - سعيد بن المسيب ص ١٢١ .
- هو بن حزن بن أبي وهب المخزومي ، المتوفى سنة ٩٤ هـ .
- ٢٤ - عمر بن عبد العزيز ص ٥٧، ١١٩، ١٥٢، ٢١٦، ٢٦٢، ٢٨١ .
- هو ابن مروان بن الحكم الاموي، المتوفى سنة ١٠١ هـ .
- ٢٥ - مجاهد ص ١١٠، ١٢٣، ١٣٤، ١٥٠، ١٥٣ .
- هو ابن جبر أبو الحجاج المخزومي، المتوفى سنة ١٠٤ هـ .
- ٢٦ - عكرمة ص ٤٨، ١٤٧، ٢١٥ .
- هو بن عبد الله البربري المدني المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
- ٢٧ - الحسن ص ٥٦، ١٥٢، ١٩٢ .
- الظاهر انه الحسن البصري بن يسار (أبو سعيد) المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- ٢٨ - ابن سيرين ص ١٨٤، ١٨٥ .
- هو ابن محمد الانصاري المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- ٢٩ - محمد بن علي ص ٢٠٥ .
- هو الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) المتوفى سنة ١١٤ هـ .
- ٣٠ - قتادة ص ١٥٠، ١٩٢ .
- هو ابن دعامة بن قتادة المتوفى سنة ١١٨ هـ .
- ٣١ - محمد بن واسع ص ١٢٢ .
- هو بن جابر الازدي المتوفى سنة ١٢٣ هـ .
- ٣٢ - ابن المقفع ص ١٠٩، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٥٤ .
- هو روزبه المعروف بعبد الله المتوفى سنة ١٤٢ هـ .

- ٣٣ - مقاتل ص ١٢٧ .
- هو ابن سليمان بن بشير الأزدي المتوفى سنة ٩٥٠ هـ .
- ٣٤ - محمد بن مروان ص ١٣٤ .
- هو ابن الحكم الأموي المتوفى سنة ١٠١ هـ .
- ٣٥ - الأوزاعي ص ٧٤، ١٥٠ .
- هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى المتوفى سنة ١٥٧ هـ .
- ٣٦ - صالح بن عبد القدوس ص ٢٨٣ .
- هو ابن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي المتوفى نحو سنة ١٦٠ هـ .
- ٣٧ - سفيان الثوري: ص ١٠٢، ١١٢، ١٢٧، ١٣١ .
- هو أبو عبد الله بن سعيد بن مسروق المتوفى سنة ١٦١ هـ .
- ٣٨ - أبو زياد ص ١٥٤ .
- الظاهر ان المراد به هو الكلابي اللغوي يزيد بن عبد الله بن الحارث بن همام بن دهر بن ربيعة الذي توفي في زمن المهدي العباسي نحو ١٦٨ هـ في بغداد .
- قال عنه الخطيب: ان له شعراً كثيراً .
- وقال علي بن حمزة البصري في كتاب التنبيه على اغلاط الرواة ما نصه :
- (انما بدأت بنوادر أبي زياد لشرف قدرها ونباهة مصنفها .)
- ٣٩ - المنصور ص ٢١٤ .
- هو الخليفة العباسي عبد الله بن محمد (أبو جعفر) المتوفى سنة ١٦٨ هـ .
- ٤٠ - الخليل بن أحمد ص ٩٦، ٩٨ .
- هو ابن أحمد بن عمرو القراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ .

- ٤١ - بشر بن منصور ص ٢٨١ .
- لعله أبو محمد البصري السلمي المتوفى سنة ١٨٠ هـ .
- ٤٢ - عبد الحميد ص ١٥٥ ، ٢٤٣ ، ٢٦٩ .
- هو أبو غالب بن يحيى بن سعد الكاتب العامري من أئمة الكتاب توفي سنة ١٣٢ هـ .
- ٤٣ - عبد الله بن المبارك ص ١٠٢ .
- هو ابن المبارك بن واضح المروزي المتوفى سنة ١٨١ هـ .
- ٤٤ - جعفر بن يحيى ص ١٠٩ .
- هو بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد المتوفى سنة ١٨٦ هـ .
- ٤٥ - المؤمل ص ٢٧٣ .
- هو ابن أميل بن أسيد المحاربي المتوفى نحو سنة ١٩٠ هـ .
- ٤٦ - يحيى بن خالد ص ٢٣٨ .
- هو ابن خالد بن برمك الوزير المتوفى سنة ١٩٠ هـ .
- ٤٧ - الرشيد ص ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٣ ، ٢٢٢ ، ٢٨١ .
- هو هارون بن محمد بن المنصور العباسي المتوفى سنة ١٩٣ هـ .
- ٤٨ - الفضل بن سهل ص ٢٠٨ .
- هو السرخسي أبو العباس وزير المأمون المتوفى سنة ٢٠٢ هـ .
- ٤٩ - الشافعي ص ٢٠٣ ، ١٥٦ ، ٢٤٢ .
- هو محمد بن إدريس أبو عبد الله المتوفى سنة ٢٠٤ هـ .
- ٥٠ - الفضل بن الربيع ص ١٧٣ .
- هو أبو العباس ابن يونس وزير المأمون المتوفى سنة ٢٠٨ هـ .
- ٥١ - محمد بن بشير ص ٢٢١ ، ٢٧٧ .

- هو أبو جعفر الرياشي البصري المتوفى سنة ٢١٠ هـ .
- ٥٢ - أبو العتاهية ص ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ٢٧٩ .
- هو اسماعيل بن قاسم بن سويد المتوفى سنة ٢١١ هـ .
- ٥٣ - سهل بن هارون ص ٢٤١ .
- هو بن هارون بن داهون أبو عمر المتوفى سنة ٢١٥ هـ .
- ٥٤ - الاصمعي ص ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ .
- هو عبد الملك بن قريب بن علي البصري المتوفى سنة ٢١٦ هـ .
- ٥٥ - المأمون ص ١٤٨ ، ١٧٧ ، ٢٥٤ .
- هو عبدالله بن هارون الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢١٨ هـ .
- ٥٦ - عبدالله بن طاهر ص ١٩١ .
- له ابن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .
- ٥٧ - أبو تمام ص ٢٥٦ ، ٢٦٨ .
- هو حبيب بن أوس بن الحارث المتوفى سنة ٢٣١ هـ .
- ٥٨ - الحسن بن سهل ص ٢٣٤ .
- هو ابن عبدالله السرخسي وزير المأمون المتوفى سنة ٢٣٦ هـ .
- ٥٩ - يحيى بن أكثم ص ٢٦٤ .
- هو ابن محمد المروزي المتوفى سنة ٢٤٢ هـ .
- ٦٠ - المتوكل ص ١٧٧ ، ١٧٨ .
- هو جعفر بن محمد العباسي المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .
- ٦١ - الجاحظ ص ١٦٣ ، ٢٨٢ .
- هو عمرو بن بحر البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هـ .
- ٦٢ - الرياشي ص ١٤٥ .

- هو العباس بن الفرج البصري المتوفى سنة ٢٥٧ هـ .
- ٦٣ - ابن الرومي ص ٢٢٢ .
- هو علي بن العباس بن جريج البغدادي المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ،
- ٦٤ - أبو العيلاء ص ١٧٧ ، ١٧٨ .
- هو محمد بن القاسم بن خلاد المتوفى سنة ٢٨٣ هـ .
- ٦٥ - ابن المعتز ٦٧ ، ٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ .
- هو عبدالله بن محمد بن المتوكل المتوفى سنة ٢٩٦ هـ .
- ٦٦ - ابن دريد ص ٢٣٧ .
- هو محمد بن الحسن بن دريد البصري المتوفى سنة ٣٢١ هـ .
- ٦٧ - الفارابي: ص ٦٥ .
- هو أبونصر محمد بن محمد بن اوزغ المتوفى سنة ٣٣٩ هـ .
- ٦٨ - المتنبي (ابو الطيب) ص ٧٧ ، ١٢٦ ، ٢٢٩ -
- هو أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .
- ٦٩ - ابراهيم بن هلال الكاتب ص ٢٢٣ .
- هو ابن هلال بن ابراهيم الصابي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ .

القرن الخامس .

- ٧٠ - أبو الفتح البستي ص ١٦٩ ، ٢٦٣ .
- هو علي بن محمد البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .
- ٧١ - ابن البواب ص ١٠٩ .
- هو علي بن هلال البغدادي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ .
- ٧٢ - عمر بن علي ص ٢١٢ .

- الظاهر ان المراد به أبو حفص المطوعي النيسابوري المتوفى نحو ٥٤٤ هـ .
 له شعر رقيق عارض بتيمة الدهر للثعالبي .
 هذا ولم يذكر من القرنين السادس والسابع احداً .
 وذكر من القرن الثامن واحداً وكذلك من التاسع وهما :
 ٧٣ - محمود الوراق ص ١٥٦ .
 محمد بن حقي بن محمد الوراق المتوفى حدود سنة ٧٩٨ هـ .
 ٧٤ - البسطامي ص ١٢١ .
 والظاهر ان المراد به عبدالرحمان بن محمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٨ هـ .
 وفي الصفحة ١٠٨ نقل عن مسعدة ، والظاهر ان المراد به : مسعدة بن
 المبارك، الذي ورد ذكره مرة واحدة في كتاب البيان للجاحظ . - في آخر
 الكتاب، باب حكمة كلام النوكي - والحكمة التي نقلها الجاحظ عنه هي قوله:
 الاقلام مطايا الفطن .
 وهي تدل على علو كعب قائلها .
 وبهذا المقدار نكتفي من التعريف بالمؤلف والمؤلف . وأما التفصيل عن
 تخريج الاحاديث والحكم والاشعار والابيات وتراجم أصحابها فموكول
 الى التعليقات بالتسلسل^(١) .
 وكان الله في عون كل مخلص أمين .

محمد حسين الجلالى

(١) نود أن نذكر للقراء الاعزاء : أن تلك التعليقات فقدت بنوائب الدهر وغير
 الزمان التي دارت به . ادام الله ظله .
 وقد قمنا بتسجيل تخريجات النصوص والاشعار أثناء تحقيقنا للكتاب ، ولكننا لم
 نثبتها في هذه الطبعة . على أمل ان نعيد طبع الكتاب مع التخرجات ، اضافة الى
 تعليقات العلامة المحقق، اذا يسر الله وجودها، ان شاء الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا يصل الانسان الى الكمال الا بالتزكية والتربية الخلقية فبقدر مايكتسب من مكارم الاخلاق ومحاسنها يكون حائزاً على الكمال والشرف .

فالاخلاق هي التي تبني شخصية الانسان وهي التي تشكل البعد الاخر والاساسي لوجوده وتضفي عليه الجمال والبهاء .

وما الانسان - لولا الاخلاق - الا كالبهيمة السائمة أو الوحش الضاري بل قد ترتفع قدر البهائم عنه - لو عدم هذه الفضيلة - فيكون كما قال تعالى : «أولئك كالانعام بل هم أضل»^(١) .

وهذا هو الواقع، فان البهيمة ان كانت تكتفى بمايسد رمقها فان الانسان - الذي ينسلخ من الاخلاق - لن يرتوي باراقة الدماء وقتل الابرياء ابدأ، بل يظل يمارس القتل والفساد حتى يعجز بالموت .

والنماذج لهذا - في عصرنا الحاضر - عديدة: فسوموزا، وماركوس ، وكارمل، وبيكن ، وصادام، وهيلاسيلاسي . . جاوزوا بارهابهم وسفكهم للدماء

(١) سورة الاعراف: ١٢٩/٧ .

الزكية، وقصفهم المدن الالهة بالسكان العزل، كل النصورات ..
ومن يتابع حياة هؤلاء يجد انهم لم يدعوا مأثماً وجريمة الا ارتكبوها
وان مالم يفعلوه ، فلم يكن لزهده فيه ، بل لعدم مقدرتهم عليه .
ومن هنا فان جميع رسالات السماء جاءت لتحفظ الانسان في مسير
التكامل وتمنعه من الانحراف والانزلاق في مزالق الهوى والشذوذ .
والاسلام - كخاتمة لشرائع السماء - جاء ليتابع هذا الموضوع بجدية
وشمول فقد قال الرسول الاعظم ﷺ : انما بعثت لاتيكم مكارم الاخلاق .
فكم من دروس وعظات قدّمها ﷺ لامتته ، وكم من تعاليم ووصايا
اجتماعية حرص على تطبيقها .

وحث ﷺ المسلمين على اتباع أفضل الاساليب في المعاشرة والسلوك
مع بني نوعهم بل مع جميع الموجودات . .

وعلى هذا أيضاً سار الائمة الهداة من آل البيت ﷺ فأكدوا على الالتزام
بشريعة الاسلام من اجل بناء مجتمع أفضل في عالم أفضل ، وأشادوا بالمكانة
السامية (لعلم الاخلاق) في تعديل السلوك ، وتوجيه الغرائز نحو الخير
والسلام .

ولهذا فقد اهتم علماء الاسلام بدراسة هذا العلم والتقوا فيه العديد
من الكتب ، والتي تعد - بحق - فخراً لامتنا في عرض المنهج الصحيح
للحياة ..

وأخذ علماء الاخلاق أساليب مختلفة في عرض هذا العلم الشريف :
فبينما يسلك العلامة ابن مسكويه (٣٢٠ هـ - ٤٢١ هـ) ، المنهج الفلسفي في
تدوين كتابه : (تهذيب الاخلاق ، وتطهير الاعراق) فيعتمد على الادلة العقلية
والبراهين المنطقية، نجد العلامة الغزالي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) ، يعتمد في تأليف

كتابه: (احياء علوم الدين) على الاحاديث النبوية والايات القرآنية في عرض القضايا الاخلاقية ، بعيداً عن الاستدلالات العقلية والبراهين الفلسفية .
والى جانب هذين الاسلوبين في عرض علم الاخلاق يطالعنا مؤلف هذا الكتاب: (الشيخ عز الدين الحسين بن عبد الصمد) باسلوب ثالث يجمع بين عمق الاسلوب الاول وأصالة الاسلوب الثاني، وهو اسلوب عرض الاخلاق على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة متبوعة بالادلة العقلية وأقوال الحكماء والعلماء في ذلك الشأن .

ولعل أهم ما يميز به (نور الحقيقة) من بين كتب الاخلاق الى جانب استيعابه لاهم البحوث الاخلاقية هو : انه يعرض مكارم الاخلاق بابلغ نذب وأوجز كلام ، مما يشد القارئ بالكتاب ويجذبه الى المزيد من القراءة فلا يكاد ينتهي القاريء من تلاوة حكمة الا و يسرغب في قراءة الاخرى ولا ينتهي من فصل الا ويبدأ بآخر .

نسخ الكتاب :

نسخ هذا الكتاب قليلة، ولعل نسخته الكاملة منحصرة بالفرد ، وقد يكون السبب في هذا هو: هجرة الكتاب الى ايرلندا، وعدم وجوده في متناول ايدي علماء الاسلام . وعلى كل حال فقد اعتمدنا في تحقيق نص الكتاب على :

١ - مصورة عن نسخة مكتبة جستربرتي برقم (١ - اس - ٣٨٢٠) وهي النسخة التي رآها العلامة الشيخ اغا بزرك الطهراني في كربلاء ، ووصفها في : كتاب الذريعة ج ٢٤ ص ٣٦٧^(١).

(١) قد مضى وصف الشيخ لهذا الكتاب في ص ٨ - ١٠ .

ولهذه النسخة فهرس وضع في أول الكتاب زهاء صفحتين ونصف الصفحة .

ذكر فيها ابواب الكتاب الاثنتين والعشرين مع ذكر فصولها وعبارة من اول كل فصل .

فمثلاً : في باب العلم نجد الفهرس لفصوله بالشكل الاتي :

(فصل : وما يجب على العلماء ان لا يخلوا ..

فصل : المتعلم ضربان طالب ومستدعى ...

خاتمه : ربما كان لبعض السلاطين رغبة في العلم) .

وفي باب الكتابة : (فصل : قد يعرض للخط ما يمنع من فهمه).

وكتب في اخر الفهرس :

(باب الموت فصل : القبر، وهو خاتمة الكتاب والفصول

اللهم اختتم اعمالنا بالقبول ، وسهل لنا بلوغ المأمول وانظمتنا في سلك

اصحاب العقول انك انت اللطيف الخبير وبالقبول حري " جدير) .

والفهرس بهذا الشكل ان دل على شيء فهو يدل على ان الفهرس قد

وضع بعد الانتهاء من تدوين الكتاب .

وعدد صفحات هذه النسخة ١٨٤ صفحة .

وفي كل صفحة ٢١ سطراً وطول كل سطر ٧ سانتيمترات ونصف.

وليس على هذه النسخة هوامش كثيرة - غير ما كان للسقط الطاريء

أثناء الاستنساخ - الاهامشين كتباً بخط يفاير الخط الذي كتب به المتن ،

وهذا يعني : انهما كتباً بعد كتابة المتن استدراكاً وتعليقاً اضافياً .

وقد اشرنا الى كليهما في الهامش انظر ص ٣٨ وص ٢٥٣ أدرجنا السقط في

المتن من دون اشارة الى موضعه في النسخة .

ولهذه النسخة تعقيبات تدل على اول كلمة في الصفحة المقابلة
وأما التملكات فيمكن قراءة تملك درويش محمد العيفاوي النجفي ثم تملك
ولده ابراهيم بخطيهما .

وهناك تملك اخر لم يتبين لنا اسم المالك الا كلمة الموسوي .
وكتب منصور بن علي عقيل الحسيني عليها انه نظر وطالع في هذا
الكتاب .

وجميع هذه التملكات خالية عن التاريخ ..
ويحتمل قوياً ان لا تكون هذه النسخة هي نسخة الاصل التي كتبها المؤلف
وذلك لما يلي .

اولا : ان رسم الخط الذي كتب به الكتاب هو بعينه الرسم الذي كتب به
احد ابناء عم المؤلف رباعيته :

فيحتمل ان يكون ناسخ النسخة هو: تقي الدين بن علاء الدين بن تقي بن
عبد الصمد، ان لم يكن الناسخ متأخراً عنه أيضاً.

وثانياً ان فهرس مواضيع الكتاب قد وضع في اوله وليس الفهرس على
نحو يحتمل فيه : أن يكون لتذكر المطالب . بل قد ذكر في الفهرس سطرأ
أو نصف سطر من أول كل فصل من فصول الكتاب. وهذه قرينة على ان الكتاب
وجد مكتوباً فبدأ باستنساخ ووضع لفهرس قبل استنساخ الكتاب .
ولو كان المؤلف هو نفسه قد كتب الكتاب لوضع الفهرس آخر الكتاب
كما هو العادة .

وثالثاً كثرة السقط الموجود في هوامش الكتاب، حتى انه احياناً تسقط كلمة
واحدة أو نصف سطر ، أو سطر ، مما لا يكون ذلك من شأن المؤلف عند تأليف

الكتاب .

ثانياً: النسخة التي وقفنا عليها في مكتبة اية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي في قم ضمن المجموعة رقم ٣٩٣ منسوخة عن نسخة اخرى كما ورد في وصف المخطوطة ^(١).

ويحتمل ان تكون النسخة المنقولة عنها هي النسخة الاولى والذي يؤيد هذا الاحتمال ان العبارات الغير واضحة في النسخة الاولى كتبت كما هي في هذه النسخة وايضاً فان موارد السقط مشتركة بين النسختين .

وفهرست مواضيع الكتاب قد وضع في اول الكتاب كالنسخة الاولى .
وقد اثبت على الورقة الاولى من هذه النسخة :

نور الحقيقة ونور الحقيقة معاني بتأليفه وترصيفه أفقر عباد الله تعالى واحوجهم الى رحمة ربه الغني حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني ، أصلح الله شأنه وصانه عما شأنه في حاله ومآله بمحمد وآله ..

وقد كتب السيد المرعشي على الصفحة الاولى من المجموعة :

(في هذه المجموعة كتابان احدهما للشيخ حسين بن عبد الصمد، والاخر كتاب حياة الارواح ومشكاة المصباح ، للشيخ الجليل ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن اسماعيل اللويزاني الجدي، الجبعي الاب الكفعمي «صاحب المصباح» «والبلد الامين» وغيرهما .

والكتابان في غاية الفساسة ولم يطبعوا بعد، وقد أكرمني بهذه النسخة الفاضل الاديب المؤلف الميرزا محمد علي صفوت التبريزي زمن مجاورته بقم المشرفة

(١) فهرست كتابهاى خطى كتابخانه آية الله مرعشى ج ١ ص ٤١٠ ما ترجمته : النسخة المنقولة عنها هذه النسخة كان فيها منقطع ، ولم يكتب مقداراً من أول الكتاب ، والباب السابع عشر، ومقداراً من آخر الكتاب .

حرره العبد شهاب الدين الحسيني المرعشي (١٣٨٠هـ) .
 واما ناسخ الكتاب فهو كماورد في الصفحة الاخيرة من هذه المجموعة: -
 تم تحريره على يد الفقير الحقير المقر بالتقصير أقل عباد الله تراب اقدام
 المؤمنين عين علي بن طهماسب ملا رجاني بتاريخ شهر جمادى الاخر سنة
 تسع وخمسين بعد الالف (١٠٥٩ هـ) .
 هذا وقد كتبت جميع المجموعة بخط واحد ..
 وهذه النسخة ناقصة من الاول بمقدار ثلاث صفحات ومن الاخر بما يقرب
 من نصف الكتاب - كما اشرنا اليه -
 وعدد صفحات هذه النسخة بحسب ترقيم المكتبة ٦١ صفحة مزدوجة .
 وفي كل صفحة ٢١ سطرًا .
 وطول كل سطر ٧ سائمترات ونصف .
 وتبدأ النسخة بقوله: أما الغريزي و ونعني به ماسماه الحكماء عقلا
 بالملكة وجعله الشارع مناط التكليف فليل هو العلم ببعض الضروريات . . .
 وهذا هو في الصفحة (٣٦) من هذا الكتاب .
 وتنتهي بقوله : وليس قولنا ذلك، اغراء بتحكيم الغضب ، بل المراد انه
 اذا صدر ما بغضب أوقع الحلم على احد الوجوه التي .
 وهذه العبارة هي في اواخر الصفحة ١٣٥ من نسخته الاصل، وفي هذا المطبوع
 تكون في الصفحة (٢١٤) .
 ومن الجدير بالذكر ان الناسخ قد تصرف في بعض عبارات التسليم
 والترضية .
 فقير عبارة (عليه السلام) الى (صلى الله عليه وآله) عند ذكر الرسول

الاعظم ﷺ .

وغير عبارة (رضي الله عنه) او (كرم الله وجهه) الى (عليه السلام) عند ذكر الإمام علي عليه السلام .

وحذف عبارة الترضية التي ذكرها المصنف لبعض الصحابة .
واما العبارات المشطوبة عليها في نسخة الاصل فلم يوردها الناسخ رأساً ولم يشر اليها .

وعنوانات هذه النسخة مكتوبة بالاحمر، بينما اصل الكتاب مكتوب بالاسود .
وأما تملكات هذه النسخة .

فاول ما يطلعننا تملك ذوالفقار الرضوي . وتاريخ الختم غير واضح .
وقد استعار الكتاب لعدة أيام، زين الدين حسين الرضوي سنة ١١٥٦ هـ .
ثم انه قد اشتراه من مالكة كما يدل عليه ما كتبه على اخر المجموعة بنفس التاريخ .

وكان آخر من تملكه قبل اهدائه الى مكتبة السيد المرعشي هو محمد علي صفوت . الذي اهداه بدوره الى السيد المرعشي بتاريخ ١٣٢٦/٧/٢٠ هـ .

منهجنا في التحقيق

١ - عمدنا الى تغيير رسم الخط لبعض الكلمات الى ما هو المتداول المعمول به في الوقت الحاضر .

مثل: مساويه ص ٢٠٨ ، أوكد ص ٢٠٩ و ٢١١ ، جبريل ص ٢١٠ مخط
ص ٢٣٨ ، سخاوان ص ٢٣١ ، السائل - الوفا ص ٢٣٨ المصايب ص ٢٧٧
بقاك - فذاك ص ٢٨١ . فقد ابد لنا هذه الكلمات وامثالها الى الرسم المتداول .
٢ - ابدلنا رموز التسليم على الرسول الاعظم ﷺ الى عبارة التسليم وذلك

مشكلة لاكثر الموارد التي ورد التسليم على الرسول ﷺ فيها صريحاً .
واما عبارات الترضية فالواضحة منها اوردت كما هي ، وغير الواضحة
اوردت بالرمز (رضه) .

٣ - وقد سمينا النسخة التي رآها الشيخ اغابزرك الطهراني بـ كـربلاء
بـ (نسخة الاصل) بينما سمينا النسخة التي وقعنا عليها في مكتبة اية الله المرعشي
في مدينة قم بـ (نسخة المرعشي) .

٤ - هذا وقد اعرضنا عن الاخطاء الكثيرة التي كانت في النسخة الثانية بعد
ان تأكدنا من خطئها بمراجعة نسخة الاصل ولم نشر في الهامش الا الى ما
احتملنا صحته .

٥ - لم نورد العبارات المشطوبة عليها في نسخة الاصل خصوصاً وان
النسخة الثانية كانت قد اعرضت عن ايرادها رأساً .

٦ - أما بالنسبة الى مصادر التحقيق فقد راجعنا مصادر كثيرة للنأكد من
صحة ما احتملناه الا انالم نشر الا الى بعضها في هوامش الكتاب .

واخيراً: نظراً لعدم وجود علامات التشكيل في المطبعة لم يمكننا تشكيل
الايات القرآنية ونصوص الاحاديث مع ان نسخة الاصل كانت تحتوي على
موارد مشكولة . على امل ان نعمل الى ذلك في الطبعة القادمة باذن الله .

وفى الختام

وانا اذ اقدم هذا الكتاب القيم الى الامة الاسلامية أسأل الله سبحانه وتعالى
أن يتقبل هذا المجهود بقبول حسن وان ينفع به المسلمين من اجل بناء حياة
افضل وافساح المجال لوعي اسلامي متفتح ينطلق في التقدم والازدهار على
اساس تفهم القرآن الكريم واستيعاب السنة النبوية الشريفة . ويعمل على توفير
الرفاه والسعادة لجميع بني الانسان انه ولي قدير . محمد جواد الجلالى

قم المقدسة : فى رمضان سنة ١٤٠٣ هـ

نور الحقيقة ونور الحداثة في علم الأخلاق

للشيخ عسّ الدّين
الحسين بن عبد الصّمد الحارثي الهمداني العالمي
٩١٥ هـ - ٩٨٥ هـ
والد الشيخ البهائي

محقّه
محمّد حوّا الحسيني الجاللي

بسم الله الرحمن الرحيم
 اكمل الله الذي خلق العقل بكمال قدرته وجعله مستعداً للعلم
 ما تكل به النعمان طم بلطف حكته وارشدها به الى
 وجه المعاش نعمته وندها به الى التجلي بحاشن لادارب
 والكوز على نعدراكا للثب برافته الذي تنهت سطوع
 سلطانها الصاحب والرفيق وتقدس بعظمة عنته
 عز الولد والشفق فمن كفر بالله فكأنما خرم السما
 فتحطم الطير او تحوكت به الرمح في مكان تخفى
 اجنته هذا استدريه بينا تتبع الاية واشكره
 شكر الاستمطره شايب نعمته واشهد لا اله الا الله
 شهادة يتسلم شاهدان من افتحام المهالك ويندم جاهدتها
 عند انتدار المثالك واشهد ان محمدا عبده ورسوله
 الذي اخذ له العهد على موضوعات الوجود تشرقا له
 وتعظيما وجعل نعمته المقدسة حصة جلال قدسه لهرانا
 له وتكرما على لسانه وعلى لسانه بر وسلم تسليما
 افوه عما كتبه الى بعدته العلى
 ١٠٠٠ تغفر له واشكرك
 ما قد

مکمل بود و وجه مکتوب علی قبر قمرنا
ثم قمرنا ثم صرنا لهذا طرز عبر و وجه
علی قبر من اقل العا و قدرای مصارعنا هه
مروث و حیث کان
بلانها ای غفها انا انا قد قطعت الکلام
حامد اسرار شاکر الله علی انعم اکرام
سحاب علی بحر النور والهدی اهل الاموال اعلام
شارب مرکه سعادت ان نفع به المسترشد الطالب
ونکی نبی علی کمال الافان یوم اکرام
شند من فصل الساطع ان یكون نظره
بعین بلا عراض الا تنقصا هه
فلیندر ثوب الشکر و یفتح باب العذر
ولا یجعل من کرم فیما یفهم و تر صیغ قزکتی
و فکر کما و غ عن کما فی فی و وزیر قاری
قد تمت فیه خدی و لکن لیس من هه کما ان
و قد و ایا خب فی کما لیس کما من هه انسان
سما کما یلی و سلی کما ایا لیس لیس
عزله لله و فرغ من شقه شقه مغلفه
مفرقه به لیس حسن بعد لیس کما و
عزله من مغلفه و جعل شهاب
عزله من مغلفه و جعل شهاب
عزله من مغلفه و جعل شهاب

وقف كتابخانه وقرأت خاندنعموی آیت الله العظمی
مرعشی نجفی - قم

واما الغریزی ونفی به ما ساء الحکما اعتقاد بالملکة
وجعله الشائع مناط التكلیف فقیل هو العلم ببعض الضروریات
سواء كانت من مدرکات احد الحواس الخمس او كانت
مبتدأة فی النفوس كالعلم بان الاثنين نصف الواحد ان
الشئ لا یخلو امن وجود او عدم اما کونه علیا فله علم تصور
انفکاکهما اذ لا یكون عاقل لاعلم له او عاقل لا عقل له الصلح
واما تعلقه بالضروریات فاذن عام بالنظوریات مشروط
بکمال العقل فهو یوقف علی وجود العقل ثم علی کماله فلا یكون
نفسه واما تعلقه ببعضها فاذن العاقل قد ینقص کثیرا فی الضروریات
لفقدان شرط ادراکها واعترض علی عدم الانفکاک بجواز التلذذ

«وهي في الصفحة ٢١٣ من هذا المطبوع» .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق العقل بكمال قدرته ، وجعله مستعداً لعلم ما تنكمل به النفس الناطقة بلطيف حكمته ، وأرشدنا به الى وجوه المعاش بنعمته ، وندبنا به الى التحلي بمحاسن الاداب ، والكون على أعدل الحالات برأفته ، الذي تنزه بسطوة سلطنته عن الصاحبة والرفيق ، وتقدس بعظمة عزته عن الولد والشفيق «ومن يشرك بالله فكأنما خر» من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق»^(١).

أحمدته حمداً أستدرّ به ينابيع آلائه ، وأشكره شكراً أستمطره شآبيب نعمائه ، وأشهد أن لا اله الا الله شهادة يسلم شاهدها من اقتحام المهالك ، ويندم جاحدها عند انسداد المسالك .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي أخذ له العهود على موضوعات الوجود ، تشریفاً له و تعظيماً ، وجعل نفسه المقدسة في حضرة جلال قدسه ، اعزاً له وتكريماً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

[و بعد فيقول -] ^(١) أفقر عباد الله الى رحمة ربه الغني [...] ^(٢) بغفرانه واسكنه [...] ^(٣) مما قد [...] ^(٤) ونواهيهم ونوافلهم ^(٥) وأورادهم ^(٦) [...] ^(٧) أعمالهم ، فبدلوا في سبيل الله أنفسهم وأموالهم ، فنسج غيرهم بعدهم على منوالهم ، واقتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم .

فخلد الله على ذلك عز دولته ^(٨) ، وبلغه من أعدائه - أعداء الدين - فوق أمنيته ، وحرس من الغير ^(٩) سلطانه ، وقرن بنفاذ الامر في الاقاليم السبع يده ولسانه ، ليدوم على أهل الايمان عموم التفضل والعز والامان .

ولما كان لكل مخلوق في هذا الدعاء حظ وافر يصل اليه كان جديراً بالحكيم المتفضل بقوله ، بل والزيادة عليه ، انه هو الرؤف الرحيم .

ثم اني تحررت في كتابي هذا الاختصار على حسب الحال ، وقدر سعة

(-) هكذا ظاهراً والاصل بياض .

(٢) بياض في الاصل مقدار خمس كلمات .

(٣) بياض في الاصل مقدار ست كلمات .

(٤) بياض في الاصل مقدار ستة أسطر تقريباً .

(٥) النافلة : ما يفعله الانسان مما لا يجب عليه وفي التنزيل العزيز : فتهجد به

نافلة لك (لسان العرب) .

(٦) الورد : النصيب من القرآن . - قال أبو عبيد : تأويل الورد انهم كانوا أحدثوا ان جعلوا القرآن أجزاء كل جزء منها فيه سور مختلفة من القرآن على غير التأليف جعلوا السورة الطويلة مع اخرى دونها في الطول ثم يزيدون كذلك حتى يعدلوا بين الاجزاء ويتمموا الجزء ، ولا يكون فيه سورة منقطعة ولكن تكون كلها سوراً تامة . والورد أيضاً : الجزء من الليل يكون على الرجل يصلية (لسان العرب)

(٧) بياض في الاصل مقدار كلمتين .

(٨) الضمير عائد الى السلطان الذي له هذا الدعاء .

(٩) الغير : جمع غيره ، وغير الدهر : أحداثه المقيمة .

الاحتمال ، ولم أطلق للقلم العقال ، والا " لقال في هذا النحو فأطال فربما أفضى
الى الملل فالا همال .
وهنا أنا استمنع من كرم الجواد المتعال أن يجعلني من أهل الفعال
[...]^(١)

(١) بياض في الاصل مقدار ثلاثة أسطر تقريباً . وحسب تتبعنا فلا بد أن يكون
هنوان الباب الاول وهو (باب العقل) ضمن هذا الساقط واليباض الممسوح .

باب العقل^(١)

.
وكونه ذا اعتبارات...^(٢) وما يترتب على ذلك وتقسيمهم العقل للنفس
الناطق على أربعة أقسام .
والكلام على ذلك مبين في الكلام^(٣) وانما كلامنا هنا في العقل المصطلح
وهو قسمان : غريزي ، ومكتسب :
اما الغريزي^(٤) ونعني به ماسماه الحكماء عقلا بالملكة وجعله الشارع
مناطق التكليف فقيل : هو العلم ببعض الضروريات ، سواء أكانت من مدركات
أحد الحواس الخمس ، أو كانت مبتدأة في النفوس ، كالعلم بأن الاثنين نصف
الواحد ، وأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم :
أما كونه علماً : فلعدم تصور انفكاكهما ، اذ لا يكون عاقل لاعلم له أو عالم

(١) العنوان زيادة منا ، وفي النسخة نقص - كما اشرنا - وتبدأ من قوله :
وكونه ...

(٢) كلمة غير مقروءة .

(٣) أى فى علم الكلام .

(٤) من هنا تبدأ نسخة مكتبة آية الله المرعشى .

لا عقل له أصلاً .

وأما تعلقه بالضروريات : فلان العلم بالنظريات مشروط بكمال العقل فهو يتوقف على وجود العقل ثم على كماله ، فلا يكون نفسه .

وأما تعلقه ببعضها : فلان العاقل قد يفقد كثيراً من الضروريات لفقدانه شرط ادراكها .

واعترض على عدم الانفكاك بجواز التلازم بينهما .

وقال الامام ^(١) : العقل غريزة يتبعها العلم ببعض الضروريات عند سلامة الالات ، اذ المائم لم يزل عقله ، وهو غير عالم - في حالة النوم - بشيء من الضروريات ، وكذا اليقظان الذي لا يستحضر شيئاً لدهشة وردت عليه ، فمن ثم ظهر أن العقل ليس عبارة عن العلم بالضروريات لابعضها ولا كلها ، أما اذا كان سالماً عن الافات كلها في الالات كلها فانه يكون مدركاً لبعض الضروريات قطعاً .

وقد ظهر من حال المائم أن العلم قد ينفك عن العقل فلا يتم ما ذكر أولاً ^(٢) كما لم تتم الملازمة .

وفيه شيء .

نكتة : وانما سمي العقل عقلاً ، تشبيهاً بعقل الناقة ، فكما أن العقل يمنع الناقة من الشرود اذا نفرت ، كذلك العقل يمنع صاحبه من القدوم على شهواته اذا قبحت .

واما المكتسب : فهو من نتائج الغريزي : وهو عبارة عن لقائة المعرفة ،

(١) هو الامام الفخر الرازي .

(٢) في نسخة المرعشي ما ذكر فيه .

وصحة السياسة ، وحسن المداراة فسي كل الامور ، وأصابة الفكر ^(١) وليس لهذا حدّ لأنه ينمو اذا استعمل ، وينقص اذا أهمل ، واستعماله بكثرة التجارب لان التجربة مرآة العقل ، والغرة ثمرة الجهل ، قال الشاعر :

ألم تر أن العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال الشاعر :

اذا طال عمر المرء في غير آفة أفادت له الايام في كرها عقلا

ولهذا حمدت العرب آراء الشيوخ ، ومن أكثر من ممارسة الامور ، فقالوا :

المشايع أشجار الوقار ومنايع الاخبار لا يطيش ^(٢) لهم سهم ولا يسقط لهم وهم .

وقالوا : عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر ، وتصدّت أسماعهم لآثار الغير .

وفي منشور الحكم : من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله .

وقد يكون نموّ لغرط الذكاء وحسن الفطنة ، فانهما اذا امتزجا بالعقل الغريزي صار نتيجتهما نمو العقل المكتسب .

وهذا كالذي يكون في الاحداث من وفور العقل وجودة الرأي ولقد قالت العرب : عليكم بمشاورة الشبان فانهم ينقلون رأياً لم يقله طول القدم ولا

(١) ورد في هامش نسخنا هذه العبارة : (هذه الامور ، في حقيقة الامر ، تصدر عن العقل المكتسب ، فيدل عليه دلالة الاثر على المؤثر ، وليست منه كما لا يخفى ، الا أنه لما لم يمكنني تعريفه تحررت في الفرعة) الا انها في نسخة المرعشي ذكرت في المتن . وانما ذكرناها في الهامش لمغايرتها في الخط لمتن نسختنا ولعله توضيح منه (قدس سره) .

(٢) طاش : مال عن الهدف .

استولت عليه رطوبة الهرم وقال بعض شعرائهم :

رأيت العقل لم يكن انتهاياً ولم يقسم على عدد السنين

ولو أن السنين تقاسمته حوى الالباء أنصبه البنين

ثم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي ، لانه نتيجه ، وقد
ينعكس ، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل ، موفور الرذائل ، ملحقاً بالبهائم ،
شبيهاً بالجماد أو النائم .

فصل (١)

واما الدهاء والمكر : فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ، ولو صرفه الى الخير لكان محموداً .
وقد اختلف فيمن صرف فضل عقله الى الشر والدهاء (زياد) وأشباهه من الدهاة هل يسمى ذلك منهم عقلاً أم لا ؟
قال بعضهم : اسميته عاقلاً ، لوجود العقل فيه .
وقيل : بل لا يسمى عاقلاً حتى يكون فاضلاً خيراً ديباً ، لان الخير والدين من مقتضيات العقل ، أما الشرير : فلا يسمى عاقلاً ، بل صاحب فكرة وروية .
واقول : (٢) لكل من الاصطلاحين وجه ، وان تأيد الثاني بأمور :
منها . ما قيل : العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه .
واقول : لعله محمول على كمال العقل وسقوط غيره عن درجة الاعتبار ، وأمثاله كثير .
ومنها : ما قاله من أصحابنا الشافعية : انه لو أوصى لاهقل الناس ؟
يكون مصروفاً الى الزهاد الاتقياء ، لانهم انقادوا للعقل ولم يفتروا بالامل .
ومنها : ما روي عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال : يا عويمر ، ازد

(١) العنوان زيادة في نسخة المرعشي فصل : الدهاء والمكر .

(٢) ليس في نسخة المرعشي .

عقلا تزدد من ربك قريباً ، وبه غنى .

قال : فقلت : فذاك أبي وأمي ، ومن لي بالعقل ؟

فقال : اجتنب محارم الله ، وأدّ فرائض الله ، تكن عاقلاً . ثم تنفل صالحات

الاعمال ، تزدد في الدنيا عقلاً ، وتزدد من ربك قريباً وعزاً .

وأقول : لادلالة في الموضعين الآخرين ^(١) أيضاً على المطلوب ^(٢) ، لأن

الكلام - فيهما - في زيادة العقل ، كما يدل عليه لفظ « أفعل التفضيل » في

الاول ، ولفظ « ازددد » في الثاني :

والكلام في قوله : « تكن عاقلاً » على نحو ما تقدم ^(٣) .

فيكون القول الاول قوياً ، ان كان الاختلاف في التسمية لغة ، وان كان

بحسب الاصطلاح فلانزاع فيه ، والله تعالى أعلم .

(١) هما ١ / مقاله جماعة من الشافعية ، ٢ / المروى عن رسول الله (ص) .

(٢) وهو القول الثاني ، وهو ان العاقل من كان خيراً دينا .

(٣) وهو الحمل علي كمال العقل .

فصل

والعقل من أشرف مخلوقات الله تعالى ، وأدلها على وجوده ووحدانيته وقدرته التامة وحكمته البالغة .

وقد روي ان الله جل وعلا خلق العقل قبل كل شيء ثم قال له : أقبل ، فأقبل ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال تعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أشرف منك ، ولا جعلتك في أحب الخلق الي .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : العقل نور يقع في القلب يفرقه بين الحق والباطل .

وقال بعض الحكماء : اذا عقلك عقلك عما لا يعينك فأنت عاقل .

وقال بعض العلماء : العاقل اذا والى بذل في المودة نصره ، واذا عادى رفع عن الظلم قدره ، فيسعد مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله .

وقال بعض الصالحاء : أعقل الناس رجل وسع الله عليه في الدنيا ، فشكر ليوسّع عليه في الآخرة ، ورجل ضيق الله عليه في الدنيا ، فحسب ، لثلا يضيق عليه في الآخرة .

وقال بعضهم : حسن العقل الجمال الباطن ، وحسن الصورة الجمال الظاهر .

وقال بعض الشعراء :

ما وهب الله امرأ هبة أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى فان فقدنا [فـ] فقدته للحياة أجمل به
وقال بعض البلغاء : العقل ملك ، والخصال رعيته ، فاذا ضعف عن القيام
عليها ، وصل الخلل اليها .

سمع هذا بعض الاعراب فقال : هذا كلام يقطر عسله .
فالحاصل : ان العقل رأس كل صلاح دنيوي وأخروي :
أما الدنيوي : فواضح ما يترتب عليه في أمور المعاش واكتساب الفضائل
والود من الناس ، وغير ذلك .

وأما الاخروي : فأبلغ من ذلك بأضعاف مضاعفة ، من حيث أنه دال على
معرفة الله تعالى ، ومعرفة أنبيائه ، ومعرفة ما جاءوا به من الاوامر والزواجر
والمعارف .

ثم انه باعث على امتثال الاوامر والكف عن الزواجر ، لما يعلمه ^(١)
مما يترتب على ذلك من الثواب الجزيل والتعظيم الدائم الذي لا يحصى عدده
ولا ينقطع أمدّه . مع النجاة من العذاب الاليم كذلك ، وهل فوق هذا سعادة ؟
أو يتصور أحد عليه زيادة ؟

ومن ثم اعتقد أولياء الله تعالى أن من لم يطع الله فلا عقل له . ولعمري
لقد أصابوا الصواب في ذلك لان الناس تحكم بعدم عقل من أذهب ماله في
مضيعة ، فكيف بمن ^(٢) أذهب دينه ؟

وتحكم بحقوق من أقبل على مخالفة سيده في الامور المقدورة الموجبة
اسائة سيده اليه ، فكيف من أقبل على مخالفة خالقه ورازقه وهو يعلم أنه مقتدر
عليه ؟

(١) في نسخة المرعشي : لما يعلم .

(٢) في نسخة المرعشي : من

وأبلغ من ذلك: أن أحداً لا يشك في جنون من عمداً إلى زوجته - مثلاً - فجاءها
والناس تنظر إليه، على أنهم لا يقدرّون له على ضرر، فكيف من يتعاطى المعاصي
وهو يعلم أن موجد العالم ومديره مطلع عليه؟ هل هذا الامحض الجنون؟
ولهذا قيل: الجنون على فنون.

اللهم اسلك بنا سبيل الرشاد، واجعلنا من أهل السداد، انك انت الكريم
الجواد.

ومن ثم ذهب بعض السلف إلى: أن الفاسق سفيه لا تصح معاملته ولا عقوده
فقال: يحجر عليه في تبذير ماله، ولا يحجر عليه في تبذير دينه؟
وممن ينسب إليه أيضاً هذا القول ابن عباس رضي الله عنهما وأرضاهما
ويقرب من هذا قول الشاعر:

أبني "أن من الرجال بهيمة	في صورة الرجل السميع المبصر
فطناً بكل مصيبة في ماله	واذا أصيب بدينه لم يشعر

فصل^(١)

وأما الحمق : فكله رذائل .

فعن النبي صلى الله عليه أنه قال : الاحمق أبغض خلق الله إليه ، اذ أحرمه الله تعالى أعز الأشياء إليه .

وعنه صلى الله عليه : الاحمق كالنخار لا يرقع ولا يشعب .

قال الجنيد : فاسق عاقل أحب إلي من قارئ أحمق .

وقال بعض العلماء : يحترز الاحمق من كل شيء الا من نفسه .

وقال بعض البلغاء : الاحمق ضال مضل أن أونس تكبر ، وان أوحش

تكدر ، وان استنطق تحلف ، وان ترك تكلف ، مجالسته مهنة^(٢) ، ومعاتبته
مجنة^(٣) ومجاورته تفر^(٤) ، ومولاته تضر ومقاربته عمى ، ومفارقته شفاء .

قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطاب به الا الحماقة أعيت من يداويها

وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على أحد حبسته مع احمق .

(١) في نسخه المرعشى فصل : الحمق .

(٢) مهنة : موجبة للوهن والخفة .

(٣) مجنة : مخجلة .

(٤) تفر : توجب الفرر والقفلة .

وربما أساء الاحمق الى غيره وهو يظن أنه قد أحسن اليه، فيطالبه بالشكر
وأقول: ان مساوىء الاحمق لاتنتهى، وعيوبه لاتنقضي فليس لعار الجهل
غاية ، ولالضرار الحمق نهاية ، فما أكثر العبر لمن نظر ، وأنفعها لمن اعتبر.
فاذا رأيت الدنيا قد أقبلت على الاحمق بالاتفاق ، وأدبرت عن العاقل
بغير استحقاق ، فلا يحملنك ذلك على الرغبة في الحمق، والزهد في العقل ،
فدولة الجاهل كالغريب الذي يحن " الى الرحلة، ودولة العاقل كالنسيب الذي
يحن الى الوصلة .

فصل (١)

ومما يضاد العقل ويصد عن الصواب ويحذره أو لو الالباب : الهوى، وهو من هوى اذا سقط من علو فكانه لما كان يهوي بصاحبه من المحل الاسنى الى الحضيض الادنى اشتقله منه اسم ، فكما ان الشيء اذا سقط لا يمكن رجوعه من قبل نفسه حيث أنه يقصد المركز بطبعه^(١) ، فكذلك هوى النفس اذا مال الى شيء لا يمكن رجوعه من قبل نفسه ، لوجود الداعي وفرض عدم المانع .

وكما ان الشيء اذا هوى من علو " أمكن رده الى مستقره الاول أو دونه، او فوقه، في محله بحسب قوة الراد " وضعفه، وذلك الراد " أمر أجنبي عارض من فعل حي أو غيره .

فكذلك الهوى اذا هوى بالنفس والشهوات أمكن رده الى محله بحيث كأن لم يهو ، أو دونه ، أو فوقه ، بحسب قوة الراد وضعفه، وذلك الراد هو العقل وذلك لاجل ما يتدبره من المضار الدينية او الدنيوية عاجلا أو آجلا .

فالحاصل : أن الهوى للعقل مضاد ، وعن الصلاح صاد ، فهو مهلك ان لم يكن مغلوباً .

قال بعض الحكماء : الهوى صدى يعلو القلب فلا تنطبع فيه صور حقائق

(١) فى نسخة المرعى فصل : الهوى

(٢) يقصد مركز الكرة الارضية التى تجذب اليها الاجسام الساقطة .

الاشياء على ما هي عليه ، فلا ترشد تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة والغضب عليه ، لانها حال احتجاب عقله .
ولهذا قيل : الهوى كالنار ، اذا استحکم ايقادها عسر اخمادها .
وقالوا : ليس الاسير من أوثقه عداه ، بل من أوثقه هواه .
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : الهوى الاله يعبد من دون الله ،
ثم تلا قوله تعالى : «أفرءيت من اتخذ الهه هواه » ^(١) .
وقال عكرمة ، في قوله تعالى : «ولكنكم فتنتم أنفسكم» : يعني بالهوى
والشهوات .

«وتربصتم» ؟ يعني بالتوبة ^(٢)
« وارتبتم » : يعني في أمر الله .
«وغرتكم الاماني» : يعني التسويف .
«حتى جاء أمر الله» : يعني الموت .
«وغرركم بالله الغرور» : يعني الشيطان ^(٣) .
وقد وصف بعض البلغاء الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال : الهوى
مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فانزل عن الهوى تسلم وأعرض عن الدنيا
تغنم ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا تفتنك دنياك بحسن العوادي ، فمدة
اللهو تنقطع ، وعارية الدهر ترتجع ويبقى عليك ضرر ما تركته من المحارم
وتكتسبه من المآثم .

أما اذا غلب العقل على الهوى . فانقاد له ، صار الهوى بالعقل مدحوراً ،

(١) سورة الجاثية : ٢٣/٤٥

(٢) في الاصل : وغرتكم الحياة الدنيا ، بعد قوله (بالتوبة)

(٣) الآية المفسرة من سورة الحديد : ١٤/٥٧ .

وباليقين مقهوراً ، فله الحظ الاوفى من ثواب الخالق وثناء المخلوقين .
قال الله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى »^(١).

وقال بعض الحكماء : أعز العز التخلص من تملّك الهوى .
وقال آخر : من أطاع هواه أهلكه وأرداه .
وقال بعضهم : الهوى هو ان غلظ باسمه .
واخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

ان الهوى لهو الهوان بعينه فصريع كل هوى صريع هوان
وقال بعض الحكماء : أشجع الناس من غلب هواه .

وقال بعض العارفين : جاهدوا هواكم أشد مما تجاهدون أعدائكم .
وكان عليّ عليه السلام اذا رجع من جهاد الكفار يقول : رجعنا من الجهاد الا صغر
الى الجهاد الاكبر .

يعني : مجاهدة النفس والهوى .

وقال بعض العلماء : ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة ، والبهاائم من شهوة بلا عقل ، وابن آدم منهما ، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهاائم .
ولله دره على ما قال .

فصل

قد يخفي الهوى مكره فينمو على العقل ويغلب عليه بقهره، فيتصور القبيح حسناً ، والضرر نفعاً ، وذلك لشدة ميل النفس ، فيخفي عنها القبح .
ولذلك قال النبي صلى الله عليه : حبك للشيء يعمي ويصم .
اي : يعمي عن الرشد ويصم عن الموعظة .

وقال إِبْنُ أَبِي : الهوى عمى .

قال الشاعر :

ولست براء عيب ذي الودّ كله ولا بعض مافيه اذا كنت راضياً
فعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا
وقال بعضهم : الهوى يقطان والعقل راقد ، فمن ثم غلب عليه .
وقيل في المثل : العقل وزير ناصح ، والهوى وكيل فاضح .
وطريق التخلص من هذا المكر : أن يجعل فكر قلبه حكماً على نظر عينيه ،
فان العين رائد الشهوة ، والشهوة من دواعي الهوى ، والقلب رائد الحق ، والحق
من دواعي العقل .
وقال بعض الحكماء : نظر الجاهل بعينه وناظره ، ونظر العاقل بقلبه
وخاطره .

وقال بعضهم أيضاً : شهوات العاقل من وراء فكرته ، فاذا انبعثت له شهوة

مرت بفكرته فنظر في مبادئها وعواقبها وتدبر فيها بحكم الرأي، وعمل بمقتضى العقل لا الشهوة وفكرة الاحمق من وراء شهوته ، فكلما انبعثت له شهوة مرت نافذة لوجهها لا يردّها شيء .

ثم ليتهم نفسه في تصويب ما أحببت وتحسين ما اشتئت فان أشكل عليه أمران اجتنب أحبهما اليه، وأسهلهما عليه ، فان النفس عن الحق أنفر وللهمى أثر .

فائدة :

وأما الفرق بين الهوى والشهوة : فقد قيل فيه :
ان الهوى يكون في الاراء والاعتقادات ، والشهوة تختص بنيل المستلذات فتكون الشهوة من نتائج الهوى فهي أخص ، والهوى أصل فهو أعم .
ونحن نسأل الله اللطيف أن يكفيننا دواعي الهوى ، وبصرف عنا سبل الردى، ويجعل العقل لنا مرشداً ، والتوفيق لنا قائداً، انه هو الرحيم الكريم-

فصل

ومن أعظم وانفع ما يبعث عليه العقل : تقوى الله تعالى، لانها أربح المناجر وأكبر الذخائر عند الله تعالى ولهذا أكثر من مدحها والامر بها في كتابه العزيز كما في قوله تعالى : «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» ^(١) «يا أيها الناس اتقوا ربكم» ^(٢) «واتقوا الله لعلكم ترحمون» ^(٣) «واتقون يا اولي الاباب» ^(٤) وامثال ذلك كثير .

وعلى نحو ذلك جاءت الاحاديث المطهرة من الرسول ﷺ، وعلى نحو ذلك كانت وصايا العلماء والأتقياء والصالحين لمن بعدهم .
وقد صفحناعن رقم ^(٥) شيء من ذلك خوف الاطالة وان كان معظم كتابي هذا فيما يبعث على التقوى .

(١) (سورة الحجرات : ١٣/٤٩)

(٢) قد ورد في الكتاب العزيز : في ثلاثة موارد وهي : (النساء: ١/٤) و(الحج ١/٢٢) و(لقمان : ٣٣/٣١) وورد قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله» في ستة موارد انظر المعجم المفهرس ص ٧٦٠

(٣) (الحجرات: ١٠/٤٩)

(٤) (البقرة: ١٩٧/٢)

(٥) الرقم : الكتابة .

فصل

وهي تكون بطاعة الله تعالى في امتثال أوامره والكف عن زواجه ، وهي عند الاولياء المخلص الذين كل ما يتعاطونه في دار الدنيا من أنواع المستلذات على اختلاف أنواعها ، لما قد أشربت قلوبهم من حبها ، فاستنارت وأشرقت وابتهجت بها ، لاسيما وقد شابوها بالذكر والعبادة والأعمال الراجحة ، فحقرت نفوسهم الدنيا وما عليها .

قيل لراهب : متى عيدكم ؟ فقال : كل يوم لانعصي الله تعالى فيه فهو يوم عيد .

وخرج بعض الزهاد في يوم العيد في هيئة رثة فقيل له : أخرج في هذا اليوم بمثل هذه الهيئة ، والناس يتزيّنون ؟ !
فقال : ما تزيّن أحد بمثل طاعة الله .

ثم اعلم : أن الداعي اليها لا يخرج عن ثلاثة أمور :
أحدها : حب الله تعالى ، وتصور [هـ] طرفاً من جلاله وكماله وفضاله ،
بمعنى انه يجد الله عزوجل - بما هو عليه من الصفات - أهلاً لان يعبد
ويطاع ، مع قطع النظر عن وعد أو وعيد .

كما روي عن علي رضي الله عنه انه قال : ما عبدتك طمعا في جنتك ، ولا خوفاً من

نارك ، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك ^(١) .
وهذه عبادة المحبين . قال الله تعالى : «والذين آمنوا أشد حُباً لله» . ^(٢)
ثم كلما از داد حباً لله ، از داد في العمل والخضوع والخشوع .
وثانيها : الرغبة في ثواب الله عز وجل الذي وعده .
وثالثها : الرهبة من عقابة الذي أوعده به .
أما الداعي الأول : فهو داعي المقربين الاختيار المنزهين عن شوائب
الكدورات النفسية والطبيعية ، فهذه المرتبة من أعلى المراتب وأشرفها ،
لأن الداعي إليها أشرف الدواعي ، أعني علّة العِلل «عز وجل» .
وأما الداعي الثاني : فهو داعي المتقين الراغبين وهودون الأول في الرتبة
بكثير ، حتى أن أصحاب الرتبة الأولى يجعلون هذا والذي بعده شركاً بالله
تعالى ، لأنه لم يعبد عبادة مخلصه ، بل مشوبة بالرغبة أو الرهبة ، ويجعلون
معنى الاخلاص في قوله تعالى : «وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» ^(٣)
قطع النظر عن كل ما سواه .

ومن ثم قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين . إلا أن الراقى ^(٢) لهذا الداعي
أكثر ، وهو فيما بين الناس أشهر ، والنفع به أعم . ولهذا جاء القرآن العزيز
والاحاديث المطهرة مشحونين بالوعود الآخروي من الجنّات والأنهار ،
والحور العين والولدان وما شاكل ذلك من النعيم المقيم ، ليحث النفوس
ويهيئها على الطاعة فيكون ذلك سلماً ومرقى الى الدرجة الأولى .

(١) (سورة البقرة : ١٦٥/٢) .

(٢) سورة البينة : ٥/٩٩ .

(٣) الراقى : الناظر والمتطلع .

ثم . كلما ازداد شوقاً الى الجنة وتصوّر ما اعدّه الله فيها من النعيم
ازداد بذلك رغبة فيزيد في العمل الصالح .
واما الداعي الثالث: فهو داعي الخائفين وهو قريب من الثاني بل لا يكاد
ينفك عنه بدليل ما قد قرن الوعد بالوعيد في الكتاب المجيد والاحاديث النبوية
ولما قد علمه المسلمون من أن المال اما الى الجنة او الى نار اذ لا ثالث لهما .

فصل (١)

واشد ما يخاف على المتقي شيان : الرياء ومنازعة الهوى .

اما الهوى : فقد تقدم الكلام فيه . (٢)

واما الرياء : فهو من اكبر الافات على المتقي لانه اسرع شيء تطرقاً ،
لا يسلم منه السلامة الكلية الا لمن ائتم بعناية الله تعالى فملك عقله على نفسه
وهواه ،

واما الكثير منه فلا يوجد الا في خسيس النفس ، مهان القدر فيقصد به
استعطاف القلوب النافرة . وقد يكون لرغبة دنيوية ، او خوف يدقوية ،
فيتشبه بالصلحاء وليس منهم ويتدلس بالاخيار وهو ضدهم قال الله تعالى :
« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً » (٣)
قال جميع أهل التأويل : معنى لا يشرك هنا لا يراني بعمله أحداً ، فجعل
جل وعز ، الرياء شركاً وناهيك بذلك ذما وقانا الله منه ومن شرور أنفسنا
وسيات أعمالنا .

قال الحسن البصري في قوله تعالى :

(١) في نسخة المرعشي : فصل الرياء .

(٢) في ص ٤٧ .

(٣) (سورة الكهف : ١٨ / ١١٠) .

«ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»^(١) .

لا تجهر بها رياء ولا تخافت بها حياء .

وعن النبي ﷺ أنه قال : اخوف ما أخاف على امتي الرياء الظاهر والشهوة الخفية .

وبالجملة : فالمرائي أخسر الناس لأنه لم يقصد وجه الله فيؤجر ، ولا يخفى رباؤه على أحد فيحمد أو يشكر ، إذ لا يرتفع إلا من رفعه الله جل وعز ، وكل عزيز غالب الله مغلوب ، فهو من : «الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»^(٢) .

وقد يفضي الرياء بصاحبه الى استهزاء الناس به ، حكى الاصمعي : أن أعرابياً صلتى والى جانبه جماعة ، فقالوا : ما أحسن صلاتك ؟ ! . فقال : وأنا مع ذلك صائم .

فاستسخروا به وانشد له بعضهم :

صلى فأعجبني وصام فرايتني نوح القلوص عن المصلي الصائم
وقد يحس ذو الفضل بنفسه ميلا الى المراءاة فيبعثه فضله وبصيرته الى
هتك ذلك ، ويكون ذلك أبلغ في فضله ، كما حكى عن عمر بن عبد العزيز
(رضه) انه قال لمحمد بن كعب : عظمي .

فقال لأرضى نفسي لك لاني أجلس بين الغني والفقير فأميل على الفقير
وأوسع للغني .

وقد يفضي الرياء بصاحبه الى الاخلاص ، لما ينظره ببصيرته من أن الله

(١) (سورة الاسراء : ١٧ / ١١٠) .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : «قل : هل تنيثكم بالآخرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» . (سورة الكهف : ١٨ / ١٠٤) .

تعالى أحق أن يخشى ، وأنه لا يغلب في شأنه ، ولا ينازع في سلطانه وأن الناس اشخاص مثله ، لا يقدرّون له على نفع ولا ضرر الا باذن الله . ولهذا قيل : الرباء قنطرة الاخلاص .

حكى : ان بعض الشبان اتفق أنه وقع نظرة على ابنة الملك فوقع حبها في قلبه موقعا قويا ، حتى تمكن فيه العشق والشغف ، وكان ذاعقل وروية الا أنه كان فقيرا جداً ، حامل الذكر والقدر ، فكتم ذلك زماناً طويلاً لخوفه من القتل ان افشاه ، ولما التهبّت فيه نيران العشق والهيجان حتى عيل صبره ^(١) وانتحل جسمه وايقن بالهلاك أطلع على سره شيخاً عالماً صالحاً من تلك المدينة ، وقال : اني هالك لامحالة فهل تجسد لي حيلة أو دواء أو ما اتسلى به ؟ .

فقال : نعم ، ان فعلت ما اقول لك رجوت ان تبلغ مرادك ، وذلك : أن تمضي الى الصفّة الفلانية في الجامع الكبير فتجلس ثم ليلاً ونهاراً ، صائماً نهارك قائماً ليلاً ، تالياً للقرآن ، راکعاً ، وساجداً ، باكباً خاشعاً مطمئناً في كل الاوقات ، وياك ان تنظر الى أحد أو تكلمه او تاخذ منه شيئاً أو تلتفت اليه بوجه من الوجوه - وان كان السلطان نفسه - ، أو تمضي اليه ان طلبك فعند ذلك يشيع خبرك في المدينة ويتصل بالسلطان ، ولا يخفى عليك أنه يحب الصلحاء والعباد ، فيوشك عند ذلك أن يختارك زوجاً لبنته .

فوقع ذلك في قلب الشاب وسرّ به ، وفعل كل ما أمره به على أبلغ مما قال ، واستمر كذلك زماناً طويلاً ، حتى شاع أمره في المدينة ، وصيامه ، وصلاته وبكاؤه ، وخشوعه ، وزهده ، واعتقدوا أن مابه من الاصفرار والنحول لشدة خوفه وكثرة صيامه وقيامه .

(١) اي غلب صبره .

فكانوا يأتون اليه ويسألون منه الدعاء ، ويقبلون يديه ورجليه ، وهو مع ذلك لا يلتفت الى أحد ، بل مستمر على البكاء والذكر والصلاة وتلاوة القرآن حتى اتصل خبره بالسلطان ، فكان يأتي اليه مع وجوه دولته فيتبركون به . ويخضعون له ، وهو مع ذلك مقبل على شأنه لا يلتفت اليهم ، فازداد بذلك قدره وعظم أمره ، حتى أوقع الله في قلب السلطان أنه لا يصلح لابنته بعلا الا هذا العابد - ان كان يرضى بذلك - . ورأى الملك أنه ان تقرب الى هذا الملك الاخروي وزوجته بنته فقد تمت له السعادة في الدارين ، فوجه اليه جماعة من علماء البلد وصلحاتها ليستلوا منه ذلك بالرفق والخضوع ، ويقولوا له : ان السلطان يفرد لك مكاناً للعبادة ، ولا يكتفك بشيء من أمور الدنيا أصلاً ، فذهبوا اليه ورغبوه في النكاح ، وبسطوا له فضائله ، وأنه أفضل من التخلي للعبادة ، وأنه لا ينافي ما أنت فيه بوجه ، فسمح لهم بذلك بعد أن أظهر لهم الكره الزائد وعدم الرغبة في ذلك .

فسر السلطان بذلك كثيراً وأعد له ولبنته ما يحتاجان اليه من كل شيء ، وجمع الناس وأوقعوا العقد وهباً له مكاناً للخلوة من أحسن الاماكن وزينوه بمحاسن الزين فلما دخل الى ذلك البيت ورأى نضارته وما فيه من الامتعة الفاخرة ، ورأى ابنة الملك وماهي عليه من الجمال الباهر واللباس الفاخر ، أدهشه ذلك وحار عقله فيه ورجع الى عقله وبصيرته وقال لنفسه : ويحك يانفس ، اذا كان شبه طاعة الله تعالى أو صلني الى هذا الأمر العظيم الذي لا أستحق شيئاً منه ، فكيف لو اطعت الله حق طاعته وعبدته حق عبادته ، فالى اي منزلة ، والى اي مرتبة كنت . تصلين بكرم الله تعالى في الدار الآخرة . في جنات النعيم ؟ ! ثم خلع ما كان عليه من الثياب ، ولبس ثيابه الاول وعاد الى أكثر مما كان عليه من العبادة والخشوع والصوم والصلاة وتلاوة القرآن

كل ذلك مع الاخلاص التام .
فهذا أوصله رياءه لحسن نظره واستقامة عقله الى السعادتين والفوز
بالمرادين ^(١) .

فصل

[محاسبة النفس]^(١)

ومن أحسن ما يبعث عليه العقل السليم والطبع المستقيم محاسبة النفس
فان من أهمل محاسبة نفسه ومعاتبتها لم يكن لنفسه مراعيًا ، فيوشك أن يكون
عن الخيرات . ساهيًا ، وبالقبائح لاهيًا ، فلا يكون الله عز وجل عليه راضيًا .
قال عليّ " رضي الله عنه » : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

وقال : ومن حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر .
وقال لقمان الحكيم : المؤمن من أبصر العاقبة فأمن الندامة .
وقال بعضهم : ينبغي للمرء ان يحاسب نفسه كل صباح ومساء محاسبة
الرجل الشحيح .

قال هذا الفقير الحقير الجامع لهذا الكتاب رحمه الله واستعمله فيما يرضاه :
ومما يشبه المحاسبة ما أورده على نفسي كثيراً ، وأذكره لأصحابي ، فأقول :
كيف يعتول العاصي على كرم الله وعفوه ، فيغتر بنفسه بذلك ، ويتبع هواها ،
فيرتكب ما اشتتهته من معاصي ربه ، ويقدم على ترك أوامره ، ولا يعتول على
كرم الله تعالى وجوده في تكفله بالرزق وضمانه له على نفسه ، مع أنا نشاهد
سوق الرزق الى من لم يسع ، لأن الله تعالى جلّ وعزّ قد قسمه وقدره
بين عباده فيكون وجود الرزق معلوماً ، وأما وجود الغفران والعفو فأنه مظنون

(١) العنوان زيادة في نسخة المرعشي .

فأن الله عزوجل قد حث في كتابه العزيز على الطاعة و وعد عليها الثواب الجزيل ، وخوف من المعصية ، وتوعد عليها بالعذاب النكيل ، وقال الله تعالى جلّ وعز : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ^(١) هب أن الغفران وجد ، فاين منازل المقرّبين ودرجاتهم الرفيعة في الجنّة ؟ وكيف يقابل الله جلّ وعز بالمعصية ولا يستحيي منه ، والمراء يستحيي من أدنى أفراد الناس ، والجزاء بيد الله لا بيد ذلك الدني ؟ ! فمن لم يتبصر بمثل هذا فهو الاعمى الذي يكون .

: « في الآخرة أعمى واضل سبيلا » ^(٢) .

ثم أقول : لو أن يهودياً أخبر عن طعام أنّه ضار ، لتركه المرء ، ولو أن نصرانياً قال لمسلم : أنت الليلة في ضيافتي ، لترك الاهتمام بما كله لتلك الليلة . ولو أن مجوسياً جاء في طريق وأخبر انه كثير الخوف باللصوص وقطاع الطريق أو قليل الماء او الزاد ، لم يقدم على السفر فسي تسلك الطريق أحد الا بعد الوثوق من أمر نفسه بكثرة الرفقة ، وتهيئة العدة واحكامها بحيث يأمن على نفسه بذلك ، وبعد استعداد الزاد والماء اللذين يغلب على ظنه أنهما بقدر كفايته ، ونحن قد أخبرنا نبينا الصادق الذي لانشك في صدقه وعصمته عن خالق الاشياء وعالم كنه حقيقتها ومآلها ، بأنّ المعاصي طعام مضرب لمهلك ، ولا نجتنبه ؟ !

وبأن رزقنا على الله ، ولا نترك الاهتمام به ؟ ! .

وبأن الطريق الى الجنة مخوف ، بعيد ، كثير المهالك ، يحتاج الى الزاد

(١) سورة الزلزلة : ٩٩ / ٧ - ٨ .

الكثير والعدة المتقنة ، ولا نعتني بشيء من ذلك ؟ ! بل نذهل عنه في غالب الاوقات ! فان الله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولهذا قال علي « رضي الله عنه » : من تفكر أبصر .

وقالوا : الفكرة قلب العقل .

وقالوا : الفكرة مرآة تريك حسناتك من سيئاتك .

فالتفكر سراج المؤمنين ، وروضة المقربين .

قال ابن عباس « رضي الله عنهما » : التفكر في الخير يدعو الى العمل به ، والندم على الشر يدعو الى تركه .

وبكى بعضهم ، فقبل له : ما يبكيك ؟ فقال : تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقترب أجلي .

ثم انه من أشرف ما يبعث عليه العقل ويكتسب به : « العلم » ، مع أنه يقوى العقل ويسدده ويشرقه ويكون به نوراً ساطعاً ، فلنتكلم فيه :

(٢) اقتباس من قوله تعالى : « ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل

(سورة الاسراء : ٧٢ / ١٧)

سيلا » الحاشية للصفحة ٦٢

باب العلم

الخلاف في كونه من مقولة الكيف أو الانفعال وامثال ذلك مبسوط في كتب الحكمة فايراده هنا خروج عن موضوع الكتاب .

فصل

العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلبه وجد فيه الطالب، لان شرفه يتم على صاحبه ، وفضله ينمو عند طالبه .

قال الله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »^(١).

فمنع من المساواة - لفضل العلم - أبلغ منع^(٢).

وقال الله تعالى : « وما يعقلها الا العالمون »^(٣) .

فنفي ان يكون غير العالم يعقل عنه أمراً أو يفهم عنه زجراً .

وعن النبي ﷺ : أن الله تعالى أوحى الى ابراهيم : أني عليم أحب كل

عليم .

(١) (سورة الزمر : ٩٣٩)

(٢) اي بلغ غايه المنع .

(٣) (سورة العنكبوت ٢٩ / ٤٣)

وعنه صلوات الله عليه : ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب .

وعنه عليه السلام : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً .
وسأل رجل رسول الله عن أفضل الاعمال؟ فقال عليه السلام : العلم بالله، والفقه في دينه .

فقال : يا رسول الله ، أسألك عن العمل ، فتخبرني عن العلم ؟
فقال عليه السلام : ان العلم ينفعك مع قليل العمل ، وان الجهل لا ينفعك مع كثير العمل .

وقال لقمان الحكيم : جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فان الله تعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء ^(١) .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه : « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ، أما طالب العلم فانه يزداد من الرحمن قريباً ، ثم تلا : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وأما طالب الدنيا : فانه يزداد طغياناً ، ثم تلا : « ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ^(٢)

وقال علي عليه السلام : العلم أفضل خلف ، والعمل به أكمل شرف .
وقال بعض البلغاء : تعلم العلم فانه يقوّمك ويسدّدك صغيراً ، ويقدمك ويسوّدك كبيراً ، ويصلح زيغك وفاسدك ، ويرغم عدوك وحاسدك .
ومما ينسب الى ابي نصر الفارابي رحمه الله :
هذّب النفس بالعلوم لترقى وترى الكل فهي للكل بيت

(١) الوايل : المطر الشديد .

(٢) (من سورة فاطر : ٢٨/٣٥)

سراج وحكمة الله زيت	انما النفس كالزجاجة والعقل
واذا أظلمت فانك ميت	فساذا أشرقت فانك حيّ
	ولبعضهم :
فليت المال في درك السعير	اذا ما المال لم يقرن بعلم
أنرضى أن تعدّ مع الحمير؟	هب الدنيا لك اجتمعت جميعاً

فصل

لا يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل، لأن فضل العلم إنما يعرف به، ولهذا استرذل الجهال أهله وتوهموا أن الأموال وماتميل اليه نفوسهم من متاع الدنيا خير، فأنصرفوا عنه انصرف الزاهدين وأعرضوا عنه أعراض المعاندين، لأن من جهل شيئاً عاداه .

قال ابن المعتز : يعرف العالم الجاهل لأنه كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً .

وقيل لبزر جمهر: العلم أفضل أم المال ؟ فقال : العلم .

فقيل : فما بالناس نرى العلماء على أبواب الاغنياء ، ولا نرى الاغنياء على أبواب العلماء ؟ .

فقال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الاغنياء بفضل العلم .

فصل

العلوم كلها شريفة ، ولكل منها فضيلة ، والاحاطة بجميعها محال .

قال الشاعر :

ما حوى العلم جميعاً أحد لا ، ولو مارسه ألف سنة

انما العلم بعيد غوره فخذوا من كل شيء أحسنه

وقيل لحكيم : من يعرف كل العلم ؟ فقال : كل الناس .

وعن النبي ﷺ : من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حظها ، ووضعها في

غير منزلته التي وضعه الله تعالى بها حيث يقول : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »^(١) .

وقال بعض العلماء : المتعمق في العلم كالسباح في وسط البحر ، ليس

يرى أرضاً ، ولا يعرف طولاً ولا عرضاً .

واذا لم يكن السى معرفة جميع العلوم وسيلة وجب صرف الاهتمام الى

معرفة أهمها وأفضلها وذلك علم الدين اصولاً وفروعاً ، لان الناس بمعرفته

يرشدون ، وبجهله يضلون ويضلون ، وهو لازم لكل مكلف .

قال النبي ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم .

وفيه تأويلان :

(١) الآية من (سورة الاسراء : ٨٥ / ١٧) . والحديث .

- أحدهما : علم ما لا يسع أحداً جهله .
- وثانيهما : جملة العلم، إذا لم يقدّر بطلبه من فيه كفاية .
- وعنه عليه السلام : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .
- وعنه عليه السلام : خيار أمتي علماؤها، وخيار علمائها فقهاؤها .
- وعنه عليه السلام أنه قال : علي بخلفائي . قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله .
- وعنه عليه السلام : ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين وفقهيه واحمد أشد على الشيطان من ألف عابد .
- ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه .

فصل

في موانع الطلب

قد يترك طلب العلم لتعذر المادة ، والاشتغال باكتسابها وهذا قلما يكون الا عند ذوي الشره والشهوة المستعبدة .
لان الزمان كله ليس زمان اكتساب ، فينبغي أن يصرف الى التحصيل ما فضل عن قدر الحاجة ^(١) .
وقد يترك ، لما يظن من صعوبته ، وبعد غايته ، أو لما يخشى من قلة الذهن وبعد الفطنة .

وهذا اعتذار ذوي النقص ، وصفة أولي العجز .
ولهذا قالوا : الهيبة مقرونة بالخيبة .

وقالوا : عليك بالاقدام ولو على الضرغام .
وجاء رجل الى بعض العلماء فقال : اني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه .

فقال : كفى بترك العلم اضاعه .

فحينئذ ، لا ينبغي لبعيد الفهم أن يقنط من نيل القليل الذي يخرج به من حد

(١) أى لا يصرف جميع الوقت في الكسب والتجارة بل يقتصر فيهما على مقدار الحاجة والضرورة ويصرف ما فضل من الوقت عنهما الى طلب العلم .

الجهالة ، فان الماء مع لينه يؤثر في الصخر، فكيف لا يؤثر العلم الزكي في نفس الراغب الشهوي لآسيما وطالب العلم معان^(١) .

فكتة :

وقد يتركه ذو السفاهة، لما يرى من فقر أهله للاشتغال به ، فان رأى كتاباً أعرض عنه، أو متحلياً بحلية أهل العلم هرب منه . قد غلبت نفسه عليه لحب الدنيا، وأشرب في قلبه بغض العلم وأهله، وهذا ممن لا يرجى له صلاح، ولا يؤمل له فلاح .

فمن النبي ﷺ: اذا استرذل الله تعالى عبداً حظر عليه العلم .

قيل لبرز جنهم: مالكم لاتعابون جهالكم ؟

فقال: لانا لانكلف العمي أن تبصر ، ولا الصم ان تسمع. فكأن هذا السفیه لماً رأى عاقلاً غير محظوظ، وعالماً غير مرزوق ، ظن أن العقل والعلم هما السبب في قلة حظه ورزقه، وانصرفت^(٢) عنه لجهله عن حرمان أكثر النوكى^(٣) وادبار أكثر الجهال .

على أن الرزق بالجد والحظ لا بالعقل والعلم ، حكمة من الله تعالى يدل بها على قدرته ، قالت الحكماء : لو جرت الارزاق على قدر العقول لم تعش البهائم ..

(١) حسب الروايات الكثيرة التي تؤكد ان الله سبحانه وتعالى قد تكفل رزق طالب العلم .

(٢) كذا في النسختين.

(٣) النوكى: جمع أنوك بمعنى احمق .

(٤) روى عبدالله بن سليمان قال سمعت أبا عبد الله يقول : ان الله وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء، ويعلموا أن الدنيا ليس ينال ما فيها بعمل ولا حيلة وسيأتى من قول ابراهيم بن هلال الكاتب في الباب: ١٣ / الصبر ، الفصل الثانى ما يناسب المقام .

ولاشك ان العقل والعلم سعادة، وان قلّ "معهما المال، والحق والجهل
حرمان وادبار، وان اتسعت معهما الحال .
وكيف يكون الجاهل الغني ربيعاً والجهل وضعه ؟
أم كيف يكون العالم الفقير وضيعاً والعلم رفعه ؟
ولهذا قالوا : الجاهل صغير وان كان شيخاً ، والعالم كبير وان كان
صغيراً .

قال ابن المعتز: نعمة الجاهل كروضة على مزبلة .
وقالوا : الجاهل من أعظم المصائب وأخذل الصواب ، لانك لا ترى
الجاهل الا مفرطاً او مفرطاً .

وقال علي عليه السلام: لا داء أعين من الجهل .

وقالوا: لسان الجاهل مفتاح حنقه .

وحينئذ أقول: ان العلم لشرف عظيم في نفسه مع قطع النظر عما يترتب
عليه في الدنيا والاخرة، وأدنى ما هناك : أن من لم يكتسب بالعلم مالا اكتسب
به في الدنيا جمالا وفي الاخرة اقبالا .

وأما ما يحصل به من الابتهاج النفسي واللذة العقلية فمما لا يتصور أدناه
الجنان، ولا يعرب عن مبادئه ذوالفصاحة والبيان ، اذ هو مختلف المقادير و
الاحوال بحسب اختلاف الرجال في الاكثار منه والاقلال .

بل غاية ما أقول: من لم يذق لم يعرف المحصول .

فينبغي لمن زهد فيه أن يكون فيه راغباً، ولمن رغب فيه أن يكون له
طالباً، ولمن طلبه أن يكون منه مستكثراً، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملاً،
ولا يطلب لتركه احتياجاً ، ولا لتقصيره عذراً ، ولا يستوف نفسه بالمواعيد
الكاذبة، ويمتنعها بانقطاع الاشغال المتصلة فان لكل وقت شغلا ولكل زمان

عذراً .

قال بعضهم :

نسروح ونغدوا بحاجاتنا وحاجة من عاش لاتنفسي
تموت مع المرء حاجاته ويبقى له حاجة مابقي

وقال آخر :

لا فراغاً الا عن الاشتغال والمني لاتنال بالامسال
بعدت شقة المهامه^(١) ان تقطع الا بالشد والترحال
وأبى الفضل ان ينال بغير الـ—————جد فلتنله عقول الرجال

(١) المهامه: الصعاري .

فصل

وليقصد الطالب العلم واثقاً بتيسير الله تعالى ، قاصداً وجهه بنيتة خالصة وعزيمة صادقة .

فقد روي عن النبي ﷺ : من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار .

وعنه ﷺ : المماري به مهجور لا ينتفع ، والمراي به محقور لا يرتفع .
وعنه ﷺ : من تعلم العلم للتكبر مات جاهلاً ، ومن تعلمه للقول دون العمل مات منافقاً ، ومن تعلمه للمناظرة مات فاسقاً ، ومن تعلمه لكثرة المال مات زنديقاً ، ومن تعلمه للعمل مات عارفاً .

وقال الاوزاعي : اذا أراد الله بقوم شراً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل .
فليكن طالب العلم راغباً في ثواب الله تعالى كطالب مرضاته وحافظ مفترضاته ، راهباً من عقاب الله عز وجل كتارك أوامره ومهملاً زواجه ، فاذا اجتمعت الرغبة والرغبة اديتاً الى كنهه العلم وحقيقة الزهد . لان الرغبة أقوى الباعثين على العمل ، والرغبة أقوى السببين في الزهد واذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة ونمت السيادة . وان افترقا فياويح مفترقين ، ما أقبح افتراقهما !
فمن النبي ﷺ : من ازداد في العلم رشداً ولم يزد في الدنيا زهداً لم يرد من الله الا بعداً .

اللهم أعمر بنا مجالس الاخيار ، وبثوئنا مقعد صدق في دار القرار انك أنت الوهاب الغفار .

فصل

والعلوم أوائل تؤدي الى أواخرها، فليبدء الطالب بها لينتهي الى حقائقها ولا يعكس فلا يدرك الاخر، ولا يعرف الحقيقة ، لانّ البناء على غير أسس لا يستقيم .

ولذلك اسباب فاسدة :

منها : قصد نوع من العلم لغرض يتعلق به ، فيعدل عن مقدماته ، كمن يؤثر القضاء والتصدي للحكم، فيقصد من الفقه أدب القاضي، وما يتعلق به من الدعوى والبيّنات، فاذا أدرك ذلك ظن أنه قدحاز من العلم جمهوره، ولم ير أن في طلب مابقى الا العناء ، لقصور همته على ما أدرك وانصرفهما عما ترك .

ولو أنصف نفسه علم ان ماترك أهم مما أدرك ، لان بعض العلم مرتبط ببعض، ولكل باب منه تعلق بماقبله، ولا تقوم الاواخر الا باوائلهما، ويصح قيام الاوائل بانفسها، فيكون طالب الاواخر تارك الاوائل، تاركاً لهما .

ومنها: أن يحب الاشتهار بالعلم، فيقصد منه مايشتهر من مسائل الجدل ، ويتعاطى علم ماختلف فيه دون مااتفق عليه لينظر به. وهو لا يعرف الوفاق فمثل هذا اذا أخذ في المناظرة ظهر كلامه ، واذا سئل عن واضح المذهب ضلت أفهامه، فتخبط في الجواب خبط عشواء ، فهذا قد جهل من المذهب ما

يعلمه المبتدئ ويتداوله الناس ، فهو دائماً في غلط مضل ، ولفظ مزل ، وهذه طريقة من يقول « اعرفوني » وهو غير معروف ، وبعيد ممن لا يعرف العلم أن يعرف به .

ومنها : أن يشتغل به في الكبر فيستحي أن يبتدء بما يبتدء به الصغير ، لكراهة أن يساويه ، فيبدأ بأواخر العلوم ليساوي الكبير . ويتقدم على الصغير وهذا ممن رضي بخداع نفسه ، لأن كل ذي عقل يشهد بفساد هذا التصور ، لأن جهل ما يبتدء به المتعلم أقبح من جهل ما ينتهي اليه العالم .

فصل (١)

والمانع من حفظ العلم بعد تصوره وفهمه : النسيان الحادث عن غفلة
التقصير، فينبغي لمن بلي بأن يستدرك تقصيره بكثرة الدرس والمذاكرة .
أما الاول : فلما قيل : لا يدرك العلم من لم يطل درسه . وكثرة الدرس
من المتعبات ، لا يصبر عليها الا ذو عقل صحيح ، يرى العلم مغنياً والجهالة
مغرمًا، فيحمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم ، وينفي عنه معرفة (٢) الجهل،
فان نيل العظيم لا يكون الا بعظيم .
ولهذا قيل الراحة في قلة الاستراحة .
قال أبو الطيب المتنبي يخاطب نفسه :
ذريني أنل ما لا ينال من العلى
فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل
تريدين ادراك المعالي رخيصة
ولا بد دون الشهد من ابر التحل
وأما الثاني : فلانه اذا ذاكر بها رسخت واستقرت .
قال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما تعلم واستفاد ما

(١) في نسخة المرعشي فصل : النسيان .

(٢) المعرفة : الاثم . والمنقصة .

لم يعلم .

وقالوا : المذاكرة صيقل العقل .

وقال بعضهم : لكل شي حياة ، وحياة العلم مذاكرته .

قال الشاعر :

إذا لم يذكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علما نسي ما تعلموا

فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيد مع الايام في جمعه عسى

فصل

وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ ، واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب عند الحاجة ، فلا يكون الاكمن أطلق مصادره ثقة بالقدرة عليه بعد الاطلاق ، فلا يعقبه التفريط الا ندماً .

وهذا كما ابتلينا به زماناً طويلاً .

وهذه الحالة :

أما أن يدعوا اليها الضجر من الحفظ .

أو طول الامل في التوفير عليه عند نشاطه ، كما كان يدعونا ذلك .

أو فساد الرأي في عزمته .

وليس يعلم أن الضجر خائب ، وإن طویل الامل مغرور ، وأن الفاسد

الرأي مصاب .

وقد قالت العرب : حرف في قلبك خير من ألف في كتبك .

وقالت : لا خير في علم لا يعبرمك الوادي ولا يعمر بك النادي ^(١) .

وقالت : علم لا يعبرمك الى الحمام لا يرفعك على الانام .

وقال الشاعر :

إذا لم تكن فطناً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

(١) النادي : مجلس القوم يتخذونه للمحادثة وتبادل الآراء .

طريقة :

وقد يعتني الطالب بالحفظ فقط - من غير تصور معنى - فيتعب بذلك نفسه ، ويكدّها كل الكد ، ويصرف لذلك زماناً طويلاً من عمره حتى يصير - حافظاً بجملته من الكتب ، وربما ابتهج بذلك ، واقتخر به بين الناس ، ولا يشعر أنه من : «الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»^(١) وأن مثله : «كمثل الحمار يحمل أسفارا»^(٢) أو أنه كالكتاب الجماد الذي لا يدفع شبهة ولا يوجد حجة .

فعن النبي ﷺ : أنه قال : همّة السفهاء الرواية ، وهمّة العلماء الرعاية .

(١) اقتباس من قوله تعالى : «هل ننبيكم بالآخسرين أعمالاً ؟ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» . (سورة الكهف : ١٨ / ١٠٤) .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا» (سورة الجمعة : ٦٢ / ٥) .

فصل

ينبغي أن يكون الطالب سائساً لنفسه مدارياً لها في حال تعلمه ، فإن
للنفس ثلاثة أحوال :

عدل وانصاف ، وعلو واسراف ، وتقصير واجحاف .

فالعدل : أحمد الاحوال ، ويكون من جهتين :

جهة طاعة مسعدة ، وجهة شفقة كافّة .

فطاعتها تمنع من التقصير ، وشفقتها تصد عن السرف . وأما حال العلو :
فيكون باختصاص النفس بقوة الطاعة ، وعدم قوة الشفقة ، فيؤديها ذلك الى
عجز الكلال^(١) ثم الى الترك والاهمال ، فتصير الزيادة نقصاناً ، والربح
خسراً .

وقد قالت الحكماء : طالب العلم وعامل البر كآخذ الادوية التي القصد
منها الدواء ، ومجاوزة الحد فيها هو الداء .

وأما حال التقصير : فباختصاص النفس بقوة الشفقة وعدم قوة الطاعة ،
فتدعوها الشفقة الى النفور ، فلا تطلب شارباً ولا تقيّد عائداً ، فتفقد الموجود
ولم تجد المفقود ، ومن هذا شأنه فهو مصاب مغبون .

فليرض العاقل نفسه لتلبث على ما ذكرناه من أحمد الحالات ، فان أهمل

(١) الكلال : الهم والتعب .

سياستها ورام أخذها بالعنف نفرت ، وعاندت فلم تعد الى الطاعة، ولم تنكف
عن المعصية .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : للقلوب شهوة واقبال ، وفترة وادبار ،
فأتوها من قبل شهواتها : لامن قبل فتراتها .

فان استصعب عليه قياد نفسه مع سياستها تركها ترك راحة ثم عاودها بعد
الاستراحة ، ، فتنقاد له ان شاء الله تعالى .

فصل

الشروط التي ينتهي معها كمال الراغب مع الامداد بالتوفيق والمعونة من
الله تعالى ، تسعة : -

- أحدها : العقل الذي يدرك به حقائق الامور .
- وثانيها : الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم .
- وثالثها : الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه .
- ورابعها : الشهوة التي يدوم بها الطلب .
- وخامسها : الاكتفاء بمادة تغنيه عن تكلف السعي .
- وسادسها : الفراغ الذي يكون معه التوفير .
- وسابعها : عدم القواطع المذهلة من هموم وأمراض .
- وثامنها : طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار الى مراتب الكمال
- وتاسعها : الظفر بمعلّم حاذق ناصح ذي همّة عالية وسماح بعلمه .
- فاذا استكملت هذه الشروط فهو أسعد طالب وأنجح راغب .

فصل^(١)

لابد للمتعلم من ملق^(٢) وتذلل ، لانّ الملق للعالم يظهر مكنون علمه ،
والتذلل سبب لادامة صبره وحلمه .

فقد روي عن النبي صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أنه قال : ليس
من أخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم .

وقال ابن عباس : ذلت طالبا فعززت مطلوبا .

وقال بعض الحكماء : من لم يحتمل ذلّ التعلم ساعة ، بقي في ذلّ الجهل
أبدا .

ثم ليعرف له فضل علمه ، ويشكر له جميل فعله ، وليكن له موقرا معظما
في كل الحالات ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : من وقّر عالما فقد وقّر
ربه .

وقال بعض الشعراء :

أن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان اذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه واصبر لجهلك ان جفوت معلما .

وايضاً : فان الحكماء قد رجّحوا حقّ المعلم على حق الوالد حتى قال

(١) في نسخه المرعشي فصل : في اداب المتعلم .

(٢) الملق : التودد والتلطف في الكلام مصحوبا بالخضوع والتذلل .

بعض الشعراء :

آباء اجسادناهم سبب لان جعلنا عوارض التلف
معلم العالم صار خيراً ب ذاك أبو الروح لا أبو النطف
ثم لا يمنعه من توقيره والتذلل له علو منزله ، وان كان العالم خاملاً ،
فان العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم لا بالقدرة والمال .

قال ابن دريد رحمه الله :

لاتحقرن عالماً وان خلقت أثوابه في عيون راقه
وانظر اليه بعين ذي ثقة مهذب الرأي في طرائقه
فالملك بينا تراه ممتناً^(١) بفهر^(٢) عطاره وساحقه
حتى تسراه بعارضي ملك او موضع التاج من مفارقة
ثم يجب ان يكون مقتدياً بهم في رضي^٢ أخلاقهم وصدق أقوالهم ،
متشبهاً بهم في جميل أعمالهم ، ليصير لها الفأ وعليها ناسئاً ، ولما خالفها
مجانباً .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : خيار شبانكم المتشبهون بشيوخكم
وشرار شيوخكم المتشبهون بشبانكم .

وعنه ﷺ : من تشبه بقوم فهو منهم^(٢) . ثم ليحذر التبسط على معلمه
وان كان له مؤانساً ، فانه ربما يفضي به الى حصول الحق عليه والانتقاض
عنه ثم ليحذر - أيضاً - أن يظهر له الاستغناء عنه ، فان في ذلك كفرأ لنعمه ،
واستخفافاً بحقه وكرمه ، فانه ربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه ، وحدة

(١) حقيراً .

(٢) هي قارة المسك ونافجته تكون عند المطار فتسحق ويستخلص منها المسك .

في ذكائه ، فيقصد من يعلمه بالاعنات^(١) له والاعتراض عليه ، ازراء^(٢) به
وتكبيتاً^(٣) له ، فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر في الافاق :

اعلمه الرماية كل يوم فلما استد^(٤) ساعده رماي

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

وهذا من مصائب العلماء ، وانعكاس حظوظهم : أن يصيروا عند من علموه
مستجهلين ، وعند من قدموه مسترذلين .

قال ابن عبد القدوس :

وان عناء أن تعلم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم

(١) ايجاد التعب والمشقة .

(٢) اذ لالا له .

(٣) الصرف والاذلال يقال كبت الله العدو اي صرفه واذله .

(٤) صار سديداً في رمية .

فصل

ولا ينبغي ان يبعثه معرفة الحق له على قبول الشبهة منه ، ولا يدعوه ترك الاعنات له على التقليد فيما أخذ عنه ، فانه ربما غلا بعض الاتباع - ممن عاصروناهم - في عالمهم ، حتى رأوا ان قوله دليل وان لم يستدل ، وان اعتقاده حجة وان لم يحتج ، وهذا ذهول عن الصواب ، لانهم قد لا يرون من يأخذ عنهم كما اخذوا ، فيطالبهم بالبرهان فيعجزون .

فحق على المتعلم أن يكون معتدل الرأي حتى لا يحمل على الاعنات على اعتراض المبكتين ، ^(١) ولا تبعثه الثقة به على تسليم المقلدين .
وليس كثرة السؤال فيما التبس اعناتاً ، ولا قبول ما صلح في النفس تقليداً بل يجب السؤال عما أبهم .

فعن النبي ﷺ : العلم خزائن مفتاحه المسئلة .

وقال ﷺ : هلا سألوا اذا لم يعلموا ؟

فقد أمر بالسؤال وحث عليه ، ونهى ﷺ عنه اخرين .

وليس منافياً للاول لانه أمر بالسؤال من قصد به علم ما جهل ، ونهى عنه

من قصد به الاعنات .

واذا كان السؤال في موضعه أزال الشكوك ، ونفى الشبهة ، قيل لابن

(١) المبكت : الغالب بالحجة .

عباس رضي الله عنهما : بماذا نلت هذا العلم ؟ .

قال : بلسان سؤال ، وقلب عقول .

وعن النبي ﷺ : حسن السؤال نصف العلم .

وانشد المبرد :

فسل الفقيه تكن فقيهاً مثله لاخبر في علم بغير نذير

فصل

ولياخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده ، من نبيه وخامل . ولا يطلب الصيت ^(١) فيتبع أهل المنازل ، اذا كان النفع بغيرهم أعم .
اما اذا استوى الامران : فالأخذ عمن ارتفع ذكره وعلا قدره أولى لان الانتساب اليه أجمل .

واذا قرب العلم فلا يطلب ما بعد ، واذا سهل من وجه فلا يطلب ما صعب ، واذا حمد من خبره ^(٢) فلا يطلب من لم يخبره .

فان العدول عن القريب الى البعيد عناء ، وترك الاسهل بالاصعب بلاء ، والانتقال عن المخبور الى غيره خطر .
فانه ربما تتبعت نفس الانسان من بعد ، استهانة بمن قرب ، وطلبت ما صعب ، احتقاراً لما سهل .

وانتقل الى من لم يخبره ملأ ممن خبره ، فلا يظفر بطائل ، ولا يحصل هلى نائل .

وربما رأى بعد انتقاله الى الثاني ، ثالثاً ، فانتقل اليه ، وهكذا ، وهذا من ضعف الرأي ، وكثرة الطيش ، لانه ربما لا يرتضي الثاني ، او لا يرتضيه فيما

(١) الصيت : الذكر الحسن المنتشر بين الناس .

(٢) اى استحسن من اخبر علمه .

بعد ، ويتعسر عليه الرجوع الى الاول .
 وربما عرف بالطيش وقلة الثبات ، فيزهد فيه باقي الناس ، فيصير من
 المذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ^(١) فيقع في ورطات الجهل والبلاء .

(١) اقتباس من قوله تعالى : في وصف المنافقين : مذبذبين بين ذلك لا الى
 هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يفضل الله فلن تجد له سبيلا (سورة النساء : ٤ / ١٤٣) .

فصل (١)

الاخلاق التي هي بهم أليق :

التواضع، ومجانبة العجب : وهما قبيحان بكل أحد، وبهم أفبح ، لأنّ الناس بهم يقتدون ، وكثيراً ما يتدخلهم العجب لتوحيدهم بفضيلة العلم ، ولو نظروا حق النظر لعلموا أن العجب نقص ينافي الفضيلة لاسيما مع قول النبي عليه السلام : أن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (٢) .

فلا يفي ما أدر كوا من فضيلة العلم . بما لحقهم من نقص العجب .

وازنّت بين جمالها وفعالها فاذا الحلوة بالمرارة لاتفي .

قال بعض الحكماء : تواضعوا لمن تعلمون ، ولا تكونوا من جبايرة العلماء ،

فلا يقوم علمكم بجهلكم . (٤)

وقال بعض السلف : من تواضع بعلمه رفعه الله ، ومن تكبر بعلمه وضعه

الله عز وجل .

وقال علي عليه السلام : ضع فخرك ، واحطط كبرك ، واذكر قبرك .

(١) في نسخة المرعشي : فصل : في اداب العلماء .

(٢) سيأتي ذكر هذا الحديث في باب الكبر والعجب (الباب ١١) من هذا الكتاب ص ٢٠٤

فصل (١)

علة اعجابهم انصراف نظرهم الى كثرة من دونهم من الجهال ، وانحراف
نظرهم عن فوقهم من العلماء ، فانه ليس متناه في العلم الا وهو يجد من هو
أعلم منه بكثير ، اذا العلم أكثر من أن يحيط به بشر .

قال الله تعالى : (وفوق كل ذي علم عليم) (٢) .

فيجب على العالم أن ينظر الى نفسه بنقص ما قصر فيه ، ليسلم من عجب
ما أدرك منه ، فقد قيل في منشور الحكم : اذا علمت فلا تفكر فيمن دونك من
الجهال ، ولكن انظر الى من فوقك من العلماء .

قال ابن العميد :

من رام عيشاً هنيئاً يستفيد به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ادباً ولينظرن الى من دونه مالا
واعلم أنه قل ماتجد بالعلم معجباً ، الامن كان فيه مثلاً لانه يجهل قدره
فيحسب أنه قد نال أكثره .

أما من كان في العلم مستكثراً فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن أدراك
نهايته ما يصده عن العجب . ،

قال الشعبي : العلم ثلاثة أشبار : فمن نال منها شبراً شمع بأنفه وظن أنه
ناله ، ومن نال الشبر الثاني ، صغرت اليه نفسه لعلمه انما أخذ منه بالنسبة ،
الاماخذ عنه نزر حقير ، واما الشبر الثالث ، فهيهاث لا يناله أحد ، ومن وصل
الى أوله فنى .

(١) هذا العنوان غير موجود في نسختنا بل يوجد بياض في محله . الا انه مذكور
في نسخة المرعشي ومذكور ايضاً في الفهرس الذي وضعه الكاتب للكتاب .

(٢) (سورة يوسف : ٧٦/١٢)

فصل

وقد يكون علة تكبره واعجابه ، وبعده عن صوابه ، ما أوصله اليه علمه من المناصب الجليلة ، والاموال الجزيلة ، والملابس الفاخرة ، والمراكب الفارهة ، وما يرى من اقبال الناس عليه ، واحتياجهم اليه ، وتذللهم لديه ، وتقبييلهم يديه ، فيشمخ حينئذ بأنفه ، وينشني بعطفه ، ويغطي ذلك على قلبه ، فيسبح في بحار عجبه ، وتلتوي بصيرته عن كثرة من وصل الى ذلك قبله ، وعن كثرة من يتصف به بعده ، وأنه لودام له لدام لمن كان قبله ، وأن الجاهل الاحمق قد ينال فوق ذلك أمثله ، بل قد يصا الى المناصب - فيحتاج الناس اليهم - الكفار ^(١) .

وقد يزيّن بالملابس البرذون ^(٢) والحمار .

فبالله أنشد ولهذا أغنني ما أنشده لسان حالي ثم أعرب به مقالي :

يسامن تلبس أنواباً يتيه بسها تيه الملوك على بعض المساكين
ماغيّر المحلي أخلاق الحمير ولا نقش البراذع ^(٣) أخلاق البراذين
ولا يخفى على بصير كثرة أبناء هذه الطبقة في هذا الزمان، فبالله المستعان على أمثالهم وعليه التكلان ونحن نسأل الله تعالى الهداية الى الصراط المستقيم ونستعين به من مساوىء أنفسنا ومكائد الشيطان الرجيم .

(٢) الكمار فاعل يصل . اي ان الكفار قد يصلون الى ما وصل اليه المتكبر من المناصب .

البرذون : الفرس غير الاصيل .

البراذع : ح برذعة وهو الحلس الذي يلقي تحت الرجل .

فصل

وقد روي عن النبي صلوات الله عليه في ذلك أنه قال : من سئل فافتي بغير علم فقد ضل وأضل .

وقال بعض الحكماء : من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم ، فحسبك خجلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم .

وحيث قد بينا أنه لا سبيل الى الاحاطه بكل العلم فلا عار ان يجهل بعضه فلا ^(٢) عار أن يقول فيما لا يعلم : « لا أعلم » بل العار قدومه على الكذب والاثم وتوقع الفضيحة .

روي أن رجلا قال : يا رسول الله ، أي البقاع خير؟ فقال عليه السلام : لا أدري ، حتى أسأل جبريل .

وكذا يروي عن مالك : أنه أجاب في تسعة وثلاثين من أربعين مسألة :- لا أدري .

قال ابن عباس : اذا ترك العالم قول : « لا أدري » أصيبت مقاتله .

وقال بعض العلماء : هلك من ترك « لا أدري » .

وقال علي عليه السلام : العالم من علم : أن ما علم فيما لا يعلم قليل .

(١) في نسخة المرعشي فصل : الفتيا بغير علم .

(٢) كذا في النسختين والظاهر ان الاولى اللطيف بالواو .

فصل

يجب ان يكون العالم الفاضل مستقلا لما حصل منه ، ولا يفتن بما أدرك منه ، لان القناعة فيه زهد ، والزهد فيه ترك ، والترك له جهل .
 قال بعض الحكماء : كثير العلم ككثير الخير ، وقليله كقليله .
 وقال بعض العلماء : من فضل عملك استقلالك له .
 فاذا استقله لم يستنكف أن يتعلم ما ليس عنده ، فيزداد بذلك علماً .
 قال عيسى عليه السلام : يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلّم الجاهل ما علمت .

وقال علي رضي الله عنه : خمس خدوهن عني ، فلو ركبتم فيهن الفلك ما وجدتموهن عند أحد غيري :
 ألا ، لا يرجون أحد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستنكفن أن يتعلمن ما ليس عنده ، ومنزلة الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .^(١)

(١) كذا ورد في النسختين والمذكورات هنا أربعة لا خمسة كما صرح به الامام عليه السلام وقد ورد في نهج البلاغة هكذا : أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل (كناية عن شد الرحال والحث في السير) كانت لذلك أهلاً .
 لا يرجون أحدكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحين أحد منكم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لأعلم ، ولا يستحين أحد اذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ... نهج البلاغة : الحكمة رقم / ٧٩ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى منه موسى لما قال : «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً»^(١).
نكتة :

ينبغي أن لا يجهل من نفسه مبلغ علمها، وأن لا يتجاوز بها قدر حقتها ، لان من جهل حال نفسه كان لغيره أجهل .
[قالت عائشة : ...]^(٢)

وقال علي عليه السلام : رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره .
وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره .
وقد قسم الخليل بن أحمد - رحمه الله - الناس الى اربعة أقسام لا يخلو حال المرء من واحد منها ، فقال :

- رجل يدري ويدري أنه يدري : فذلك عالم ، فاسألوه .
- عكسه : جاهل ، فارقضوه .
- رجل يدري ولا يدري أنه يدري : فذلك ناس ، فأذكروه .
- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري : وذلك مسترشد ، فعلموه .

(١) (في سورة الكهف : ٦٦/١٨) .

(٢) الحديث مشطوب عليه في نسخة الاصل عندنا وغير موجود في نسخة المرعشي ومتم الحديث غير مقروء في نسخة الاصل .

فصل (١)

ومما يجب على العالم العمل بعلمه ، وحث النفس على أن ياتربها أمر به ، والا فهو من الذين وبّخهم الله بقوله : « اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون » (١)
وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : تعلموا ماشئتم أن تتعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به ، فان العلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية . (٢)

وقال ، وقد قال له بعض أصحابه : ما ينفي عني حجة الجهل؟ - .
قال : علة العلم .
قال : فما ينفي عني حجة العلم؟
فقال : علة العمل .

وقال عيسى ﷺ ليس بنافعك أن تعلم ما لم تعمل ، ان كثرة العلم لا تزيدك الا جهلا اذا لم تعمل به .
وقال أبو ذر رضي الله عنه : أخوف ما أخاف ، اذا وقفت بين يدي الله

(١) في نسخة المرعشي فصل : في العمل بالعلم .

(٢) (سورة البقرة : ٤٤/٢) .

(٣) قد مضى بعض هذا الحديث في ص ٨٠ .

تعالى ، فيقول لي : قد علمت فماذا عملت ، اذ علمت؟! .
 وكان يقول : خير من القول فاعله ، وخير من الصواب قائله .
 وقال بعض العلماء: ثمرة العلم العمل ، وثمره العمل به الجنة .
 وقال بعض الصالحاء : العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل
 واما قول بعضهم :

اعمل بقولي فان قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري
 فهذا ان قصر في عمله كما شرط ، فقد خدع نفسه فضرها ونفع غيره
 وكفى بذلك جهلا وخسرانا ، على أن أمره بما لا يثمر به مطرّح مستقبح ، بل
 ربما كان سبباً لاغراء المأمور بترك ما أمر به وركوب مانهيه عنه ، ويكون
 كمن قبل فيه :

وعامل بالفجور يأمر بالبر كهناد يخوض في الظلم
 أو كطبيب قد شفه سقم وهو يداوي من ذلك السقم
 وليت شعري هل في أذنيه صمم أو في عينيه عمى عن قول الخليل بن
 أحمد رحمه الله تعالى :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
 نصف الدواء وأنت محتاج له كيما يصح به وأنت سقيم
 فابدأ بنفسك فانها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
 فهناك يسمع ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليم
 لاته عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

لطيفة :

واما الانقطاع عن العلم الى العمل ، او العكس اذا عمل بموجب العلم ،
فقد روى عن الزهري، ما يغني عن غيره، وهو أن قال : العلم أفضل من العمل
لمن جهل ، والعمل أفضل من العلم لمن علم .
واما فضل ما بين العلم والعبادة بقول مطلق اذا لم يخل " بواجب، ولم يقصر
في فرض ، فقد روي عن النبي ﷺ في ذلك أنه قال : يبعث العالم والعابد ،
فيقال للعابد : أدخل الجنة ، ويقال للعالم : ائتد^(١) حتى تشفع للناس .

(١) ائتد أمر من التؤدة وهو : الثاني والتمهل .

فصل

ومما يجب على العلماء ان لا يبخلوا بتعليم ما يعلمون : فان البخل به ظلم واثم .

وكيف يليق بهم الشح بما ان بذلوه زاد ونما، وان كتموه تناقص ووهى؟؟ ولو فعل ذلك من تقدمهم لم يصل العلم اليهم ، بل كان ينقرض بانقراضهم . قال الله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) .^(١)

وعن النبي ﷺ انه قال: لا تمنعوا العلم أهله فان في ذلك فساد دينكم ، ثم تلا : « ان الذين يكتبون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »^(٢)

وعنه ﷺ من كتم علماً لخسة، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار. وعن علي ﷺ أنه قال : ما أخذ الله العهد على أهل الجاهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم ان يعلموا .

وفي منشور الحكم: من كتم علماً فكأنه جاهل .

ثم ليعلم : ان له في بذله للمتعلمين نفعين :

أحدهما : ما يرجوه من ثواب الله تعالى ، فقد جعل النبي ﷺ التعليم

(١) (سورة آل عمران : ٨٧/٢) .

(٢) الآية من (سورة البقرة : ١٥٩/٢) .

صدقة ، فقال : تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده .
وعن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: تعلّموا وعلمّوا فان أجر العالم والمتعلم
سواء، فقيل : وما أجرهما؟ قال : مئة مغفرة ومئة درجة في الجنة .
وثانيهما : زيادة العلم ، واتقان الحفظ ، يعرف ذلك من جرّبه.
قال الخليل بن أحمد : اجعل تعليمك دراسة لعلمك ، واجعل مناظرة
المتعلم تنبيهها على ما ليس عندك .
وقال بعضهم : العلم ميت، وحياته بالتعلم ، فاذا أحْيِي فهو ضعيف، وقوته
بالمذاكرة ، فاذا قوي فهو محبوب، وظهوره بالمناظرة ، فاذا ظهر فهو عقيم،
ونتاجه بالعمل .

فصل

المتعلم ضربان : مستدعى وطالب :

فالمستدعى : استدعاء العالم الى التعلم ، لما ظهر له من جودة ذكائه ، فان وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك النّحبا ^(١) والافقد فاز المستدعي باجر الطلب ، وخسر المستدعى بعاقبة الهرب .

وأما الطالب : لداع يدعوّه ، فان كان دينياً وجب على العالم الاقبال عليه بكل وجه - وان كان بليداً - فلا يمنعه من القليل .

وان لم يكن دينياً، فان كان مباحاً - كحب النباهة وطلب الرياسة - فالقول فيه قريب من الاول ، لان العلم ربما يقطعه الى الدين في ثاني الحال .

قال سفيان الثوري : تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الله .

وقال عبد الله بن المبارك : طلبنا العلم للدنيا فدلنا على تركها .

وان كان التعلم لداع محظور - كشر - ومكر باطن في شبهة دينية ، او حيلة فقهية - وجب منعه وزجره .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر والذهب بل العلم أفضل من الجواهر ، ومن لا يستحقه شرّ من الخنازير .

(١) كذا في النسختين ، والنحب يأتي بمعنى : الكهمة والحاجة .

وحكي أن تلميذاً سأل عالماً عن مسألة ، فلم يجبه فقبل له في ذلك ،
فقال : لكل شجرة غارس ، ولكل ثوب لابس .
وعن النبي ﷺ : لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا ، ولا تضيعوه في غير أهله
فتأثموا .

قال الشافعي :

ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فصل

يجب أن يكون للعالم فـراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف بها قدر طاقته ومبلغ استحقاقه ، ليعطيه ما يحتمله حاله فانه أروح للعالم ، وأنجح للمتعلم .
قال ابن الزبير : لاعاش بخير من لم ير برأيه مالم ير بعينه .
فان لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا وإياه في عناء دائم ، لانه لا يعدم أن يكون فيهم ذكي يحتاج الى الزيادة ، وبليد يحتاج الى التقليل فيضجر الذكي ويعجز البليد ، ومن تردد أصحابه بين ضجر وعجز ملّهم وملّوه .

قال بعض الحكماء : خير العلماء من لا يقلّ ولا يملّ فكل كلام كثر على السمع ولم يطاوعه الفهم ازداد به القلب عمى .

خاتمة الخير ان شاء الله تعالى :

ربما كان لبعض السلاطين رغبة في العلم ، وحب للعلماء ، لفضيلة نفسه، واستقامة طبعه ، فيجب على من يقع عليه اختياره من العلماء للمصاحبة أن لا يجعل رغبته في العلم وحبّه للعلماء ذريعة في الانبساط عنده والادلال ^(١) عليه، بل يعطيه ما يستحقه بساطانه وعلّويده ، فان للسلطان حقاً لطاعة والاعظام

(١) الادلال : الجرأة

وللعالم حق القبول والاكرام .

فقد قيل : من استخف بسلطانه فقد تعرض لسخطه وامتهانه .
ثم ينبغي أن لايتدىء به الا بعد الاستدعاء ، ولا يزيده على قدر الاكتفاء
فربما أحب بعض العلماء اظهار علمه للسلطان ، فأكثر ، فصار ذلك ذريعة الى
ملله ، ومفضياً الى بعده ، لان السلطان منقسم الافكار ليس له فسي العلم فراغ
المنقطعين اليه ، ولاصبر المنفردين به .

حكى الاصمعي ، فقال : قال لي الرشيد : يا عبد الملك ، أنت أعلم منا
ونحن أعقل منك ، لاتعلمنا في ملأ ، ولا تسرع الى تذكيرنا في خلأ ، واتركنا
حتى نبتدؤك بالسؤال ، فاذا بلغت من الجواب قدر الاستحقاق فلا تزدد ، الا
ان نستدعي ذلك منك .

قال الاصمعي : والله اني أحوج الى نصيحتك هذه منك الى نصحي .
فانظر الى هذا الكلام كيف بلغ بأوجز لفظ غاية التقويم ولهذا قيل :
كلام الملوك ملوك الكلام .

ارشاد :

وينبغي أن يخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة ، لامخرج التعليم
والافادة ، لان للتعليم خجلة يجبل محل السلطان عنها .

فاذا ظهر منه خطأ أوزلل ، في قول او فعل ، لم يجاهره بالرد ، بل يعرض
باستدراك زلله واصلاح خلله ، من غير أن يواجهه بالاخبار بعيبه ، لكن
يضرب له الامثال والمواعظ والحكايات المناسبة ، ويخبره بعيب غيره ، حتى
يعرف به عيب نفسه ، فيكون ذلك أوقع في قلبه ، وادعى للاعتراف بذنبه .

فقد قالوا : من تعرّض لرد سلطانة أرداه ، ومن تطامن ^(١) له تخطاه ، وشبهوه بالريح الشديدة التي لا تضر ما لان لها ومال معها وتقصف ماعنا عليها . قال بعض العلماء : ثلاثة من لم يعطها حقها أسرع مفارقة : وهم : الملوك ، والعلماء ، والنعم .

فمن حق السلطان - مع ما تقدم - أن لا يكتمه جليسه نصيحته - وان قلت - . ومن حقه : اذا تثائب ، أو القى المروحة ، أو مدّ رجله ، أو تمطّى ، أو اتكى ، أو فعل ما يدل على كسله ، أن يقوم من بحضرته . ولا يعاد عليه حديث البتة .

ثم ليحذر اتباعه فيما بجانب الدين ، ويضاد الحق المبين . متابعة لهواه وحباً لرضاه ، فربما زلت أقدام العلماء في ذلك رغبة أو رهبة ، فضلوا وأضلوا ، والله سبحانه أحق بالرغبة فيما عنده ، وأجدر أن يرهبه من تمّ رشده ، وربما كان ذلك سبباً لمنع ما رغبوه ، ومفضياً الى شر ما رهبوه ، وكل عزيز غالب الله مغلوب .

تتمة :

ومما يجب على العلماء : تنزيه النفس عن شبه المكاسب ، والقناعة بالميسور عن كد المطالب ، فان شبهة المكسب اثم وكد المطلب ذل ، والاجر أجدر بهم من الاثم ، والعز أحق بهم من الذل .

ثم اعلم : ان لكل شيء آلة ، و آلة العلم الكتابة والكتب ، فلنذكر طرفاً مما يتعلق بذلك : -

باب الكتابة

الكتابة والكتب لغة، الجمع من : كتبت القربة ، اذا جمعت بين طرفيها
بالخرز . فسمي الكتاب كتاباً لجمعه المسائل المتحدة جنساً ، المختلفة نوعاً
وصنفاً .

قال بعض العلماء في مدح الكتب : الكتب بساتين العقلاء .
وقال بعض البلغاء : الكتاب وعاء ملئ علماً ، وظرف ملئ ظرفاً ^(١) .
وقال بعض الفصحاء : الكتب أصداف الحكم تشق عن جواهر الكلم .
وقال بعضهم : الكتاب بستان يحمل في ردن ^(٢) ، وروضة تفلح في حجر،
ينطق عن الموتى ، وترجم عن الاحياء .
وقال الشاعر :

ولي جلساء لا يمل حديثهم - ألباء مأمونون غيبا ومشهداً
يفيدونني من علمهم علم من مضى - وعقلا وتنادياً ورأياً مسدداً
فالحاصل : أن المرء يظهر في كتابه مكنون علمه ويتعب فيه موقر رويته
وفهمه، فيتاتي له فيه كثير ما لم يأت على لسانه، ولا يتيسر له ان يعرب عنه ببلاغته
وبيانه ، لانه في الاغلب يكون منفرداً في خلوته ، فيكون متفرغاً لاستعمال
بصيرته وفكرته .

(١) الظرف الاشياء النفيسة الظرفية .

(٢) الردن : ج : ومفرده بمعنى اصل الكم .

ولهذا قال بعض الحكماء: كتاب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله .
وقال بعض العلماء : لا يزال المرء تحت ستر من عقله حتى يؤلف كتاباً ،
أو يقول شعراً .

وقال بعضهم : ما قرأت كتاب رجل الا عرفت مقدار عقله .
وقال بعض الملوك : ثلاثة تدل على عقل أربابها : الهدية ، والكتاب ،
والرسول .

وقال علي بن ابي طالب : عقل الكاتب قلمه .
وقال مسعدة : الاقلام مطايا الفطن .
وقال بعضهم : عقول الرجال تحت أسنة أقلامهم .
وعلى كل حال : فالخط من أكبر المهمات الدينية والدنيوية ، وعليه
مدار أكثر الامور الدنية والعلية .

ولهذا كانت الكتاب سامية^(١) الملك ، وعمار المملكة وخزنة الاموال .
ومما يدل على شرفه أن الله تعالى أقسم ببعض أدواته وهو القلم ، كما
أقسم به في قوله تعالى : « ن ، والقلم وما يسطرون »^(٢) .
وعنده الله تعالى من نعمه ، في قوله تعالى : « علّم بالقلم »^(٣) فوصف
نفسه بأنه علم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم .
وفي منشور الحكم : الدوات من أنفع الادوات ، والحبر أجدى^(٤) من
التبر .

(١) سامية : قاصدة .

(٢) سورة القلم : ١ / ٦٨ .

(٣) سورة العلق : ٤ / ٩٦ .

(٤) أجدى : أنفع .

وقال بعض الفضلاء : القلم أحد اللسانين ، ^(١) وحسن الخط أحد الفصاحتين .

وقال بعض الحكماء : صورة الخط في الابصار سواد ، وفي البصائر بياض .
وقال بعضهم : القلم روح اليد ، ولسان الفكر .

وقال اقليدس : الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسدانية .

وقال بعض العلماء : القلم صانع الكلام .

وقال بعضهم : لم أرباكيا أحسن تبسما من القلم .

وقالوا : جهل الخط الزمانة ^(١) الخفية .

وقال ابن مقلة : لادية عندنا ليد لا تكتب .

وقال ابن البواب : اليد التي لا تكتب رجل .

وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط ^(٢) الحكمة ، به تفصل شذورها وينتظم منشورها .

وقال ابن المقفع : اللسان مقصور على الحاضر ، والقلم على الشاهد والغابر ^(٣) .

وقال بعض العلماء : لاشيء أفضل من القلم لان مدة عمر الانسان لا يمكن أن يدرك فيها يفكره ما يدرك بقلمه .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : « او أثارة من علم » ^(٤) : يعني الخط .

(١) الزمانة : عاهة توجب تعطل القوى .

(٢) السمط : الخيط الذي تنظم فيه الخرز .

(٣) في منتخبات البيان والبيان ص ١٧٩ : على القريب الحاضر . والقلم مطلق في

الشاهد والغائب ..

(٤) سورة الاحقاف : ٤٦ / ٤ .

وعن مجاهد في قوله تعالى « يؤتي الحكمة من يشاء » ^(١) قال : الخط .
« ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » يعني الخط .
وقال بعض الحكماء : القلم والسيف حاكمان في جميع الاشياء ، ولولاهما
ما قامت الدنيا .

وكانت العرب تعظم قدر الخط جداً ، وتعدّه من أكبر المنافع . فحينئذ ،
يجب على من يتعاطى الكتابة أن يكون طويل الروح عالماً ببرايه القلم
وقطه وغلظه وطول جلفته . وأن يعرف أي حرف يمد ، وأي حرف لا يمد ،
وعند أي حرف يمد ، ثم يعتني بعد ذلك بأمرين :
أحدهما : تقويم الحروف على أشكالها الموضوعة لها ، فيعطي كل حرف
حقه ، ليصير الخط مبيناً .

وثانيهما : ضبط ما اشتبه بالنقط والشكل المميز لها . ثم مازاد على هذين
الشيئين من تحسين الخط وملاحة نظمه ، فانما هو زيادة حذق بصنعتة وليس
شرطاً في صحته .

قال بعض شعراء البصرة :

اهذر أخاك على رداءة خطه	واغفر نزالته ^(٢) بجودة ضبطه
واعلم بان الخط ليس يراد من	تركيبه الانبيتن سمطه
فاذا أبان عن المعاني لم يكن	تحسينه الازيادة شرطه

فمازاد على الخط المفهوم من تحسين الصورة كالزائد على الكلام المفهوم
من فصاحة الالفاظ وصحة الاعراب .

ولهذا قالت الاعراب : حسن الخط أحد الفصاحتين فكما لا يقدر من أراد

(١) سورة البقرة : ٢٦٩/٢ .

(٢) النزلة : الانحراف وهو في الاصل سيلان الارض من ادنى مطر لصلابتها

التقدم في الكلام أن يطرخ الفصاحة وصحة الاعراب - وان فهم وأفهم - كذلك لا يقدر من أراد التقدم في الخط أن يطرح تحسين الصورة وتصحيح الحروف - وان فهم وأفهم - .

وربما تقدم بالخط من كان الخط كل فضائله ، حتى صار علماً مشهوراً وفريداً مذكوراً ، غير أن العلماء اطرخوا صرف الهمّة الى تحسين الخط لانه يشغلهم عن العلم ، ولذلك تجد خطوط العلماء في الاغلب ردية .

فصل

قد يعرض للخط ما يمنع من فهمه كالتقص والزيادة ووصل المفصول، و فصل الموصول، وضعف الخط عن تقويم الحروف على الاشكال الصحيحة . وقد يفهم بعد ذلك باعتبار جودة القريحة وكثرة الممارسة والتأمل أو لقلّة الزيادة والنقيصة وما أشبه ذلك .

وقد يعسر أيضاً فهمه لاغفال نقط، أو شكل، أو وضعهما في غير موضعهما . والامر في هذين أسهل من الاول لان من كان متميزاً بصحة الاستخراج ومعرفة الخط وقوة البديهة، لا يتعسر عليه ذلك، بل قد استقبح ذلك - اعني : الاستقصاء في النقط والشكل - في المكاتبات ورأوه من تقصير الكاتب أو سوء ظنه بفهم المكاتب وكان استقبحا لهم ذلك في مكاتبة الرؤساء اكثر حتى قالوا: النقط والشكل في الكتاب استغناء للمكاتب .

اما في سائر العلوم فلم يروه قبيحاً خصوصاً في كتب الادب التي يقصد بها معرفة صيغ الالفاظ ككتب العربية والشعرية ^(١) فانهم رأوا ضبطها بالنقط والشكل مستحسناً، بل واجباً، لكثرة الاحتياج اليه .

قال الثوري: الخطوط المعجمة كالبرود المعلّمة .

وقال بعض البلغاء: اعجام الخط يمنع من استعجابه ، وشكله يمنع من

(١) كذا في النسختين والاصح العطف بدون يا النسبة. (والشعر)

اشكاله .

وقال بعض الادباء: ربّ علم لم يعجم فصوله فاستعجم محصوله .
وكما استقبح الكتاب الشكل والاعجام^(١) في المكاتبات - وان كان
في كتب العلوم مستحسناً - فكذلك استحسنوا مشق^(٢) الخط في المكاتبات
وان كان في كتب العلوم مستقبهاً .
وسبب ذلك أنهم لفرط ادلالهم^(٣) بالصنعة وتقدمهم في الكتابة يكتفون
بالاشارة، ويقتصرون على التلويح ويرون الحاجة الى استيفاء شروط الابانة^(٤)
تقصيراً .

لطيفة .

حكى عن بعض الصدور : أنه وجد على ثيابه أثراً من صفرة فطلّاه
بالمداد، ثم قال: المداد بنا أحسن من الزعفران، ثم أنشد :
انما الزعفران عطر الغواني ومداد الدويّ عطر الرجال
ثم أنه قد تعاطى بعض مترفي الطلاب والكتاب، الالغازو الرموز، فلنتكلم
على شيء من ذلك موجزين :

(١) - الاعجام: تنقيط الحروف .

(٢) - المشق: مد الحروف .

(٣) - الادلال هنا بمعنى التقدم والحدق .

(٤) - الابانة: التوضيح .

باب الالغاز والرموز

قديواضع^(١) الشخص فيقصد بباطن كلامه غير ظاهره ، فان كان ذلك في الشعر سمي « لغزاً » أو في النثر « رمز » .

أما اللغز: فيقال: بفتح الغين وسكونها، والفتح أفصح، وهو: تحدي اهل الفراغ وشغل اهل البطالة، ليتنافسوا في تباين قرائحهم، ويتفاخروا في سرعة خواطرهم، فيستكدوا^(٢) خواطر قد منحوا صحتها فيما لايجدي نفعاً ولايفيد علماً ، فهم كأهل الصراع ، الذين صرفوا مامنحوه من صحة أجسادهم في صراع ربما يؤدي الى فسادهم، مع أنه لايكسب لهم حمداً، ولايؤثّل لهم مجداً، فأولئك وهؤلاء كالحمير التي تنسافر^(٣) على التحقيق، لولا أن تنسافر الحمير يفضي الى قطع الطريق، انظر الى قول بعضهم :

رجل مات وخلا رجلاً	ابن عمّ ابن أخي اخت أبيه
معه امّ بنّي أولاده	وأبسا أخت بنّي عمّ أخيه

أخبرني عن هذين البيتين - الذين يروّع صورة^(٤) ماتضمننا من السؤال -

(١) يواضع: يراهن .

(٢): يتعبوا .

(٣) من السفر وهو السرعة في الذهاب .

(٤) كذا الظاهر ، والكلمة مشوهة في الاصل ، وكتب في نسخة الدرعي

(صوبه) .

إذا استكدت المرأة الفكر في استخراجهما، علم^(٢) أنه أراد ميتاً خلف أباً وزوجة وعماً. ما الذي افاده من العلم؟ ونفى عنه من الجهل؟

فنحن لانستبعد ان يرد علينا امثال هذا فنستكد افكارنا ونصرف اوقاتنا في استخراجيه ثم نكون بعده كما كنا قبلاً فليصرف العاقل نفسه عن علوم النوكى^(٢)، وتكلف البطالين .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : من حسن اسلام المرء : تركه ما لا يعنيه .

وليجعل العاقل ما من الله عليه من صحة القريحة وسرعة الفهم مصروفاً الى علم يكون انفاق العمر فيه مذخوراً، وكذا الفكر فيه مشكوراً .
فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ .
ونحن نستعبد بالله أن نغب في فضل نعمه علينا او نجعل نفع احسانه الينا .

قال بعض البلغاء : من أمضى يومه في غير حق قضاءه، أوفرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصّله أو خير أسّسه، أو علم اقتبسه : فقد عق يومه وظلم نفسه .

(١) في النسختين : فعلم .

(٢) الحمقى .

فصل

وأما الرمز: فلسـت تجده في علم معنوي، ولا في كلام لغوي وانما يختص غالباً بأحد شيئين :

أما بمذهب خفي شنيع يخفيه معتقده ، ويجعل الرمز به سبباً لتطللّـع النفوس اليه، واحتمال التأويل فيه سبباً لدفع التهمة عنه .
وأما بما يدعي أربابه أنه علم معوز ^(١)، وأن ادراكه بديع معجز كآرباب صنعة الكيمياء حيث رمزوا بأوصافها وأخفوا معانيها ، ليوهـموا الشـحّ بها ، خديعة للعقول الواهية، والآراء الفاسدة .

قال الشاعر :

منعت شيئاً فأكثرـت الوقوع به أحب شيء الى الانسان مامنـا
ثم ليكونوا براء من عهدة ما قالوا اذا جرّـب، ولو كان عندهم وراء الرمز معنى صحيح أو علم مستفاد لخرج من الرمز الخفي الى العلم الجلي ، لان أغراض الناس - مع اختلاف أهوائهم - لاتنـفـق على سرسليم، وإخفاء مفيد .
قال الشاعر :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

(١) نادر الوجود .

باب الدنيا

صريح اسمها دليل على لؤمها. ، فهي دنيا كما سميت، لانها ان واصلت
فتبعات موبقة، أوفارقت ففجعات محرقة .
فمن النبي صلوات الله عليه أنه قال: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى
الا فيها، ولا ينال ما عنده الا بتركها .
وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .
وقال عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم
الماء والنار في اناء واحد .
وقال وهب : الدنيا والاخرة كضرتين ان أرضيت أحدهما أسخطت
الآخرى .
وقال عيسى عليه السلام : تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا
تعملون للاخرة وأنتم لا ترزقون فيها الا بعمل ؟ .
وقال عليه السلام : أوحى الله تعالى الى الدنيا : من خدمني فاخدميه ومن خدمك
فاستخدميه .
وقال عليه السلام : ان أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن
يميت قلوبهم ، وتركوا منها ما علموا أنه سيبتركهم .

وقال علي رضي الله عنه : الدنيا أولها عناء ، وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها ندم ومن افتقر فيها حزن من ساعاها ^(١) فاتته ومن قعد عنها آتته ومن نظر اليها أعمته ومن نظر بها ^(٢) بصبرته .

وقال لقمان الحكيم : يا بني ، الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير ، فليكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الايمان بالله عز وجل ، وشراعها التوكل على الله ، لعلك ناج ، وما أراك ناجياً .

وقال بعض البلغاء : الدنيا لاتصفوا لشارب ، ولاتفي لصاحب ، ولاتجلو من محنة ، ولاتخلو من فتنة ، فأعرض عنها قلبك ، قبل أن تعرض عنك ، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك ، فان نعيمها يتبدل وأحوالها تنتقل ، ولذاتها تفنى ، وتبعاتها تبقى .

وقال بعضهم أيضاً : الدنيا تقبل اقبال الطالب ، وتدبر ادبار الهارب ، وتصل وصال الملوك وتفارق فراق العجول ، فخيرها يسير ، وعيشها قصير مرير واقبالها خديعة ، وعطاؤها وديعة ، ولذاتها فانية ، وتبعاتها باقية ، فاغتنم فيها غفوة الزمان ، وانتهاز فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك ، وتزود من يومك لغدك .

وقال بعض الحكماء : الدنيا اما نعمة نازلة ، أو نعمة زائلة .

وقال أبو العتاهية :

هي الدار دار الازى والقذى ودار الفناء ودار الغير
فلونلتها بحدافيرها لمت ولم تقض منها الوطر

(١) ساعاها : جاراها .

(٢) نظر بها : استدل باحوالها وفي نهج البلاغة (الخطبة ٨٠) ابصر بها ، وفي نسخة المرعشى : نظر فيها .

أيا من يؤمل طول الحياة وطول الحياة عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب فلاخير في العيش بعد الكبر
وقال بعض الحكماء : انك لن تصبح في شيء من الدنيا ، الا وقد كان له
أهل قبلك ، ويكون له أهل بعدك ، وليس لك في الدنيا الا عشاء ليلة وغذاء
يوم ، فلا تهلك في أكلة ، وصم الدنيا وأفطر على الاخرة ، فان رأس مال الدنيا
الهوى ، وربحها النار ^(١) .

وقال بعضهم : ماضى من الدنيا كأن لم يكن ، وما بقى منها كما قد مضى
فمن عرف الدنيا ثم طلبها فقد أخطأ الطريق ، وحرّم التوفيق ^(٢) .
وقال بعض الزهاد : لا تنظر الى دنيا الملوك وخفض عيشهم فيها ، ولكن
انظر الى سرعة ظعنهم عنها وقلة ما يصحبهم منها .

وكان عمر بن عبد العزيز (رضه) كثيراً ما يتمثل بهذه الايات :
نهارك - يا مغرور - سهو وغفلة وليك نوم والاسى لك لازم
تسر بما يغنى ، وتفرح بالمنى كما سر بالذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكسر غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
وحكى الاصمعي قال : دخلت على الرشيد يوماً فوجدته ينظر في كتاب
ودموعه تسيل على خديه ، فلما رآني رمى الي بالقرطاس ، واذا فيه شعر أبي
العتاهية وهو :

هل أنت معتبر بمن خربت	منه غداة قضى دساكره ؟
وبمن أذلّ الدهر مصرعه	فتبرأت منه عساكره
وبمن خلست منه أسرته	و تعطلت منه منابره
أيسن الملوك وأيسن غيرهم	صاروا مصيراً أنت صائره
يا مؤثر الدنيا لذتها	والمستعبد لمن يفاخره

نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا ~~بما~~ فان الموت آخره
ثم قال الرشيد : والله لكأنني اطلب بهذا الشعر ، فما لبث الا يسيراً حتى
مات .

فمن وفقه الله للنظر الى باطن الدنيا وشر منقلبها بعين بصيرته ، وأجال فيما
تلونا عليه من المواعظ والامثال صافي فكرته ، بعثه عقله السليم على شيئين :
الزهد فيها وفي حطامها ، والقناعة بما يسد الخلة في قليل أيامها ، فيسلم حينئذ
من آثامها

فصل (١)

أما الزهد : فهو في أصل اللغة عدم الرغبة ، من زهد في الشيء: اذا لم يرغب فيه ، وأما في الاصطلاح : فهو سجيّة في النفس تقتضي تحقير الدنيا وحطامها تحقيراً يمنع من طلبها والرغبة فيها .

وعلى هذا فقد يكون الغني ذو الاموال الجزيلة زاهداً ، والفقير الذي لا يملك شيئاً راغباً .

ولهذا قال البسطامي : ليس الزاهد من لا يملك شيئاً ، ولكنه السذي لا يملكه شيء .

وهو من أعظم المقاصد ، وأجل الموارد ، حيث به يكون رضا الله تعالى لانه قد أمر به وحثّ عليه ، ورضا الناس ، لانّ محبوب كلّ أحد من ترك منازعته فيما يديه ، وكفى بذلك رفعة وراحة .

والباعث عليه - مع كرم النفس وشرفها - عقل بصير ونظر خطير كشفها عن دناءة الدنيا وكثرة معائبها ، فعلموا أنها جديرة باستحقاقها والزهد فيها ، وأوجبا الرغبة في رضا الله بدلا منها ، والثقة بحصول ما عنده عوضاً عنها .

قال بعضهم : الزهد بصحة اليقين ، وصحة اليقين بنور الدين .

وقال سعيد بن المسيب : مرّ بي ابن أشيم فما تمالكت أن نهضت اليه

(١) في نسخة المرعشي فصل : الزهد .

فقلت : يا أبا الصهباء ، أدع لي ؟
 فقال : رغبتك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ، ووهبك اليقين الذي
 لاتسكن النفوس الا اليه ، ولايعول في الدين الاعليه .
 ومرم محمد بن واسع بقوم ، فقيل : هؤلاء زهاد ، فقال : وما قدر الدنيا
 حتى يحمد من زهد فيها ؟ !
 فرحمه الله ما أبلغ جوابه .
 ودخل قسوم الى منزل زاهد فلم يجدوا شيئاً يقدون عليه فقالوا له في
 ذلك ، فقال : لو كانت دار مقام لاتخذنا لها أثاثاً .
 وقيل لبعض الزهاد لما مرض : ألا توصي ؟
 فقال : بماذا ؟ والله معاً لنا شيء ، ولا لنا عند أحد شيء ولا لاحد عندنا
 شيء .
 فانظر الى هذه الراحة والسلامة ، ولهذا قيل : الفقر ملك ليس فيه محاسبة

فصل^(١)

وأما القناعة : فهي عبارة عن الرضا بما يسد الخلة ، وترك التعرض لما سواه ، وأما الرضا بقول مطلق : فهو أعلى منزلة منها ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى^(٢).

وحيث كان الرضا مأخوذاً في تعريف القناعة ، فهي من أعظم المنافع ، وأربح البضائع ، لما يترتب عليها من راحة النفس ، وسلامة الجسم من هموم زوائد المكاسب ، وكد المطالب ، ورضا الرحمان ، والفوز بالجنان . قال مجاهد في تأويل قوله تعالى : « فلنحيينّه حياة طيبة »^(٣) : يعني القناعة .

وعن النبي ﷺ : إذا أردت أن تحيا عزيزاً غنياً ، فلا تكن على حالة الارضية بما دونها .

وعنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : مامن عبد الا بينه وبين رزقه حجاب ، فان قنع أتاها رزقه وان هتك الحجاب لم يزد في رزقه . قال ابن الرومي :

(١) في نسخة المرعشي فصل : القناعة .

(٢) في خاتمة الباب : ١٣ / الصبر والجزع .

(٣) سورة النحل : ٩٧ / ١٦ .

جری قلم القضاء بما يكون	فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق	ويرزق في غشاوته الجنين
وقال بعض الحكماء : من قنع	كان غنياً -- وان كان فقيراً -- ، ومن لم
يقنع كان فقيراً -- وان كان غنياً -- .	
قال أبو العتاهية :	
قنّع النفس بالكفاف والا	طلبت منك فوق ما يكفيها
انما أنت طول عمرك ما عمرت	في الساعة التي أنت فيها

فصل

مسن أبت نفسه قبول نصحه في الرضا باليسير فليس الى اكراهها سبيل
الا بالرياضة، فيستنزلها باليسير الذي لاتنفر منه .
فاذا استقرت عليه ، استنزلها الى ما هو أيسر منه ، لتنتهي بالتدرج الى
الغاية المطلوبة ، والمرور على الحالة المحبوبة ، كل ذلك بعد ايراد المواعظ
وضرب الامثال ، وذكر قهر العمر ، وشبه ذلك .
وحيث قد عرفت أن القناعة رفض مازاد عن قدر الكفاية ، فقددر الكفاية
من المأكل والملبس والمسكن ونحو ذلك ، مما لا بد منه لبقاء هذا الشخص
الانساني في الدنيا ليتزود منها الى الآخرة .
ولذلك روي عن النبي ﷺ انه مدحها فقال : نعم المطية الدنيا فارتحلوا
بها تبلغكم الآخرة .
وذم الدنيا رجل عند علي رضي الله عنه فقال : الدنيا دار صدق لمن
صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها .
فلنرجع الى الكلام على الدنيا فنذكر طرفاً مما تنتظم به .

فصل

من لطيف حكمة الله تعالى انه خلق الخلق محتاجين عاجزين ، ليكون جل وعز منفرداً بالغنى ، مختصاً بالقدرة . ثم جعل الانسان أكثر حاجة من جميع نوع الحيوان ، لان باقيه يستقل بنفسه ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان الا نادراً ، وأما الانسان فهو مطبوع على الافتقار الى جنسه والى غيره ، كما لا يخفى ، وانما خصه الله تعالى بكثرة الحوائج لطفاً به ، ليمنعه ذل الحاجة ومهابة العجز عن الطغيان بالغنى والقدرة ، لان الطغيان مركوز في طبعه اذا استغنى ، كما اخبر الله تعالى ^(١) والبغى مستول عليه اذا قدر .

قال ابو الطيب المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذاعفة فلعله لا يظلم .
ولما خلقه الله تعالى ماس الحاجة ، ظاهر العجز ، جعل لنيل حاجاته اسباباً
ولدفع عجزه أبواباً ، دله عليها بالعقل .
قال الله تعالى : «والذي قدر فهدى» ^(٢) .
فلزم أن يصرف الانسان الى دنياه حظاً من عنايته ، لانه لاغناء به عن
التزود منها للآخرة .

(١) حيث قال سبحانه « ان الانسان ليطغى ، ان رآه استغنى »

(سورة الملق : ٧/٩٦) .

(٢) (سورة الاعلى : ٣/٨٧) .

ولابد له من سد خلته ، كما قد بينّاه آنفاً ، وليس هذا نقضا لما قلناه
أولا من الحث على ترك فضولها وزجر النفس عن الرغبة فيها ، فان جميع ذلك
فيما تجاوز قدر الحاجة والا فقد قال الله تعالى ، لنبيه ﷺ : «فاذا فرغت فانصب ،
والى ربك فارغب»^(١).

قال أهل التأويل : يعني اذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عبادة ربك .
وليس هذا القول منه ترغيباً لنبيه - ﷺ - فيها ، ولكنه نذبه الى أخذ
البلغه منها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة
ولا الاخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه^(٢) .
وحكى مقاتل : ان ابراهيم الخليل ﷺ قال : يارب الى متى أتردد في
طلب الدنيا ؟

ف قيل له : أمسك عن هذا ؟! فليس طلب المعاش من طلب الدنيا .
وقال سفيان الثوري : مكتوب في التوراة ، يا بن آدم : اذا كان في البيت
برّ فتعبّد ، وان لم يكن فاطلب ، يا بن آدم : حرك يدك يسبب لك رزقك .
وقال بعض الحكماء : ليس الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض
فيها .

فوجب بما بينّاه النظر في أمور الدنيا ، وسبر أحوالها ، ليعلم أسباب
صلاحها وفسادها ، فتقصد الامور من أبوابها .

(١) سورة الانشراح : ٧/٩٤ - ٨ .

(٢) كذا والظاهر : لهذه .

فصل

يتضمن طرفاً مما ينتظم به أمرها

ومن لطيف حكمة الله تعالى وحسن تدبيره : أنه لم يجعل الدنيا لجميع أهلها مسعدة ، ولا عن كافة ذويها معرضة ، لان اعراضها عن جميع أهلها عطب واسعادها لكافتهم فساد .

بل ابتلافهم [و] ^(١) اختلافهم لاجل المساعدة والتعاون ، اذ لو تساوا جميعهم لم يجد أحدهم الى الاستعانة بغيره سبيلا ، ولم يرض أحد منهم بكد نفسه بالصنایع الدنيّة المحتاج اليها ، لو جعلهم كلهم سعداء . ولم يقدر أحد منهم على احتمال المشاق والكلف في السفر الطويل لاجل قليل ما يحتاج اليه من مأكل وملبس أو دواء او شبه ذلك ، لو جعلهم كلهم فقراء .

ولو كان كذلك لهلكوا حينئذ عجزاً ، او ضعفوا فشلاً . بل جعلهم مختلفين مؤلفين بالمعاونة ، متواصلين بالحاجة . قال تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » ^(٢) . سبحانه ما أعظم شأنه ! وأعظم اتقانه !

(١) ليس في النسختين وإنما أضفناه لسياق الجملة .

(٢) (سورة النحل : ١٦ / ٧١) .

ثم إن صلاح الدنيا مصلح أحوال أهلها ، لظهور دياناتهم ، ووفور أماناتهم
وفسادها مفسد لهم لقلّة أماناتهم ، وضعف دياناتهم .
فلا شيء أنفع من صلاحها ، كما انه لا شيء أضر من فسادها ، وصلاحها من
سنة أشياء ، هي القواعد ، وإن تفرع عليها غيرها .

الاول : الدين المتّبع :

لانه يصرف النفوس عن شهواتها ويقهرها في خلواتها فيكون الدين أقوى
قاعدة في صلاح الدنيا .
ولهذا لم يخل الله جل وعز خلقه من تكليف شرعي يتقادون لحكمه ، فيترتب
عليه حفظ الاصول والفروع .

الثاني : السلطان القاهر :

لانه يجتمع لهيبته القلوب المتفرقة ، وتنكف^(١) لسطوته الايدي الغالبة ،
لان حبّ الغلبة والرفعة والاستيثار بالاموال وتوابعها مركوز في طبع الانسان .
كما قال تعالى : « زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ » الآية^(٢) .

فهي لا تردع عنه الايمان قوي ، وقد أفصح المتنبي بذلك في قوله :
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه السدم
والمظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فسلعة لا يظلم

(١) تنكف : تعبدل وتمتنع عن ظلم غيرها .

(٢) قنمة الآية ... من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المثاب .

(سورة آل عمران ١٤/٣)

وهذه العلة المانعة إما دين ، أو سلطان ، أو عجز ، ولا يكاد يكون لها رابع ، ورهبة السلطان أبلغها ، لأن الدين ربما كان مضعوفاً بداعي الهوى .
وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم »^(١) .

وقال ابن مسعود : السلطان ربما يفسد ، وما يصلح الله به أكثر ، فإن عدل فله الاجر وعليكم الشكر ، وإن جار فعليه الوزر وعليكم الصبر^(٢) .
ثم لا يخفى ما في السلطان من حراسة الدين والذب عنه ، ومنع الاهواء منه ، وزجر من شذ عنه ، أو سعى فيه بفساد ، ومن ثم وجب اقامة امام يكون زعيم الامة ليكون الدين محروساً جارياً على أحكامه .

إذا عرفت ذلك فالذي يجب على امام الامة سبعة أشياء :
الاول : حفظ الدين من التبديل والحث على العمل به .
الثاني : حراسة الدين والذب عن الامة من عدو في دين أو باغ في نفس أو مال .

(١) سوف يأتي تفسير السلطان الموصوف بهذا الوصف وهو الامام العادل الحاكم بحكم الله تعالى والعامل بواجباته السبعة التي سيذكرها بعد قليل ..
(٢) قد أورد ابن مسكويه الحديث عن رسول الله ﷺ : فإن عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر ، وإن جار كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر ، وهذا تمام المروي عن النبي فيما سبق راجع الحكمة الخالدة ص ١٧٩ ، وليس الصبر هو السكوت عما يفعله والرضا بذلك فإن هذا المعنى من تحريفات المغرضين أعداء الاسلام ، لهذا المفهوم الاسلامي العميق . بل الصبر هو الاستقامة والصمود والتحدى لرفع الجور وإزالة العدوان وهذا المعنى واضح في كل مورد وردت فيه هذه الكلمة فقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

الثالث : عمارة البلدان باعتماد ^(١) مصالحها وتهذيب سبلها ومسالكها .
الرابع : تعاطي ما يتولاه من الاموال بسنن الدين من غير تحريف في أخذها .
ولافي اعطائها .

الخامس : معاناة ^(٢) المظالم والاحكام ، بالتسوية بين أهلها .
السادس : اقامة الحدود على مستحقها ، من غير تجاوز ولا تقصير .
السابع : اختبار خلفائه في الامور أن يكونوا من أهل الكفاية والامانة عليها .
فاذا فعل السلطان ذلك كان مؤدياً حتى الله فيهم مستوجباً لطاعتهم ، وان
قصر كان بها معاقباً وعليها مؤاخذاً ، ويكون من الرعيّة على ارتقاب معصية
او موت ، فيتربصون به الفرص .

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال : ما من أمير على
عشرة الا وهوياتي يوم القيامة مغلولة يدها على عنقه حتى يكون عمله هو الذي
يطلقه أو يوبقه ^(٣) .

الثالث : العدل

والعدل يستعمل على معنيين عام وهو الاعتدال، وخاص وهو ما يطلبه الرعيّة
من سلاطينهم ، ويقابل الجور والظلم .
اما العام فهو عبارة عن التوسط بين التقصير والسرف ، لانه مأخوذ من
الاعتدال، ومنه العدالة ، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عنه .
قالت الحكماء : الفضائل هبات متوسطة بين خلتين ناقصتين .

(١) في نسخة المرعشي : باعمار

(١) المعاناة: المقاساة ويراد بها معالجة المظالم.

(٢) أى ان الامة تترقب للوثوب عليه لقله أو لمخافة أو امره ومهينه ما يمكن.

فالحكمة : واسطة بين الشر والجهالة ، والشجاعة واسطة بين التهور والجبن ، والعفة : واسطة بين الشره وضعف الشهوة ، والسكينة واسطة بين الجمود والخفة ، والظرف : واسطة بين الخلاعة والوقار ، والتواضع : واسطة بين الكبر ودناءة النفس ، والسخاء : واسطة بين التبذير والتقتير ، والحكم : واسطة بين السخط وعدم الغضب ... وعلى هذا ، فلست ترى فساداً الاوسببه الخروج عن العدل من زيادة أو نقصان .

واما الخاص : فالكلام عنه هنا هو المقصود بالذات ، فبه تكون الالفه ، والطاعة ، وعمارة الارض ، وانماء الاموال ، واطمئنان النفوس .

وبالجملة لاشيء أنفع من العدل ، كما أنه لاشيء أضر من الجور .

قال الاسكندر لحكماء الهند : أيما أفضل العدل أم الشجاعة ؟ !

فقالوا : اذا استعمل السلطان العدل أغناه عن الشجاعة .

وقال بعضهم : العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه

في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه واستعن على العدل بخلتين : قلة الطمع ، وكثرة الورع .

فصل :

واذا كان العدل من احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها الا به وجب أن يبدأ الانسان بعدله في نفسه ، ثم بعدله في غيره .
أما عدله في نفسه : فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح ، ثم توقيف أحوالها على أعدل الامرين : من تجاوز ، او تقصير .
فان التجاوز بها جور ، والتقصير فيها ظلم ، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم .

وأما عدله في غيره ، فثلاثة اقسام .
الاول : عدله فيمن دونه ، كالسلطان مع رعيته والرئيس مع صحابته ، وعدله بأربعة أشياء :
اتباع الميسور ، وحذف المعسور ، وترك التسلط بالقوة ، وابتغاء الحق في السيرة .
فان اتباع الميسور أدوم ، وحذف المعسور أسلم ، وترك التسلط أجلب للمحبة ، وابتغاء الحق أبعث على النصرة .
وهذه الامور ان لم تسلم للزعيم كان تطرق الاختلال اليه أكثر وأظهر .
روي عن النبي ﷺ انه قال : أشد الناس عذاباً من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه .

أوس يرفعه : من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من

الاسلام .

مجاهد يرفعه : يسلط الله الحزن على أهل النار فيقال لهم : هذا ما كنتم تؤذون المؤمنين .

وقال علي رضي الله عنه : يقول الله : أشد غضبي على من ظلم من لم يجد ناصراً ومن سلب نعمة غيره سلب الله نعمته .

حكى : ان محمد بن مروان قال : صرت الى جزيرة النوبة في آخر أمرنا ، فأمرت بالمضارب فضربت ، فخرج النوبة يتعجبون منها ، ثم أقبل ملكهم وهو رجل طويل أصلع حاف عليه كساء من صوف ، فسلم ، وجلس على الأرض .

فقلت له : مالك لاتقعد على البساط ؟

قال : أنا ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع له اذ رفعه ثم قال لي : ما بالكم تطئون الزرع بدوابكم ، والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ فقلت ، عبيدنا فعلوه بجهلهم .

فقال : ما بالكم تلبسون الديباج ، وتتحلون بالذهب ، وتشربون الخمر ، وكل ذلك محرم على لسان نبيكم ؟

فقلت : فعل ذلك أعاجم من خدمنا كرهنا الخلاف عليهم .

قال محمد بن مروان : فجعل ملك النوبة يكرر معاذيري على وجه الاستهزاء ثم قال : ليس كما تقول ، يا ابن مروان ولكنكم قوم ملكتم وظلمتم بنير استحقاق وتركتهم ما أمرتم به ، والله منكم نقمة لم تبلغ ، واني أخشى أن تبلغ بكم وأنتم في أرضي ، فارتحل عني .

الثاني عدله فيمن فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها وهو بشيئين : اخلاص الطاعة ، وبذل النصرة .

فان اخلاص الطاعة أجمع للشمل ، وبذل النصرة أدفع للوهن .

قال بعضهم : أطع من فوقك يطعك من دونك .
 الثالث : عدل الانسان مع أكفائه ويكون بثلاثة أشياء :
 ترك الاستطالة ، وكف الاذى : ومجانبة الادلال .
 لان ترك الاستطالة آلف ، وكف الاذى أنصف ، ومجانبة الادلال اعطف
 فان لم يخلص هذه الثلاثة في الاكفاء أسرع فيهم التقاطع
 قال بعض الحكماء : كل عقل لا يدارى به كل الناس فليس بتام .

الرابع مما يصلح به أمر الدنيا : الامن العام
 المقابل للخوف ، وبه تطمئن النفوس وتنتشر الهمم .
 قال بعض الحكماء : الامن أهني عيش ، والعدل اقوى جيش ، لان الخوف
 يقبض الناس عن مصالحهم ، ويكفّهم عن أسباب المواد التي بها قوام مرادهم .

الخامس الخصب في الدار .

اذ به تتسع الاحوال ويشارك فيه ذوا الاكثار والاقلال ، فيقل في الناس
 الحسد ، وتتسع النفوس ، وتكثر المواساة .
 ولان الخصب يؤول الى الغنى ، والغنى يحدث الامانة والسخاء .
 كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الأشعري : لا تستقصين الا ذا حسب
 او مال ، فان ذا الحسب يخاف العواقب ، وذا المال لا يرغب في مال غيره .
 وقال بعض السلف : وجدت خير الدنيا والاخرة في خصلتين : التقى
 والغنى ، وشرّ الدنيا والاخرة في خصلتين : القصور والفقر .

(١) الادلال : الانبساط والاجترأ على الصديق وثوقاً بمحبته .

(٢) في النسختين : الخصب .

قال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى
ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

وقال الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتماعا
واقبح الكفر والافلاس في الرجل

السادس : الامل الفسيح

وهو الباعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيفائه .
ولولا أن الثاني يترفق بما أنشأه الاول ، فيصير به مستغنيا ، لشق عليه
استحداث كل ما يحتاج اليه ، فلو اقتصر أهل كل عصر على ما يحتاجون
اليه لحصل من الاعواز وتعذر الامكان ما لانجفاء فيه .
فلذلك وسّع الله لخلقه الامل . حتى عمروا الدنيا ، فتنقل الى القرن الاخر
معمورة ، ولو لا ذلك لما تجاوز أحد قدر حاجته في يومه ولا تعدى ضرورة
وقته وكانت تنتقل الى من بعده خراباً ثم تنتقل الى من بعده بأسوء من ذلك ،
وهكذا . . .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : الامل رحمة من الله تعالى لامتي ، ولو لاه
ما غرس غارس شجراً ، ولا أرضعت أم ولداً .
واما الامل المتعلق بالآخرة والتسويق وشبه ذلك فسيأتي في فصل مفرد
ان شاء الله تعالى (١) .

(١) في الباب : ٢١ / الامل والتسويق والرجاء والمني .

فهذه الامور الستة هي التي تنتظم بها أمور الدنيا وبحسب ما اختل منها يكون اختلالها .

وبعيد أن يكون أمرها كاملا وصلاحيها شاملا ، لأنها موضوعة للتغيير والفناء ، والتكاليف الشاقة التي يترتب عليها الجزاء .
سمع بعض الحكماء رجلا يقول : قلب الله الدنيا . فقال الحكيم : اذن تستوي لأنها مقلوبة .

واذ قد فرغنا بحمد الله تعالى وحسن توفيقه مما يصلح به حال الدنيا فلنذكر طرفاً مما يصلح به حال الانسان فيها مستعينين بالله تعالى .

فصل

ومما يصلح به حال الانسان في الدنيا ثلاثة أشياء :
نفس مطيعة الى رشدتها منتهية عن غيها .
والفة جامعة تعطف القلوب عليها وتدفع المكروه بها .
ومادة كافية تسكن النفس اليها ويستقيم الاود بها .
فلنوضح كل واحد بما اقتضاه الحال وأدى اليه النظر :

فصل :

أما النفس المطيعة : فلانّ النفس اذا أطاعت ملكت ، واذا ملكت انقادت
الى فعل ما يراه العقل من المصالح ، فتظفر بالسعادت .
واذا عصت ملكت واذا ملكت ، تهورت الى فعل ما تراه هي من القبائح ،
فتبوء بالخسارتين .
على أنّ من لم يملك نفسه فهو بأن لا يملك غيره أخرى .
وحاصل الامر : أن طاعة النفس وعصيانها بحسب سلامتها من استيلاء
دواعي الهوى والشهوات وعدمه ، وسلامتها من دواعي الهوى والشهوات
وعدمه بحسب غلبة العقل عليها وتملكه لها ، أو غلبتها عليه وتملكها له .

فصل:

وأما الالفة الجامعة: فلان الانسان مقصود بالاذية ، محسود على النعمة .
 فاذا لم يكن آلفاً مألوفاً تخطفته أيدي حاسديه ، وتحكمت فيه أهواء
 أعاديته فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة .
 وإذا كان آلفاً مألوفاً انتصر بالالفة على أعاديته وامتنع منهم بعشيرته وذويه .
 على أن الالفة من محاسن الشيم، ودلائل الاصل والكرم .
 فعن النبي ﷺ أنه قال المؤمن آلف مألوف، ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف
 وخير الناس أنفعهم للناس .
 والعرب تقول : من قلّ ذلّ .

وحيث كانت الالفة بهذه المنزلة فلنذكر نبذاً من أسبابها وهي أربعة :
 (الاول): الدين وذلك لبعثه على التناصر ومنعه من التدابر، هذا رسول الله
 صلى الله عليه بعث والعرب أشدّ الناس تقاطعاً وتعادياً^(١) حتى أن بني الارب
 الواحد كانوا يتفرقون أحزاباً، ويقتل بعضهم بعضاً، وكانت الانصار أشدّ العرب
 تقاطعاً وتعادياً ، فكان بين الاوس والخزرج اختلاف كثير ، وتباين فضيع ،
 وتهاج شنيع ، الى أن أسلموا فصاروا بالاسلام اخوانا متواصلين .

(١) يصف أمير المؤمنين على من أبى طالب (ع) أوضاع الناس قبل بعثة الرسول
 الاعظم (ص) فيقول : ان الله بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ،
 وأنتم - معشر العرب - على شر دين ، وفي شر دار ، منيخون بين حجارة خشن، وحيات
 صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب ، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم ..
 كما يصف تفرقهم العقائدي بقوله : وأهل الارض يومئذ ملل متفرقة ، وأهواء
 منتشرة ، وطوائف متشتتة بين مشبه لله بخلقه ، أو ملحد في أسمائه ، أو مشير الى غيره
 فهداهم من الضلالة وأنقذهم من الجهالة .. (نهج البلاغة : الخطبة/١٥٢٦) .

قال الله تعالى : «واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا» (١) .

ثم انه على قدر الالفة في الدين اذا ائتلف تكون المباشرة فيه اذا اختلف . هذا ابو عبيدة بن الجراح لما أسلم قتل أباه يوم بدر واتى برأسه الى رسول الله فلم يعطفه عليه رحم ولا كفته عنه اشفاق ، تغليبا للدين على النسب . ثم انه قد يختلف أهل الدين الواحد على مذاهب شتى فيحدث بينهم من العداوة ما يحدث بين مختلف الأديان ، وان خفى شيء من ذلك فلا يخفى ما كان بين المعتزلة - قابلهم الله بما يستحقونه - وبين أهل الحق - رفع الله درجاتهم - من المعاداة والبغض ، والتعصب والحمية ، والتشيع الفضيع ، الى أن احق الله تعالى الحق بكلماته ، وأبطل دابرهم ، وخسر هناك المبطلون .

(الثاني من أسباب الالفة): النسب ، لان حمية الارحام تبعث على التناصر حكمة من الله تعالى .

روي عن النبي ﷺ انه قال : الارحام اذا تماسست تعاطفت . ثم ان الارحام ثلاثة : والدون ، ومولدون ، ومتناسبون . اما الوالدون : فهم موصوفون مع سلامة حالهم بخلقين ، لازم بالطبع وحادث بالاكساب .

فاللازم بالطبع : الحذر والاشفاق .

والحادث بالاكساب : هو المحبة التي تنمو مع الاوقات ، وتتغير بتغير الحالات .

فاذا انصرف الوالد عن حب ولده فليس ذلك لبغضه ولكن لسوء

(١) (سورة آل عمران : ٣ / ١٠٣) .

حدثت من عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذي لا يزول عنه .
والامهات أكثر اشفاقاً ، وأشد حباً ، لما باشرن من الولادة ، وعانين من
التربية ، ولانتهن " أرق " قلوباً والين نفوساً ، فهن أكثر انفعالا .
ولذلك وجب ان يكون التعطف عليهن " من الاولاد أكثر ، جزاء
لفعلهن .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : أنهاكم عن عقوق الامهات .
وعنه ﷺ : ان " الله تعالى يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمتهاتكم ، ثم
يوصيكم بأمتهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم .
واما المولودون : فموصوفون أيضاً - مع سلامة حالهم - بخلقين :
أحدهما لازم بالطبع ، وهو الانفة والحمية للاباء من تهضّم او خمول
وهو في مقابلة الاشفاق من الاباء .
وثانيهما : منتقل وهو : الادلال ^(١) ، وهو في مقابل المحبة من الاباء ، وربما
يزول ويقل " باعتبار زوالها او قلتها .
واما المتناسبون : فهم من عدا الاباء والاولاد من الاعمام والاخوان ، وهم لا
يتصفون بالحمية الباعثة على النصرة ، فان حرسوا بالتواصل والتلاطف تاكدت
وكانت من أوكد اسباب اللفة .

وان أهملت غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت عداوة
وتباعداً .
ومن ثم قال بعضهم : الاب رب " ، والولد كمد ، والعم غم والخال وبال
والاقارب عقارب .
ومن اجل ذلك امر الله جل وعز بصلة الارحام ، فقال تعالى : «والذين

(١) الادلال : الانبساط .

يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» (١) .
قال المفسرون هي الرحم التي أمر الله تعالى بوصلها، ويخشون ربهم في قطعها .

وعن النبي ﷺ أنه قال: صلة الرحم منماة للعدد، مثرة للمال محياة (٢) في الامل، منسأة في الاجل .

وقال بعض الحكماء من لم يصلح لاهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك .

(التالثل من أسباب الالفة) المصاهرة : لانها استحداث مواصلة صدرت عن رغبة واختيار .

قال الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» (٣) .

يعني بالمودة : المحبة ، وبالرحمة : الشفقة ، وهما من أوكد أسباب الالفة .

وقد قيل: المرء على دين خليله، قال بعضهم: يعني زوجته، لما له اليها من الميل والحب ، فلا يجد الى المخالفة سبيلا .

ثم ان مبني عقد المصاهرة على خمسة أوجه :

الاول: المال، فاذا كان المال هو الباعث على العقد فالمال هو المنكوح، فان اقترن بأحد الأسباب الباعثة على الائتلاف جاز ان تدوم الالفة، وان انفرد فما اوشك بالعقد أن ينحل، وبالالفة ان تزول، لاسيما اذا غلب الطمع وقل الوفاء ،

(١) (سورة الرعد : ٢١/١٣) .

(٢) في الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٤ : محبة .

(٣) (سورة الروم : ٢١/٣٠) .

لان المال اذا وصل اليه فقد تقضى سبب الالفة .
 فقد قيل: من ودك لامر انقضى وداده بانقضائه .
 وقال بعض الفصحاء: من عظمتك لاستقلالك، استقلتك عند اقلالك .
 وان تعذرت القدرة عليه ولم يتمكن من الوصول اليه أعقب ذلك استهانة
 الأيأس بعد شدة الأمل ، فيحدث منه البغض والعداوة لان من أحببك طمعاً
 فيك، أبغضك اذا يئس منك .
 الثاني: الجمال، وهو أدوم للالفة لانه صفة لازمة ولذلك قيل : حسن
 الصورة أوّل السعادة .
 وعن النبي ﷺ: أعظم النساء بركة أحسنهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً .
 الاّ انهم كانوا يكرهون الجمال البارع ، اما لما يحدث عنه من شدة
 الادلال المفضي الى الملل .
 فقد قيل: من بسطه الادلال قبضه الملل .
 واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ، ويتوقاه الحازم من عواقب
 الفتنة .
 فقد قال بعض الحكماء: ايتاك ومخالطة النساء، فان لاحظهن سهم ولفظهن
 شتم .
 ورأى بعضهم صبيّاداً يكلم امرأة فقال: يا صبيّاد، احذر أن تصاد^(١) .
 وسمع عمر بن الخطاب امرأة تقول :
 ان النساء رياحين خلقن لكم وكلّكم يشتهي شمّ الرياحين
 فأجابها .

(١) هذا هو الاصح وفي النسختين ان تصطاد والتصحيح من كتاب الايجاز

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شرّ الشياطين
الثالث: الدين، وهو أحمد أسباب الالفه بداءً وعاقبة ، لان من طلب
الدين انقاد له واستقامت حاله به ويطلبه .

الرابع : الرغبة في الالفه ، وهذا يكون لاحد وجهين .

امّا: المكاثرة باجتماع الفريقين .

وامّا: التآلف الاعداء، فيقصد به تسكين صولتهم. وهذان الوجهان يكونان
غالباً في الامائل وأهل المنازل فالداعي الاول: الرغبة، والداعي الثاني الرهبة .
فان دام السبب دامت الالفه، وان زال السبب بزوال الرغبة أو الرهبة ،
خيف زوال الالفه، الاّ أن ينضمّ اليها أحد الاسباب الباعثة عليها .
الخامس: التعفف، وهو الوجه الحقيقي المبتغى بعقد النكاح وماسواه
أسباب متعلقة عليه ومضافة اليه .

روى عطية عن عكاف : ان النبي ﷺ قال له : يا عكاف ألك زوجة ؟
قال: لا .

قال: فأنت إذن من اخوان الشياطين، ان كنت من رهبان النصارى فالحق
بهم، وان كنت منّا فمن سنّتنا النكاح .

وهذا حثّ كبير منه ﷺ على التزويج .

والحق أنّه أفضل من التخلّي للعبادة، لادلّة كثيرة لو شرحناها اطلال
ذلك .

(الرابع من أسباب الالفه) : البر، ونعني به : المعروف، وهو نوعان :

قول وعمل .

اما القول: فهو عبارة عن طيب الكلام، وحسن البشر، والتودّد بالجميل
وهذا يبعث عليه كمال العقل، وحسن الخلق، ورقّة الطبع ولا مريّة في كونه
محدوداً، فان اسرف كان ملقاً مذموماً ، وان اقتصد به فهو البرّ المحمود .

قال ابن عباس في قوله تعالى : «والباقيات الصالحات»^(١) انها: الكلام الطيب .

وقيل للعتابي: انك تلقى العامة ببشر وتقريب، فقال : أدفع ضغينة بأيسر مؤنة. واكتسب اخوانا بأهون مبدول .
قال الشاعر :

بنسيّ انّ البرّ شيء هتين وجه طليق وكلام لبّين
وأما العمل : فهو بذل الجاه ، والاسعاد بالنفس ، والمعونة في النائبة وهذا يبعث عليه حب الخير للناس مع الرغبة في الاجر الجزيل والذكر الجميل .
وليس لهذا حد ولا فيه سرف ، لانه وان كثر فهو فعل خير يعود بنفع على صاحبه ، وهو اكتساب الاجر والذكر الجميل ومودّات الرجال، ونفع على المعان به .

فعن النبي ﷺ: كل معروف صدقة .
وعنه ﷺ: المعروف كاسمه، وأول من يدخل الجنة يوم القيامة المعروف وأهله .

قال الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وانشد الرياشي :

يد المعروف غنم حيث كانت تحمّلها كفور أو شكور
ففسى شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

(١) تنمة الاية «.. خير عند ربك ثواباً» وقد وردت في موضعين من القرآن الكريم

هما: (سورة الكهف ٤٦/١٨) و (سورة مريم: ٧٦/١٩) .

خاتمة .

ينبغي لمن قدر على اسداء المعروف - كائنا من كان - أن يعجّله حذر
فواته أو العجز عنه وليعلم ان ذلك من فرص زمانه، وغنائم امكانه ، ولا يهمله
ثقة بالقدرة عليه، فكم من واثق بقدرة فانت فاعقبت ندماً .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: من فتحت عليه باب من الخير فلينتهزه،
فانه لا يدري متى يفلق عنه .

وقيل لانوشيروان : أي " شيء أعظم المصائب عندكم ؟ فقال : أن يقدر
على المعروف فلا يصطنعه حتى يفوت .

قال الشاعر :

اذا هبت رياحك فاغتنمها	فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها	فلا يدري السكون متى يكون

فصل :

وأما المادة فلا يخفى أن الحاجة اليها لازمة للانسان كله ، لانه لا يدوم له حياة ، ولا تستقيم له دنيا الا بها ، ويلحقه من الوهن في نفسه والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر منها وهي تعدم بغير طلب أو سبب .

وأسبابها مختلفة متشعبة ، وذلك هو سبب ايتلافها لانهم لو اجتمعوا على سبب لفسد نظامهم وقد هداهم الله تعالى بقولهم الى أسبابها وكيفياتها حكمة منه تعالى فقال : «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا»^(١).

يعنى في معاشهم ، متى يزرعون مثلاً ، وكيف يفعلون ؟

وقال الله تعالى : «وقدر فيها أقواتها»^(٢).

قال عكرمة : جعل في كل بلد منها ما لم يجعله في الاخرى ، ليعيش بعضهم بالتجارة ، من بلد الى بلد آخر^(٣).

ثم جعل سبحانه وتعالى سد حاجتهم بوجهين : كسب ومادة .

فالمادة : ما كانت من أصول نامية . وهي شيطان : نبت وحيوان .

واما الكسب : فبالافعال والتصرف ، وذلك من وجهين : تقلب في تجارة

وتصرف في صناعة .

فأسباب المكاسب المعروفة اذن أربعة : نماء زراعة ، ونتاج ماشية ، وربح

(١) سورة الروم : ٧/٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٠/٤١ .

(٣) كذا في نسخة المرعشي ، وفي نسخة أخرى .

تجارة ، وكسب صناعة .

قال المأمون : من خرج عنها كان كلا عليها .

فلنصف حال كل واحد منها بما أدى اليه النظر واقتضته الحال :

أما الاول : فهو مادة أهل الحضر وسكان الامصار . والاستمداد بها أعظم نفعاً ، ومن ثم ضرب الله تعالى المثل فقال : «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة»^(١).

وعن النبي ﷺ : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

وقال ﷺ : الرزق في خبايا الارض . يعني : الزرع .

وقال كسرى لبعض جلسائه : ما قيمة تاجي هذا ؟ فاطرق ساعة ثم قال : ما أعرف له قيمة الا مطرة في أرض معوزة ، فانها تصلح من معاش الناس ما يكون مثل قيمة تاج الملك . فأعجب كسرى بجوابه .

وأما الثاني : فهو مادة أهل القلوات ، وسكان الخيام ، لانهم لما لم يضمهم دار ، افتقروا الى الاموال المتنقلة التي لا ينقطع نماؤها بالرحلة ، فاختاروا الحيوان ، لانه يستقل في النقلة بنفسه ويستغني في العلوفة برعيه ، ومنه مركوب ومحلوب فهو لهم أفضل لقلّة مؤنته عليهم ، ارشاداً من الله تعالى لعباده في تدبير المصالح .

وأما الثالث : أعني التجارة : فقد روي أنها تزيد في العقل وان تركها ينقصه .

قال النبي ﷺ : تسعة أعشار الرزق في التجارة ، والباقي في السائبات . ثم هي نوعان : تقلب في الحضر من غير سفر ، وهو احتكار رغب فيه أولوا

(١) سورة البقرة : ٢٦١ / ٢ .

الاقدار ، وزهد فيه ذوا الاخطار .

والثاني : تقلب بالاسفار ، وهو أليق بأهل المروءة والشأن ، وأكثر نفعاً
لانه أكبر خطراً .

فعن النبي ﷺ : المسافر وماله على قلّة ، الا ما وقى الله .
يعني : على خطر من الهلاك .

وقيل في التوراة : يابن آدم ، أحدث سفرأ أحدث لك رزقا .

وأما الرابع : وهو الصناعة : فأقسامها كثيرة ، لا يسعنا استيعابها ، الا ان
منها شريف وأشرف ، ووضع وأوضح فأشرف الناس نفساً منهيء لأشرفها
صنفاً ، وأرذلهم منهيء لأرذلها ، لان الطبع يبعث الى ما يلائمه ويدعو الى ما
يجانسه كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم .

فصل

لا يخلو حال الانسان في المكسب من ثلاثة أحوال :

الاول : أن يلتبس منها قدر كفايته فقط وهو أحمد أحوال الطالبين .

روى قتادة : عن رسول الله . أنه قال : أوحى الله الي كلمات قدخلن في أذني وقرن في قلبي ، وهن : من أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شر له ، ولا يلوم الله على كفاف .

وعن معاوية بن جندب قال : قلت : يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا؟ فقال ﷺ : ماسد جوعتك وستر عورتك .

وحكى ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى : «اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً»^(١) ان كل من ملك زوجة وخادماً فهو ملك .

وعن رسول الله (ص) : من كانت له بيت وخادم فهو ملك .

ثم هذا الذي طلب قدر كفايته ليس عليه الا توخي الحلال ، واجمال الطلب ، ومجانبة الشبهة فعن رسول الله (ص) : الحلال بيتن ، والحرام بيتن ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فلن تجد فقد شيء تركته لله .

وقد قيل : من قل توقية كثرت مساويه .

وكان الاوزاعي كثيراً ينشد قول بعضهم :

(١) سورة المائدة : ٢٠/٥ .

المال ينفذ حلتّه وحرامه يوماً و تبقى بعده آثامه
ليس التقى بمتقٍ لالهه حتى يطيب شرابه وطعامه
الثاني : أن يقصّر عن طلب الكفاية ، فهذا التقصير اما الكسل ، أو توكل
أو قناعة وزهد .

فان كان لكسل: فقد أحرم نفسه ثروة النشاط ، فصار كلا ضائعاً، ويوشك
أن يكون شقياً ، لانه اذا قصر في طلب ما يصلحه عاجلاً ، فتقصيره في طلب
الاجل أقرب .

وعن النبي ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً .
وقال بزرجمهر: ان كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وان كان مثلها فالغنى
وان كان شيء فوق الموت فالمرض ، وان كان شيء مثله فالفقر .
وفي منشور الحكم : القبر خير من الفقر .
وان كان تقصيره لتوكل : فذلك عجز ، وقد أعذرتة نفسه في ترك حزم ، لما
غير اسمه .

لان الله تعالى أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل ، فيكون حيثئذ التسليم الى
القضاء ، والا فهو جل وعز قد أمر بالسعي .
ذكر جماعة عند رسول الله ﷺ رجلاً بخير ، فقالوا : يا رسول الله خرج
معنا حاجاً فاذا نزلنا منزلاً لم يزل يصلي حتى نرحل ، فاذا ارتحلنا لم يزل
يذكر الله تعالى حتى ننزل .

فقال ﷺ : من كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه ؟
فقالوا : كلنا .

فقال ﷺ : كلكم خير منه .
وقال بعض الحكماء : ليس من توكل المرء اضاعة الحزم ، ولا من حزمه

اضاعة نصيبه من التوكل .

وان كان تقصيره لتقنع وزهد : فهو ممن علم بمحاسبة نفسه بتبعات الغنى والثروة ، فأثر الفقر على الغنى ، وقابل الحاجة بالصبر والرضا .

فعن رسول الله ﷺ : انتظار الفرج من الله عز وجل عبادة ، ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل .

وبالجملة : هذه حال من نصح نفسه فأطاعته وهانت عليه فأجابته وعلمت ان من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير .

كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز : يا أخي ، من استغنى بالله اكتفى ، ومن انقطع الى غيره تعنى ، ومن كان من قليل الدنيا لم يشبع ، لم يغنه منها كثرة ما يجمع ، فعليك منها بالكفاف ، وألزم نفسك العفاف ، وإيساك وجمع الفضول ، فان حسابها يطول .

وقد قدمنا في الكلام على الزهد والقناعة ما هو أسبغ^(١) من هذا فليراجع ثم^(٢) .

الثالث : أن لا يقنع بالكفاف ، ويطلب الزيادة فقد يكون لاحد أسباب أربعة :

(الاول) : منازعة الشهوات التي لا تنال الا بزيادة المال ، وليس للشهوات حد متناه ، فيكون ذلك ذريعة الى ما يطلبه غير متناه ، ومن لم يتناه طلبه ، دام كده وتعبه فلم يف التذاذه بنيل شهوته ، بما يعانيه من التعب والكدر في مدته ، مع ما قد لزمه من ذم الانقياد الى الشهوات ، والتعرض لاكتساب التبعات ، حتى

(١) كذا الظاهر والكلمة مهملة في الاصل وفي نسخة المرعشي (اشنع) .

(٢) الباب : ٥ / الدنيا - الفصل ١٠ / الزهد ص ١٢١ .

يصير كالبهيمة التي انصرفت هممتها الى طلب ماتدعوها اليه شهوتها .
 روى علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : من أراد الله به خيراً
 حال بينه وبين شهواته ، وان أراد به شراً وكله الى نفسه .
 وقال الشاعر :

وانك ان أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالامنتهى السدم أجمعا^(١)
 (الثاني) : أن يطلب الزيادة ليصرفها في وجوه البر ، ويصطنع بها المعروف
 فهذا أعذر وبالحمد أولى واجدر ، اذا تولى الشهوات ، وأجمل في الطلبات ،
 لان المال آلة المكارم ، وعون على الدين ، وبه تتألف الاخوان ، ومن فقدته
 قلت الرغبة فيه ، والرغبة منه ، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهانوا به .
 قال النبي ﷺ : ان أحساب هذه الدنيا المال .
 وقال مجاهد : الخير في القرآن كله : المال^(٢) .
 ومنه : «وانه لحب الخير لشديد»^(٣) يعني المال .
 ومنه : «فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً»^(٤) يعني مالا .
 وقال شعيب : «اني أراكم بخير»^(٥) يعني : غنى .
 وانما سماه الله تعالى خيراً ، لانه يؤدي الى الخير اذا صرف في وجهه .

(١) كذا في عيون الاخبار ج ١ ص ٣٧ عن حاتم طي ، ولكنه ورد في محيط المحيط :
 وانك مهما تعط بطنك سؤله .

(٢) هناك موارد كثيرة في القرآن وردت فيها كلمة الخير ولان معنى المال راجع

المعجم المفهرس ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٣) سورة العاديات : ٨ / ١٠٠ .

(٤) سورة النور ، ٣٣ / ٢٤ .

(٥) سورة هود : ٨٤ / ١١ .

وقال قيس بن سعد : الحمد لله حمداً ومجداً فإنه لاحمد الا بفعال ، ولا
مجد الا بمال .

وقيل لابي زياد : لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا ؟ فقال : هي
وان أدتني منها ، فقد صانتني عنها .

وقال بعض الحكماء : من أصلح ماله فقد صان الاكرمين العرض والدين .
وفي منشور الحكم : من استغنى كرم على أهله .

ويقال : الدراهم مراهم لأنها تداوي كل جرح .
وقال الشاعر :

رأيت الناس شرهم الفقير	ذريني للغنى اسعى فاني
حليته وينهره الصغير	يباعده الغريب وتزدريه

لطيفة :

اختلف الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم على أن ما أحوج من
الفقر مكرهه ، وما أبطر من الغنى مذموم .

فذهب قوم الى تفضيل الغنى ، لان الغنى مقتدر ، والفقير عاجز ، والقدرة
أفضل من العجز .

وقال الشاعر :

ان بين العلوم و المال بوناً	ذاك للقدر لي ، وهذا لقدري
فتراني بالعلم أقرىء حتى	أجتني شيعه وبالمال أقري

وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة .

وذهب آخرون الى تفضيل الفقر ، لان الفقير تارك ، والغني ملابس ، وترك
الدنيا أفضل من ملابستها .

وعن النبي ﷺ : الفقرفخري وفخر الانبياء من قبلي^(١).
وعنه انه قال: اللهم أحيني فقيراً وتوفني فقيراً وحسب الي صحبة الفقراء.
وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة .
وذهب آخرون الى تفضيل التوسط ، بان يخرج عن حد الفقر الى أدنى
مراتب الغنى ، ليصل الى فضيلة الامرين ، ويسلم من مذمة الحالين .
وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال ، وان خيار الامور أوساطها .
ولكل فريق شواهد اخر كثيرة يطول استقصاؤها .
(الثالث) : أن يطلب الزيادة ليدخرها لولده من بعده اشفاقاً عليهم ،
ويمنعها نفسه ، وهذا شقي بجمعها مأخوذ بوزرها، قد استحق الذم من وجوه :
منها : سوء ظنه بخالقه - عز وجل - في انه لا يرزقهم الا من جهته وسوء
الظن بالله من أكبر الاثام .
ومنها : العجز ، بالثقة ببقاء ذلك لولده ، مع كثرة نوائب الحدثنان .
ومنها : ماسلب نفسه من منافع ماله .
وقد قيل : مالك لك ، أو للوارث ، أو للثائبة .
قال عبد الحميد : اطرح كواذب آمالك ، وكن وارث مالك .

(١) الجمع بين هذه الرواية وأمثالها من قوله (ع) اللهم اغنني بالافتقار اليك
وبين مامضى في ص ١٥١ وماسيأتى أيضاً ، من قوله (ص) : كاد الفقر أن يكون كفراً ، هو :
ان الفقر على نوهين : ١ - الفقر التكويني الموجود في الانسان وسائر الكائنات
حيث انها مفتقرة في وجودها الى الله سبحانه وتعالى وهو مصداق قوله تعالى : أنتم
الفقراء الى الله . سورة فاطر : ١٥/٣٥ .
وبهذا الفقر والانتساب الى الله يفتخر كل موجود .
وأما النوع الثاني : وهو انعدام المقتنيات اللازمة للسان وهذا هو الفقر المذموم
الذي لا بد لكل انسان العمل على رفعه عن نفسه وعن مجتمعه .

ومنها: ما يحاسب عليه من تبعاته .

حكى : أن هشام بن عبد الملك لما أدركته الوفاة ، بكى عليه ولده ، فقال لهم : جادلكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بزور البكاء ؟ وترك لكم ما كسب ، وتركتم له ما أكتسب ؟ ما أسوء حال هشام ان لم يغفر الله له ، فأخذته محمود الوراق فقال :

تمتع بمالك قبل الممات	والا فلامال ان أنت متّ
شقيت به ثم خلفته	لغيرك بعداً وسحقاً ومقتاً
فجادوا عليك بزور البكاء	وجدت لهم بالذي قد جمعتا
وأرهنهم كلماً في يديك	وخلّوك رهناً بما قد كسبتا

الرابع أن يجمعه لطلب المكاثرة به ، واستحلاء بجمعه فهذا أسوء الناس حالاً ، لصيرورته وبالا عليه .

وفي مثله قال الله تعالى: «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»^(١) .

على أنه في دار الدنيا دائماً في عذاب أليم وتعب مقيم لانه دائماً يجد من هو أكثر منه مالا وأحسن حالاً ، واستحلاء المال لا ينقضي ، وبذله في مواضعه لا يرتضي ، فهو أسوء حالاً من الفقير بمراتب كثيرة .

قال الشاعر :

إذا كنت ذا مال ولم تك ذاندى	فانت اذن والمقترون سواء
على ان في الاموال يوماً تباعة	على اهلها والمقترون براء

والشافعي (رضه):

ان الذي رزق اليسار ولم يصب

حمداً ولا أجراً لغير موفس

فصل

واعلم ان من استولى عليه حبّ المال بعثه الى الحرص في طلبه والشح به ، والحرص والشحّ أصلاً كل ذمّ ، لان الشحّ يمنع من أداء الحقوق ويبعث على القطيعة والعقوق^(١).

قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : البخل جامع لمساويء العيوب .

وناهيك بذلك ذمّاً .

واما الحرص ، فانه يسلب فصائل النفس ويبعث على التورط في الشبهات .

على ان الحريص لا يكتسب بحرصه زيادة على رزقه سوى الازلال لنفسه والاسخاط لمخالقه . .

قالت الحكماء: الحرص ، فساد للدين والمروءة .

وقال بعض البلغاء: المقادير الغالبة لاتنال بالمغالبة ، والارزاق المكتوبة لاتدرك بالحرص والمطالبة، فدلّل للمقادير نفسك، واعلم أنك غير نائل بالحرص الاّ حظّك .

ثم انه ليس للحرص غاية مطلوبة يقف عندها، ولا نهاية محدودة يقتنع

(١) وسيأتى بحث مفصل عن الشح في الباب: ١٤ .

بها، لانه اذا وصل الى مأمل، أغراه ذلك على الزيادة ، وبعثه على الحرص
وزيادة الامل ، فلو صدق الحريص نفسه واستنصح عقله ، علم أن من تمام
السعادة، وحسن التوفيق الرضا بالقضاء، والقناعة بالقسم .
قال رسول الله (ص): اقتصدوا في الطلب فان مارزقتموه أشد طلباً لكم
منكم له، وما حزمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم .

باب أدب النفس

ما يجب أن يفعله المرء، وتكون عليه النفس من الاداب والصفات والافعال والاقوال، اما ان يعود عليه نفعه في الدنيا والاخرة، كالصدق والسخاء، أوفي الدنيا فقط كالمشورة وكتمان السر .

ولا يختص شيء بالاخرة، لان كل شيء له نفع أخروي، فله نفع دنيوي، وأقلته الحمد من الناس، والمدح منهم، والسلامة من ضرورهم .

وقد قدّمنا من الاداب ومحاسن الافعال والاخلاق جملة وهأنا أذكرها مايسعني ذكره مما بقي، فأقول وبالله التوفيق :

اعلم رضي الله عنك وعنتا: أن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مسترذلة، لاتستغني بذاتها عن التأديب، ولاتكتفي بالمرضيّ منها عن التهذيب فان أغفل المرء تأديب نفسه، دخل في صورة الجهل لان من الاداب اللازمة. ماهو مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة ، فهذا لاينقاد اليه الطبع، ولاينال الاّ بتوقيف العقل، بل بالدربة^(١) والمعاطات ، لكن يكون العقل قيماً عليه وسلماً اليه، فالعقل لايفني عن الادب، البتة .

قال جماعة من الحكماء: العقل بلاأدب كالشجر العاقر ، ومع الادب كالشجر المثمر .

(١) التدريب والترويض .

وقال بعضهم: الادب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت .
 وقال أردشير: الادب ممدوح بكل لسان، ويتزين به في كل مكان .
 فالحاجة الى الادب أشد من الحاجة الى المطعم والمشرب .
 وقال بعض البلغاء : الفضل بالعقل والادب ، لا بالاصل والنسب لان من
 ساء أديبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل حسبه .
 وقال الشاعر :
 فما خلق الله مثل العقول ولا اكتسب الناس مثل الادب
 وقال الأصمعي :
 وان يك العقل مولوداً فلسـت أرى ذا العقل مستغنيا عن حادث الادب
 اني رأيتهما كالماء مختلطاً بالترب يظهر عنه زهرة العشب

فصل

والتأديب يلزم من وجهين :

(أحدهما) ما يلزم الوالد لولده في صغره، وهو أن يأخذ ولده بمبادئ
الادب ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستيناسه بمبادئها.
ومن أغفل تأديب ولده في الصغر، كان تأديبه في الكبر عسيراً .
فعن النبي ﷺ أنه قال : ما أنحل الوالد ولده نحلة أحسن من أدب
حسن يفيده إياه ، وجهل قبيح يكفّه عنه ويمنعه منه .
وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال وتفرق
البيال .

فائدة .

ولابد لمعلم الولد من ملاطفته بكل وجه ، وأن يهدي اليه ألين القول .
أولاً، ثم ليّنه ، ثم غليظه ، ثم أغلظه .
وذلك بحسب صغر الولد وكبره، وقوّه نفسه وضعفها .
ولابد للوالد من ائمانه ولده بما يستلذه من مطعم ومشرب ويستحسنه من
ملبس، فيميل حينئذ الى الادب بكلّيته لان نفس الطفل لطيفة ، سريعة الميل
والنفور ، اذا حصل مقتضاه من ضرب أوفحش كلام .

وان كان لابد من الضرب وغلظ القول في بعض الموارد ، لاسيما اذا كان فائقاً مميزاً ، فانه ربما كان ذلك أردع له .
فالحاصل: ان المعلم كالطبيب، أو كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايجوز له التعدي الى الاعلى الا بعد تعذر الادنى .
(وثانيهما) أدب الانسان عند كبره، وهو أدبان :
أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح .
أما الاول: فيؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء ، واستحسنه الادباء ، وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل ولا لهم على اختياره دليل في الغالب ، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب، وهيئات اللباس ، ونحو ذلك .
فاذا جاوز الانسان ما هم عليه من ذلك صار مجانباً للادب مستوجبا للذم، لان فراق المؤلف في العادة موجب لذلك .
ولهذا قال الشاعر :

ان جئت أرضاً أهلها كلهم عور فعمّض عينك الواحدة
ثم ان هذه الاداب لاجل اختلافها بتنقّل الاحوال، وتغيّر العادات لايمكن استيعابها ، وازما يذكر كل انسان ويتعاطى ما بلغه الوسع من آداب زمانه واستحسنه العرف من عادات مكانه .

واما الثاني : نعني أدب الرياضة والاستصلاح: فهو ما كان على حالة لا يجوز في العقل خلافتها، فهو مما لا يختلف العقلاء فيه ..
وأول مقدماته ان لايسبق المرء الى حسن الظن بنفسه، فيخفي عنه مذموم شيمه ومساوىء أخلاقه .

قال الله تعالى: «ان النفس لامّارة بالسوء»^(١) .

(١) (سورة يوسف: ٥٣/١٢) .

وقال النبي ﷺ : أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، ثم أهلك ، ثم عيالك .

يحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها ، وتحكيمها داع الى سلاطتها وفسادها .

نبذة :

وقد منع بعضهم من سوء الظن بها فان النفس وان كان لها مكر يردي ، فلها نصيح يهدي ، وكما أن حسن الظن بها يعمي عن مساوئها ، كذلك سوء الظن بها يعمي عن محاسنها .
ومن عمي عن محاسن نفسه ، فهو كمن عمي عن مساوئها ، فلم ينصف عنهما قبيحاً ولم يهد إليها حسناً .
قال الجاحظ : يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً .

وقال بعضهم : من ظلم نفسه ، كان لغيره أظلم .
والحق ان الواجب سوء الظن بها ، وعدم الرضا عنها في كل الحالات لانها «أمارة بالسوء» كما وصفها به خالفها^(١) . فهي بطبيعتها مائلة الى الظلم والمفاسد ومساوئ الاخلاق ، والعقل : هو الداعي الى المحاسن والمصالح كلها .
فاذا لم يسيء الظن بها ويزجرها عن كل ما استحسنته فأهملت بفعله - حتى يتدبره في حاله وماله - غلبت على العقل ، فأوقعت به في ورطات الفساد ، وعدلت به عن نهج السداد .

قالت الحكماء : من رضي عن نفسه ، سخط عليه الناس فاذا لم يحسن الظن

(١) حيث قال سبحانه : ان النفس لامارة بالسوء (سورة يوسف : ١٢ / ٥٣) .

بها ، ولم يرض عنها ، لم يطاوعها فيما تحب اذا كان غيتا ، ولم يصرف عنها
ما تكره اذا كان رشدا ، وحينئذ يملكها ، فسيستقيم أمره ، ويشد أزره .

قال رسول الله ﷺ : الشديد من غلب نفسه .

وقال بعض البلغاء : من غلب نفسه تنهى في القوة ، ومن صبر على شهوته
تنهى في المروة .

وها انا انشر من الاداب فيما أتلوه عليك من الابواب ، ما يستره الكريم
الوهاب ، ومنه أستمد التوفيق والهداية الى الصواب :

باب الكلام والصمت

ما الانسان لولا اللسان الا كالبهيمة الممثلة، او كالصورة الممثلة، لان اللسان ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكتومات^(١) السرائر ، الا أنه لا يمكن استرجاع بوارده ، ولا يقدر على رد نوافره ، فحق على العاقل أن يحترز في كلامه من زلله بالامساك عنه وبالاقلال منه .

فعن النبي ﷺ : رحم الله من قال خيراً فنتم او سكت فسلم .

وقال ﷺ : اللسان معيار ، أطاشه الجهل ، ورجحه العقل .

وقال بعض الحكماء : الزم الصمت تعدد حكيم ، جاهلاً كنت أو عليماً .

وقال بعض العلماء : حق على العاقل أن لا يتكلم الا بحجته او حاجته ، و

أن لا يتفكر الا في عاقبته ، أو في آخرته .

وقال بعض البلغاء : الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك شر

المغبة ، ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤونة الاعتذار .

وقال بعض الفصحاء : اعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل

تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تشكرها .

وقال بعضهم : ماعلى وجه الارض أحق بطول السجن من اللسان حتى

قالوا : لو كان الكلام من درّ لكان السكوت أصليح :

(١) في نسخة المرعشي : مكتومات .

وقال كسرى: لم أندم على ما لم أقل قطّ ، وقد ندمت على ما قلت كثيراً .
 وقال قيصر : أنا على قول ما لم أقل أقدر منّي على ردّ ما قلت .
 وقال ملك الصين : اذا تكلمت بكلمة ملكتنى ، وان لم أتكلّم بها ملكتها .
 وقال ملك الهند : العجب ممّن يتكلّم بالكلمة ، ان رفعت ضرته ، وان
 لم ترفع لم تنفعه .
 فهذه أربع كلمات صدرت عن اربعة ملوك كأنّما رميت عن قوس
 واحد .

وقال الشاعر :

اذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزاً

فأنت عن الابلاغ في القول أعجز

فصل

وللكلام شروط ، لا يسلم المتكلم عن النقص والزلل الا باستيفائها :
الاول : أن يكون الكلام لداع : اما اجتلاب نفع ، او دفع ضرر ، او
أو كشف شبهة ، او اقامة حجة ، أو نحو ذلك .
لانّ ما لاداعي اليه هذيان وسمج .
حكى : أن أبا يوسف كان يجلس اليه شابّ يطيل الصمت فأعجب
أبايوسف منه ذلك ، فقال له يوماً : يا بن اخي تكلم .
قال : نعم ، متى يفطر الصائم ؟ .
فقال : اذا غربت الشمس .
قال : فان لم تغرب حتى ياتي نصف الليل ؟ !
فضحك ابو يوسف والحاضرون من ذلك ، وتعجبوا منه . ثم قال ابو
يوسف: ليتنا تركناك مستوراً ، ثم تمثل ببيت جدّ جرير :
وفي الصمت ستر للغبيّ وانما صحيفة لبّ المرء أن يتكلّم
فهذا أبان الكلام عن نقصه ، حيث لم يكن له اليه داع ، ولو صدر عن
داع وروية لسلم .
وقال النبي ﷺ: لسان العاقل من وراء قلبه ، ، فاذا أراد الكلام رجع الى
قلبه ، فان كان له تكلم ، وان كان عليه أمسك . وقلب الجاهل من وراء لسانه ،
يتكلم بكل ما عرض له .

وقال عليّ رضي الله عنه : المرء مخبوء تحت لسانه .
وقال بعض البلغاء : احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك ، ويتلف نفسك
فلا شيء أحقّ بطول السّجن من لسان يقصر عن الصّواب ويسرع الى
الجواب .

وحسم بعض الاعلام الرخصة في الكلام فقال :
ان جالست العلماء فانصت لهم ، واذا جالست الجهال فانصت لهم ، فانّ
في انصاتك للعلماء زيادة في العلم ، وفي انصاتك للجهال زيادة في الحلم .
الثاني : أن يأتي الكلام في موضعه ، لان الكلام في غير حينه لا يقع
موقع الانتفاع وما لا ينفع هذيان ، فان قدم ما يقتضي التأخير كان عجلة ، وأن
أخر ما يقتضي التعجيل كان عجزاً وتوانياً ، وكلاهما مذموم .
ولهذا يقال : لكل مقام مقال .

الثالث : أن يقتصر منه على قدر الحاجة لان ما زاد عنها هذر لانهاية له .
قال بعض الحكماء : من كثر كلامه كثرت آثامه .
قال الشاعر :

وزن الكلام اذا نطقت فأنّما يدي عيوب ذوي العيوب المنطق
ثم انّ مخالفة قدر الحاجة : امالتقصير أو تكثير ، وكلاهما شين ، وشين
التكثير أشنع ، اذ هو هذر ويكون في الغالب اخوف .
قال النبي ﷺ : وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنّم الا حصائد
السّنتهم ؟ !

وقال بعضهم : الحصر خير من الهذر .
وقال جعفر بن يحيى : اذا كان الايجاز كافياً ، كان الاكثار عيباً واذا كان

(١) لان الحصر يضعف الحاجة ، والهذر يثقل المهجة . احاسن المحاسن ص ١٥٤ .

الاكثار واجباً ، كان الافلال عجزاً .

وقال علي رضي الله عنه : اذا تمّ العقل نقص الكلام .
وقال بعض البلغاء : عيّ تسلّم به خير من نطق تندم عليه ، فاقصر من
الكلام على ما يقيم حجّتك ، وتبلغ حاجتك وإيتاك وفضوله ، فانّها تنزل
القدم ، وتورث الندم .

طريقة :

قال بعضهم : الكلام اذا زاد عن قدر الحاجة وكان صواباً لا يشوبه خطئ ، عذباً
فصيحاً لا يتطرق اليه زلل . فهو السحر الحلال .
ولهذا مدح بعضهم كاتباً فقال : ان أخذ طوماراً أملاه ، وان وجد شراً
كفاه .

قال ابو الفتح البستي :

تكلم وسدد ما استطعت فانّما كلامك حي والسكوت يجماد
فان لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

وقيل لاياس : ما فيك عيب الاكثرة الكلام .

فقال : أفتسمعون صواباً أم خطأ ؟

فقالوا : بل صواباً .

فقال : الزيادة من الصواب خير .

وأقول : لاشك ان ما فضل عن قدر الحاجة والاحتمال فادّى الى الاستثقال

او الملل - وان كان صواباً - فهو هذر بلا اشكال .

على أن مثل ذلك لا يصدر الا عن اعجاب ، ومن أعجب بكلامه استرسل
ومن استرسل في كلامه قل خلوه عن زلل أو عثار ، فمجانبته للبيت أجدر بغير

مرية .

الرابع: اختيار اللفظ الذي يتكلم به تهذيباً وفصاحة وبلاغة، ولا يمكن اختيار ذلك الا لمن أخذ نفسه بالبلاغة ، وكلّفها لزوم الفصاحة حتى صار متدرباً بها، منقاداً اليها، فلا يأتي بكلام مستكثر اللفظ ، ولا مختل المعنى . قال بعضهم: خير الكلام ما حسن ايجازه، وكثر اعجازه، وناسب صدره أعجازه .

ولا يد من صحة المعاني بتجنب المشكل منها، وبصحة مقابلتها للالفاظ . وكذا لا بد من الفصاحة، وذلك بمجانبة الغريب الوحشي، وتجنب اللفظ المستبذل، والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يتسقطه الخواص، ولا ينبو عن فهمه العوام، واما معاطاة الاعراب ، وتجنب اللحن ، فانها من صفات الصواب .

والبلاغة أعلى رتبة وأشرف منزلة .

وليس لمن يلحن في كلامه مدخل في الادباء فضلاً عن ان يكون في عداد البلغاء والفصحاء .

فصل

وللكلام آداب ، ان أغفلها المتكلم عدل الناس عن نشر مناقبه الى ذكر مثالبه .

فمنها : أن يتكلم بما كان مألوفاً من كلام الوقت وعرف أهله ، فان لكل وقت في الكلام عادة تؤلف ، ولكل قوم عبارة تعرف ، فيكون ذلك أوقع في النفوس وأسبق الى الافهام .

وكذا لكل أهل علم في علمهم طريقة من التقرير والكلام ، هي أوضح عندهم مسلكاً ، وأسهل مأخذاً .

فاذا عدل عن ذلك ، استهجن كلامه ، واستثقل ، وان كان فصيحاً أو بليغاً .
ومنها : أن لا يتجاوز^(١) في مدح ، ولا يسرف في ذم ، وان كانت النزاهة عن الذم أجدر ، لان التجاوز في المدح ملق يصدر عن مهانة ، والسرف في الذم انتقام يصدر عن شر ، وكلاهما شين .

هذا ان سلما عن الكذب ، على ان السلامة فيهما منه متعذرة أو مستحيلة .
ومنها : ان لا تبعثه الرغبة أو الرهبة على الاسترسال في وعد أو وعيد يعجز عنهما ، لانه يصير وعده نكساً ، ووعيده عجزاً .

ومنها : أن يحقق ما قاله بفعله ويصدق ما تكلم به بعمله ، فلتن يفعل ما لم

(١) في نسخة المرعشي : لا يتجاوز .

يقول، أجمل من أن يقول ما لم يفعل .
 قال بعض الحكماء: أحسن الكلام ما لا يحتاج فيه الى كلام أي: يكتفي
 بالفعل عن القول .
 ومنها: ان يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده فان كان ترغيباً قرنه
 باللين واللفظ، أو ترهيباً خلطه بالخشونة والعنف .
 فان العكس خروج باللفظ عن موضعه .
 قال أبو الاسود الدؤلي لابنه: يا بني، اذا كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من
 هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك^(١) .
 ومنها: أن لا يرفع بكلامه صوتاً مستكراً، ولا ينزعج له انزعاجاً مستهجنأ
 وليحترس عن حركة تكون طيشاً ، وعن اشارة باليد تكون عيباً ، فان نقص
 الطيش أكثر من فضل البلاغة .
 ومنها: أن يتجافى هجر^(٢) القول ومستقبح الكلام فيعدل الى الكناية
 فيما يستهجن صريحه، ويستقبح فصيحته، ليصون لسانه وأدبه عن القبيح .
 فقد قيل في قوله تعالى: «واذا مروا باللغو مرّوا كراماً»^(٣) أنهم كانوا اذا
 ذكروا الفروج كنتوا عنها .
 وكما يجب صون اللسان عن ذلك فكذا يجب صون السمع عنه، فلا يسمع
 خناً، ولا يصغي الى فحش ، فان سماع الفحش داع الى اظهاره .
 قال بعض الهاشميين :

(١) اي يصدروك : (يخرجوك) وفي القرآن قراءة بعضهم: يومئذ يزدرد الناس
 اشتاتاً وسائر القراء قرأوا (يصدروك) .
 (٢) الهجر (بضم الهاء): الفحش .
 (٣) (سورة الفرقان: ٧٢/٢٥) .

وسمعتك صمن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانتك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه
ومنها: أن يتجنب ما كان ظاهره فاحشاً، أو مؤدياً الى انكار، وان كان
عند التأمل والفحص سليماً، لانه بمثابة من وضع الدنس على ثوبه لغير غرض
ثم دفعه الى الغسل، فكما أن الدنس ربما استصعب زواله أوبقي منه بقية،
فكذلك ما وقع في خاطر ربما استصعب اخراجه أوبقي منه بقية .
ولهذا قال بعض الفصحاء : لاتتكلم بما يسبق الى القلوب انكاره ، وان
كان عندك اعتذاره .

ومنها: ان يستبدل بأمثال العامة، أمثال العلماء والادباء، فان لكل صنف
من الناس أمثالا تشاكلهم، لان الامثال من هواجس الهمم وخطرات النفوس،
فدو الهمة الساقطة يتمثل بالامثال المسترذلة، وذو النفس الشريفة لا يرضى ذلك
بل يتمثل بالامثال العلية النفيسة ، لان الامثال مستخرجة من أحوال المتمثلين
وكل اناء بالذي فيه ينضح

وربما ألفت العالم مثلاً عامياً لكثرة ما يطرق سمعه من مخالطة الارذال ،
فيسرسل به لدى الامائل، فيزدري .

كما حكى: ان الرشيد سأل الاصمعي عن أنساب بعض العرب ؟

فقال الاصمعي: على الخبير سقطت يا أمير المؤمنين .

فقال له الفضل بن الربيع : أسقط الله حسبك ، أتخاطب أمير المؤمنين

بمثل هذا ؟ !

فكان الفضل بن الربيع ، مع قلة علمه ، أعلم بما يستعمل لدى الخلفاء من

الاصمعي الذي هو وحيد عصره وقريع دهره^(١) .

(١) القريع: الغالب في المقارنة .

فصل

ولضرب الامثال في الكلام موقع في الاسماع وتأثير عظيم في القلوب لا يبلغ الكلام المرسل مبلغها ، ولا يؤثر في النفس تأثيرها ، لان النفوس لها وامة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة .

ولذلك ضرب الله تعالى الامثال في كتابه العزيز فأوضح بها الحجج على خلقه، لانها في العقول مقبولة، وفي القلوب معقولة .

ومن ثم وشحننا كتابنا هذا بما تيسر منها ايضاً، لكن لها شروط أربعة :
احدها: صحة المناسبة بينها وبين المعنى المضروبة له ، ليقع التمثيل بها موقعه .

وثانيها : أن يكون العلم بها سابقاً ، ويكون المخاطب أو العقل عليها موافقاً .

وثالثها : أن يسرع وصولها الى الفهم ويتعجل تصورها في الوهم، من غير توقف في استخراجها، ولا كدّ فكر في استنباطها .

ورابعها : ان تناسب حال السامع ومقتضى عقله ، لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعاً .

فاذا جمعت الامثال المضروبة هذه الشروط كانت زينة الكلام وجلاء المعاني وتدبر الافهام .

فصل

[محاسن الاجوبة](١)

ومن محاسن الكلام وظرائفه الدالة على غزارة فطنة المتكلم وحذقه ،
ووفور رويته، سرعة الجواب، مع اصابة الصواب، وملائمة الخطاب، وذلك
في المحاضرات والمحاورات الحالية .
واما ما ورد في كلام بعضهم من ذمّ تسجيل الجواب و المبادرة به ،
فذلك مختص بالامور المهمة والاراء الشائنة ، الدينية أو الدنيوية ، كما في
الفتيا وماشاكلها، من المسائل العلمية .

وكما في الاستشارة والفحص عن سديد الامور المهمة .
فسرعة الجواب في هذا النحو يدل على طيش المستول ، وقلة تثبته و
تدبره وان اصاب ، بل المحمود في مثل ذلك التأني والتفكر ، والفحص عن
حقيقة الحال وسديد المقال، الموصل الى حسن المأل .
ولابدّ من مراجعة ما يخطر في البال ، من الرأي وتدبره ليغسل بالفكر
دنسه ، ويظهر زيفه ، ولهذا فهو عن امثال الراي البكر ، وهو : ما لم يجل
المكر فيه وتنقده بصائر العقلاء .

وأما في المحاضرات الحالية والمقامات المقالية ، فسرعة الجواب
فيها من أكبر المضائل ، الدالة على استتارة النفس وقوة الحدس لاسيما

(١) العنوان زيادة في نسخة المرعشي .

إذا ناسبت الخطاب ، وكانت عين الصواب .

— كما حكى : أن إبليس لعنه الله ظهر لعيسى عليه السلام .

فقال : ألسنت تقول : أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟

فقال : بلى .

قال : فارم بنفسك من هذا الجدار الشاهق ، فإن قدر الله لك السلامة

تسلم .

فقال له : يا ملعون ، إن الله يختبر عبادَه وليس لهم أن يختبروه .

وليس هذا بغريب من أنبياء الله الذين امدهم الله بوحيه وايدهم بنصره .

— وقال معاوية لعقيل : إن فيكم لشيقاً ، يا بني هاشم .

فقال : هي منّا في الرجال ، ومنكم في النساء .

— وقال له معاوية يوماً ساخراً به : أين تجد عمك أبا لهب ؟

فقال له عقيل : إذا دخلت النار فانظر عن يمينك تجده مفترشاً عمك

حمالة الحطب ، فانظر ايّهما أسوء حالا ، الفاعل أم المفعول .

— وراى بعضهم رجلاً يصلي صلاة خفيفة ، فقال : ما هذه الصلوة ؟

فقال : ليس فيها رياء .

— وترافع الى بعض قضاة الشام شاب عراقي^(١) وشيخ شامي فرفع العراقي

صوته على الشامي .

فقال القاضي : كفّ عنه فإنه أكبر منك .

فقال : إن الله أكبر مني ومنه ، ثم تشارعا ، فرفع صوته عليه مرة أخرى

فقال القاضي : ايها الشاب اسكت .

فقال إذا أنا سكّت من يقوم بحجّتي ؟!

(١) هو أبياس بن معاوية ، على ما في عيون الاخبصار ج ١ ص ٧١ .

- فقال القاضي : تكلّم فوالله ما تتكلم بخير .
- فقال الشاب : أنا اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمد رسول الله .
- فاتصل خبرهما بعبد الملك بن مروان فعزل القاضي ورتّب الشاب مكانه^(١) .
- وقال المأمون ما أعياني جواب أحد قط الا ثلاثة :
- أمّ الفضل . عزيتها في ابنها فقلت لها : لاتجزعي فاني ابنك مكانه .
- فقلت : كيف لا أجزع ، وقد بدلت به ابناً مثلك .
- ورجل أحضرته ، زعم أنه نبي الله موسى فقلت له : ان موسى أدخل يده في جيبه ، واخرجها بيضاء من غير سوء ، فافعل مثله .
- فقال : متى فعل ذلك ، أليس بعدما لقي فرعون ؟ ، فافعل كما فعل فرعون حتى افعل كما فعل موسى .
- وجماعة من أهل الكوفة ، شكوا عاملها .
- فقلت : ارضوا بواحد منكم أسمع كلامه ، فرضوا برجل ، فقال في العامل واكثر .
- فقلت : كذبت بل هو العدل العفيف .
- فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، ولكن يجب ان تواسي بين رعيّتك في العدل فصرفتة عنهم .
- وقال المتوكل : لابي العيناء : لو لا انك ضرير لنادمتك .
- فقال اعفني من نقش الخواتيم ، ورؤية الاهلّة ، وأنا أصلح للمنادمة .
- وقيل لابي العيناء يوماً : لاتعجل فان العجلة من الشيطان .

(٢) ذكره ابن قتيبة باثلاث بديهة وفيه : فقام القاضي فدخل على عبد الملك فاخبره بالخبر فقال : اقض حاجته واخرجه من الشام لا يفسد على الناس . عيون الاخبار ج ١ ص ٧١ .

- فقال : لو كان كذلك لما قال موسى : « وعجلت اليك رب لترضى » ^(١) .
- وسلم عليه رجل من ولد آدم فقال له : أدن مني وعانقني ، ما ظننت انه بقي من نسل ذلك الرجل أحد .
- وسقي في بيت بعضهم ، ثلاث شربات باردة واخرى حارة .
- فقال : كأن شربتكم يعتربها حمى الربيع .
- وقال له رجل علوي : أتبغضني ، وقد أمرت بالصلوة عليّ في صلواتك ؟
- فقال أبو العيناء : انتي اقول «الطيبين الطاهرين» ، فتخرج أنت .
- وقال يوماً لصبيّ فطن : وددت ان لي ابناً مثلك .
- فقال الصبيّ : احمل أبي على اهلك تاتيک بولد مثلي ، فنجل منه وقال : ما مرّ بي مثلاً قط .
- وقال له المتوكّل : ان فلاناً يضحك منك .
- فقال : « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » ^(٢) .
- وقال معاوية لمحمد بن الحنفية رضي الله عنه : ما انصفك أبوك حيث كان يرميك في الحروب ، ولا بفعل ذلك بالحسن والحسين .
- فقال : لانتى كنت يده ، وكانا عينيّه ، فكان يدفع بيده عن عينيّه .
- واجتمع رجل كوسج برجل ألحى فقال الألحى : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه والذي خبث لا يخرج الا نكدا » ^(٣) .

(١) (سورة طه : ٨٤ / ٢٠) .

(٢) اقتباس من اية وردت في (سورة المطففين : ٨٣ / ٢٩) .

(٣) اقتباس من اية وردت في (سورة الاعراف : ٥٨ / ٧) .

فقال الكوسج: «ولا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث»^(١).
ثم انه من اكبر ما يجب على المتكلم ويتأكد عليه . الصدق ومجانبة الكذب
فلنتكلم على طرف من ذلك :

(١) اقتباس من آية وردت في (سورة المائدة : ١٠٠/٥) وفيها : قل لا

باب الصدق والكذب

قال الله تعالى : « انّما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله »^(١).
وعن النبي ﷺ : رحم الله امرأً أصلح من لسانه، وقصّر من عنانه، وألزم طريق الحق مقوله ، ولم يعود الخطل مفصله .

وعنه ﷺ وقد قيل له : أياكون المؤمن جباناً ؟

قال : نعم .

قيل : أياكون بخيلاً ؟

قال : نعم .

قيل : أياكون كذاباً ؟

قال : لا .

وعن عبد الله بن عمر : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما عمل أهل الجنة ؟

فقال:الصدق، اذا صدق العبد برّ ، واذا برّ آمن ، واذا آمن دخل الجنة .

قال : يا رسول الله فما عمل أهل النار ؟

قال : الكذب ، اذا كذب العبد فجر، واذا فجر كفر، واذا كفر دخل النار .

(١) (سورة النحل: ١٠٥/١٦) .

وقالت عائشة (رض) : يا رسول الله بما يعرف المؤمن ؟

قال : بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه .

وفي منشور الحكم : الكذاب لص ، لان اللص يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك .

وقال بعض الحكماء : الصادق مهاب جليل ، والكاذب مهان ذليل .

وقال علي رضي الله عنه : اباك ومصاحبة الكذوب فانه يقرّب لك البعيد ويبعد لك القريب .

وبالجملة : فالكذب جماع لكل شر ، وأصل لكل ذم ، لسوء عواقبه ، وخبت نتائجه .

وقد قيل : من قلّ صدقه ، قلّ صديقه .

ثم ان دواعي الصدق لازمة .

اذ منها : العقل المؤكد بالشرع ، لان العقل يدعو الى فعل ما كان مستحسناً ، ويكف عما يكون مستقبهاً .

ومنها : المروءة ، لانها تقبض المرء عن رذائل الافعال والاقوال ، وعن كل ما يعقب مهانة وذلة ، و تبعثه على محاسن الاقوال والافعال والعادات ، وعلى كل ما يكون مستحسناً .

ومنها : حب الثناء والاشتهار بالصدق وبغض الذم والاشتهار بالخنا .

ودواعي الكذب عارضة ، : لانه يمنع منه العقل ، ويصد عنه الشرع .

فمنها : اجتلاب النفع ، واستدفاع الضرر ، فيرى ان الكذب أنفع ،

فيرخص لنفسه فيه ، اغتراراً بالخدع ، وميلاً الى الطمع .

وربما كان الكذب مبعثاً لما يأمل ومقرباً مما يخاف لان القبيح لا يكون

حسناً ، اذ لا يجنى من الشوك العنب ، ولا من العوسج الرطب .

وعن النبي ﷺ تحررّوا الصدق ولو رأيتهم فيه الهلكة ، فان فيه النجاة ،
وتجنبوا الكذب ولو رأيتهم فيه النجاة ، فان فيه الهلكة .

ومنها : استئثار استعذاب كلامه ، وظرافته ، وهو لا يعرف صدقاً ،
فيستعمل الكذب ، وهذا النوع أسوأ حالا من الاول ، لانه يصدر عن مهانة
النفس ، ودناءة الهمة ، .

قال الجاحظ : ما كذب أحد قط الا صغّر قدر نفسه عنده .

ومنها : أن يضع به قدر عدوّه ، حيث لا يجد فيه منقصة تشنيه ، فيرى
ارسال الكذب فيه سهماً صائباً ، وهذا أسوأ حالا من الاولين .

ومنها : أن يكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتّى ألفها ، فصار
الكذب له عادة ، وصارت نفسه اليه منقادة ، حتى لورام مجانبته عسر عليه ذلك
لانّ العادة طبع ثان ، فانّ هذا أسوأ حالا من الجميع ، لانه جمع بين
مهانة الدنيا وعذاب الآخرة .

وحيث قد قدّمنا أنّ دواعي الصدق لازمة ، ودواعي الكذب عارضة ،
فمن ثم جاز ان تستفيض الاخبار الصادقة ، حتى تصير متواترة ، فتفيد العلم ،
ولم يجز ذلك في الاخبار الكاذبة ، لان اتفاق الناس انما هو لاتفاق الدواعي
ودواعي الصدق يصحّ اتفاق الناس عليها ، للزومها ، ونفعها ، بخلاف
الكذب .

لمعة :

ومن مضار الكذب ، فوق ما يترتب عليه من العذاب في الآخرة ، والذل
والمهانة في الدنيا ، أنه ربّما ينسب اليه الخبر ، اذا ظهر كذباً وان لم يكن
فاه به .

ومنها : انه لا يصدق في حديثه ، وان تحرى الصدق .
ولهذا قيل : من عرف بالكذب ، لم يعجز صدقه ، ومن عرف بالصدق
جاز كذبه .

وربما كذب هو نفسه ، بان يحكي ما كذب فيه مرة أخرى بعد زمان ،
فانه ربما يقول ثانياً حقاً ، خلاف ما قال اولاً ، او كذباً على غير الوجه الاول ،
وذلك لنسيانه ما قال اولاً ، لانه لما كان كذبا لم يستقر في حافظته ، حيث انه ليس
له حقيقة ، وقد أفصح عن هذين المعنيين فيما قال الشاعر :

يصدق في شيء وان كان صادقا	اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكذب
وتلقاه ذا حذق اذا كان واثقا	ومن آفة الكذاب نسيان كذبه

فصل

وقد وردت السنّة بالرخصة في الكذب في الحروب ، واصلاح ذات البين على وجه التورية ^(١) والتأويل دون التصريح كالذي حكى عن أبي بكر الصديق (رضه) : أنه كان يسير خلف رسول الله ﷺ حين هاجر معه فتلقتاه العرب ، وهم يعرفون أبا بكر ، ولا يعرفون رسول الله ﷺ فقالوا : يا ابا بكر من هذا ؟ .

فقال : يهديني السبيل .

فظنوا أنه يعني: هداية الطريق ، وانما أراد: سبيل الحق ، فصدق في قوله وبلغ مراده . .

قال ابن سيرين : الكلام أوسع من أن تصرح فيه بالكذب .

(١) التورية : هو ستر الشيء واظهار غيره كأنه مأخوذ من وراء الاناء كأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر .

فصل

ومن الصدق ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرفة ، ويزيد عليه في الاذى والمغرة ، وهو : الغيبة ، والنميمة ، والسعاية .

فأما الغيبة : فانها خيانة ، وهتك ستر ، يحدثان عن حسد وغدر .
قال الله تعالى : «ولا يفتب بعضكم بعضا ، أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً»^(١) .

وروي أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ، وجعلتا تغتابان الناس .
فأخبر النبي (ص) بذلك فقال : صامتا عما أحل لهما وافطرتا على ما حرم عليهما .

وقال عدي بن حاتم : الغيبة رعي اللثام .
وقال رجل لابن سيرين : اني اغتبتك فاجعلني في حل .
فقال : لأحب أن أحل ما حرم الله .
فكتة : وربما أعذر المغتاب نفسه . بأنه يقول حقاً ، ويستشهد بما روي عن النبي ﷺ أنه قال : ثلثة ليست غيبتهم بغيبة : السلطان الجائر ، وشارب الخمر ، والمعلن بفسقه .

(١) (سورة الحجرات : ٤٩ / ١٢) .

فيجعل هذا ذريعة الى غيبة كل من صدر منه ذنب ، فيبعد من الصواب ، ويجانب الاداب ، لانه ربما يهتك سترأ مصوناً .

وقد قيل في منثور الحكم : لاتبد من العيوب ماستره علام الغيوب .
وروي عن النبي (عليه السلام) ، أنه سئل عن الغيبة، فقال : ان تقول في أخيك ما هو فيه ، فان كنت صادقاً فقد اغتبته ، وان كنت كاذباً فقد بهتته .
فالعامل بالخبر الاول لايجوز له مجاوزته بوجه من الوجوه .

واما النميمة : فهي تجمع مذمة الغيبة ، وتضم الى لومها أيضاً ، دناءة وغدراً ، لانها تثول الى تقاطع المتواصلين ، وتساعد المتقاربين ، وتباغض المتحابين .

فمن أسماء بنت زيد ، عن النبي (عليه السلام) أنه قال : الاخبركم بشراركم ؟ !

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : من شراركم المشاؤون بالنميمة بين الاحبة ، والباغون العيوب .
وعنه (عليه السلام) : ملعون ذوالوجهين ، ملعون ذواللسانين ملعون كل شقار ملعون كل قتات ، ملعون كل منان .

الشقار : المحرّش بين الناس يلقي بينهم العداوة .

والقتات : النمام .

والمنان : من يصنع الخير ويمنّ به .

واما السعاية ، فهي شرّ الثلاثة ، لانها تجمع الى مذمة النيبة ، ولؤم النميمة ، التفرير بالنفوس والاموال ، والقذح في المنازل والاحوال .

فمن النبي (عليه السلام) أنه قال : الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع .

فالقلاع : هو الساعي .

الفصل : ٢ / الغيبة والنميمة والسعاية

١٨٧

وقال بعضهم : الساعي امّا أن يكون صادقاً ، فقد خان الامانة ، أو كاذباً ،
فقد خالف المروءة والديانة .
وقال بعضهم : النميمة دناءة ، والسعاية رداءة ، وهما رأس الغدر ، وأساس
الشر .

باب كتمان السر

كتمان الاسرار من أقوى أسباب النجاح ، وأدوم أحوال الصلاح ، وأدل شيء على سعة النفس ، وغزارة العقل .

(واعلم) أنه قل ما أبرم أمر وأذيع به الا انحلّ ابرامه ، وتعذّراته ، حتى كانته كان رسداً عليه ، يعرف ذلك من مارس الامور وجرّ بها .

فمن النبي « عليه السلام » : استعينوا على الحاجات بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود .

ولم يظهر لنا في ذلك سبب كاف ، او تعليل شاف ، الا أنا قد علمنا صدق ذلك بكثرة ما وقع لنا منه ، فيكون كتم السرّ من حزم ^(١) الامور .

قال علي رضي الله عنه : من كتم سره كان الخيار في يده .

وقال رضي الله عنه : سرّك أسيرك ، فاذا تكلمت به صرت أسيره .

أخذه بعض الشعراء وقال :

أسيرك سرّك ان صمته وأنست أسير له ان ظهر

فسرّ امرئين وشيك الظهور وسرّ الثلاثة لن يستتر

وقال بعضهم : كن على حفظ سرّك أحفظ منك على حقن دمك ، فكم من

اظهار سرّ ، أراق دم صاحبه ، ومنع من نيل مطالبه ، ولو كتمه كان من

(١) الحزم : ضبط الرجل امره ، واخذ بالثقة .

سلواته آمنا ، ومن عواقبه سالما ، ولنجاح حوائجه راجيا .
ثم ان اظهار الرجل سرّ غيره أقبح من اظهار سرّ نفسه ، لانه يبوء
باحدى وصمتين : اما الخيانة ان كان مؤتمنا ، او النميمة ان كان مستودعا .
وامّا الضرر : فربما تساويا فيه .
وفي اظهار السرّ دليل على ثلاثة أوجه مذمومة :
أحدها: ضيق الصدر، وقلّة الصبر ، المفضيان الى الطيش، بل الحق .
قال الشاعر :
إذا المرء أفشى سرّه بلسانه ولام عليه غيره فهو أحسق
إذا ضاق صدر المرء من سرّ نفسه فصدر الذي يستودع السراضيق
وثانيهما: الغفلة عن تحرز العقلاء، والسهو عن يظلة الاذكياء - ان كان
منهم - .
قال بعض الحكماء: انفرد بسرّك ، ولاتودعه حازما فيزل ، ولا جاهلا
فيخون .
وثالثها: المخاطرة بالهجوم على الامر المحذور العواقب، المذموم
بكل وجه .
قال بعض الحكماء: سرّك من دمك فاذا تكلمت به فقد أرقته ، فليحذره
العاقل، ولينتبه لذلك الغافل .

فصل

ومن الاسرار ما لا يستغنى فيه عن مساعدة صديق ، أو استشارة ناصح ، فليختبر العاقل أميناً جليلاً ان لم يجد الى كتمه سبيلاً ، وليحترس في اختيار من يأتمنه عليه كل الاحتراس ، فليس كل من كان على الاموال أميناً ، كان على الاسرار أميناً ، لان العفة عن الاموال أيسر من العفة عن اذاعة الاسرار ، بدليل أن المرء قد يظهر سره في غير محله بمبادرة لسانه ، ويحترز في ذلك على اليسير من ماله ، فلهذا كان أمناء الاسرار أشد تعذراً ، وأقل ، وجوداً ، من أمناء الاموال . ومن صفات أمين السر : أن يكون ذا عقل راجح ، ودين صالح ، ونصح مبرور ، وود موفور ، كتوماً بالطبع ، فان هذه الامور تمنع من الاذاعة ، وتوجب حفظ الامانة .

وليحذر صاحب السر أن يودعه من يتطلع اليه ، ويؤثر الوقوف عليه ، فان طالب الوديعة خائن .

وقد قيل في منشور الحكم : لاتنكح خاطب سرك . وليحذر - أيضاً - من كثرة المستودعين ، فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الاشاعة ، وذلك لامرين : أحدهما : ان اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير متعذر ، فلا بد اذا كثروا - وان يكون فيهم من أخل ببعضها .

وثانيهما : أن كل واحد منهم يجد الى نفي الاذاعة عن نفسه سبيلاً ، لانه

يحيل ذلك الى غيره .

وقد قيل : اذا كثر خزان السر زاد ضياعاً .

واعلم : أنه - وان سلم من اضعائهم - لم يسلم من اذلالهم ، واستطالتهم عليه فان من ظفر بالسر - وخصوصاً في الامر الخطير - يصير له من فرط الاذلال ، وكثرة الاستطالة ، ما ان لم يحجزه عنه عقل ومروءة ، كان أشد من ذل الرق وخضوع التبعّد .

ولهذا قال بعض الحكماء : من أفشى سره كثر المنامرون عليه .

خاتمة :

والواجب على المستودع أداء الامانة فيه ، بالتناسي عنه ، حتى لا يخطر له ببال ، ولا يدور له في خلد ، وأن يرى ذلك حرمة يرعاها ، كما حكى : أن رجلاً أسر الى صديق له حديثاً ، ثم قال له : أفهمت ؟

فقال : بل جهلت .

قال : أحفظت ؟

فقال : بل نسيت .

وحكى : أن عبد الله بن طاهر ، رحمه الله ، تذاكر عنده أصحابه الاسرار

وكتمانها ، فأنشد :

ومستودع سرّاً تضمنت سره فأودعته من مستقر الحشا قبراً

فأجابه ابنه عبيد الله :

وما السر في قلبي كئيب كئيباً وحفرة

لأنني أرى المدفون ينتظر النشرا

و لكنني أخفيه حتى كأنني

من الدهر يوماً ما أحطت به خبراً

باب الاستشارة

ان من الحزم لكل ذي لب ، أن لا يبرم أمراً ، الا بعد مشورة ذوي الرأي
الناصح ، ومراجعة ذوي العقل الراجح ، فان الله تعالى : أمر نبيه بالمشاورة ،
مع ما تكفل له به من ارشاده ، ووعدته من تأييده .
فقال تعالى : «وشاورهم في الامر»^(١) .

قال قتادة : أمر بمشاورتهم تألفاً لقلوبهم وتطبيباً لنفوسهم .
وقال الحسن : أمر بمشاورتهم ليستنّ به المسلمون ، ويتبّعهم المؤمنون .
وروي عن النبي ﷺ أنه قال : المشاورة حصن من الندامة ، وأمان من
الملامة .

وقال علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه» : نعم الموازنة المشاورة، وبش
الاستعداد الاستعداد .

وفي منشور الحكم : المشاورة راحة لك ، وتعب لغيرك .
وقال بعض البلغاء : المشاورة لقاح العقل، وزاد الصواب ، وعين الهداية
وحزم التدبير .

وقال بعض الادباء : ماخاب من استخار ، ولاندم من استشار .
وقال بعضهم : حق على العاقل أن يضيف الى رأيه رأي العقلاء، ويجمع

(١) سورة آل عمران : ١٥٩/٣ .

الى عقله عقول الاذكياء ، فان الرأي الغدّ ربما زلّ ، والعقل الفرد ربما ضلّ .
وقال الملك خاقان : اذا شاورت العاقل صار عقله لك .
ولهذا قيل لرجل من بعض قبائل العرب : ما أكثر الصواب فيكم ؟
فقال: نحن مائة رجل وفينا رجل عاقل . فاذا فعل أحد منا شيئاً شاوره فيه ،
فكأننا مائة عاقل .

فصل

لا بد في المستشار من خمس صفات :

أحدها : عقل كامل ، مع تجربة سابقة، فانه بكثرة التجارب يصح العقل والروية .

قال بعضهم لابنه : احذر مشاورة الجاهل، وان كان ناصحاً فانه يوشك أن يورثك بجهله .

وفي منشور الحكم : كل شيء يحتاج الى العقل ، والعقل يحتاج الى التجارب .

ولذلك قيل : الايام تهتك لك عن الاستار الكامنة .

وما أحسن قول أبي الاسود الدؤلي رحمه الله :

وما كل ذي نصيح بمؤتيك نصحه

ولا كل مؤت نصحه بلبيب

و لكن اذا ما استجمعا عند صاحب

فحق له من طاعة بنصيب

وثانيها : أن يكون ذا دين وتقى، فانه عماد كل صلاح ، وباب كل فلاح

لان صاحبه مأمون السريرة ، موفق العزيمة .

فعن رسول الله ﷺ أنه قال : من أراد أمراً فشاور أمراً مسلماً وفقه الله

لارشـد الامور .

وثالثها : أن يكون ناصحاً ودوداً ، فان النصـح والمودة يصدقان الفـكر .
قال بعض الحكماء : لاتشاور الاالحازم غيرالحسود ، والليـب غيرالحقود
واياك ومشاورة النساء ، فان رأيهن الى أفن^(١) ، وعزمهن الى الوهن .

ورابعها : أن يكون سليم الفكر من هم قاطع ، أو حزن فاجع أو مريض
واقع ، فان من عارض فكره شوائب الهموم والاحزان والامراض لم يسلم له
رأي ولم يستقم له خاطر .

وخامسها : أن لا يكون له في الامر المستشار فيه غرض يراصده ، ولا
هوى يساعده ، فان الاغراض جاذبة ، والاهواء غالبة ، والرأي - اذا جاذبه
الغرض وغالبه الهوى - فسد .

فاذا استكملت هذه الخصال الخمس في امرئ كان أهلاً للمشورة .
فيحقّ على اللبيب أن لا يعدل عن استشارته ، اعتماداً على ما يتوهمه من فضل
رأيه أو رويته ، لان رأي غير ذي الحاجة أسلم من دواعي النفس ، فهو الى
الصواب أقرب ، لخلوص الفكر ، وخلوّ خاطر ، من دواعي الهوى والشهوة .
قال لتمان لابنه : شاور من جرتب الامور ، فانه يعطيك من رأيه ما قام
عليه بالغلاء ، وأنت تأخذه بالمجان .

نكتة :

وقد يصدّ ذا النوك والرأي الفاسد والعقل الضعيف عن الاستشارة ما يتصور
في نفسه ، من أنه اذا شاور ظهر للناس ضعف رأيه ، وفساد رؤيته ، حتى افتقر
بذلك الى رأي غيره ، ويعزب عنه ، أن نفس المشاورة حزم وصواب ، وأن

(١) الافن : الضعف .

تركها ، ترك للحزم والصواب .

وان تفطن لذلك ، فهو ممن رضي من نفسه بركوب الخطأ ، ليظهر للناس أنه على الصواب من رأيه وبصيرته ، ويذهل عن أن اظهار مثل هذا عين الضلال .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : لَتَحُوا عقولكم بالمذاكرة ، واستعينوا على أموركم بالمشاورة .

وقال بعض الحكماء : من كمال عقلك ، استظهارك على عقلك .

فصل

وينبغي الاستئثار من مشاورة ذوي الالباب ، خصوصاً في الامر الخطير
فقل " ما يذهل الجماعة فيه عن الصواب .
ففي منشور الحكم : من أكثر من المشاورة ، لم يعدم عند الاصابة مادحاً ،
وعند الخطأ عاذراً .

فصل^(١)

واذا استشار جماعة، فذهب بعضهم : الى أن اجتماعهم على محض الرأي
واجالة الفكر أولى^(٢)، لذكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره ، وأنتجه فكره ،
حتى ان كان فيه قدح عورض ، وان توجه عليه رد نوقض ، فلا يبقى فيه مع
اجتماع القرائح خلل الاظهر، ولا يتأتى فيه زال الا اشتهر.
وذهب آخرون : الى أن الاولى افراد كل واحد بالمشورة ، ليحيل كل
واحد منهم فكرته في الرأي ، طمعاً في الخطوة^(٣) بالصواب، فان القرائح اذا
انفردت استكدت ها الفكر، واذا اجتمعت فوضت فيه .

(١) في نسخة المرعى بدل هذا العنوان : لطيفة .

(٢) في نسخة المرعى: أولاً .

(٣) الخطوة : الحصول على ما يريد . .

ولكل من المذهبيين وجه ، ولعل كل واحد في محله اللائق به أحسن ،
وذلك بحسب اختلاف المستشار والمشيرين .

على أنه إذا امكن افرادهم أولا ، ثم جمعهم ، كان أولى بغير شك .
ثم انه ينبغي سلامة أهل الشورى من تنافس وحسد يمنعهم ذلك من تسليم
الصواب لمن جاء به في حالة الاجتماع .
ثم بعد ذلك يعرض المستشار ما أشاروا به على نفسه مع مشاركتهم في
الارتياح والاجتهاد .

فاذا تصفّح أقاويلهم جميعهم ، وكشف عن أصولها وأسبابها ، وبحث عن
نتائجها ومآلها ، استفاد بذلك ثلاث خصال :
احداهن : معرفة عقله وصحة رؤيته .

وثانيتين : معرفة عقل صاحبه ، وصوابية رأيه ، وقد رنصحه له .
وثالثتين : وضوح ما استعجم من الرأي ، وانفتاح ما انغلق من الصواب .
قال بزرجمهر : الحازم اذا أشكل عليه الرأي فهو بمنزلة من ضاع له
جوهره ، فجمع ما حول مسقطها من التراب ، ثم التمسها فوجدها ، كذلك
الحازم يجمع وجوه الرأي في الامر المشكل ، ثم يضرب بعضها في بعض ،
فيتخلص له الرأي الصواب منها .

فصل

وانما على المستشار النصيح والاجتهاد في اصابة الصواب، وليس عليه ضمان النجح لاسيما والمقادير غالبية، فلا ينبغي اتهامه اذا لم يتبين معه الصواب، اذا كان بالصفات المتقدمة، فان السيف قد ينبو، والفارس قد يكيو، والحازم قد يصبو، «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير»^(١)

نصيحة :

واذا ظفر المرء برأي من خامل ليس أهلاً للمشورة وجب اغتنامه، فان الحكمة ضالة المؤمن، وقد يوجد في الاسقاط ما لا يوجد في الاسقاط^(٢) فلا يستهين به لاستيهانه صاحبه، فان الدرة لا يهينها مهانة غائصها، والضالة لا تترك لمهانة واجدها.

ولهذا قيل : أنظر الى ما قال، ولا تنظر الى من قال.

(١) اقتباس من قوله تعالى : «قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون» .
سورة الاعراف : ١٨٨/٧ .

(٢) الاسقاط : جمع سقط، وهو وعاء كالجواني أو كالفقة يعبأ فيه الطيب من أدوات النساء .

اذ ليس يراد من الرأي الا الانتفاع به ، لاعلو قدر صاحبه .

هداية وحزم :

واذا تقرر له الرأي وجبت المبادرة في امضائه ، وانتهاز الفرصة ، لان الزمان غادر ، والايام كثيرة الغير ، والتواني - للثقة بصوارف الدهر - عجز وفشل .

قيل لملك زال عنه ملكه : ما الذي سلبك ملكك؟

فقال : تأخير عمل يوم الى غده .

ختم وارشاد :

يجب على من استشير ، وحل " محل الناصح ، فصار مأمول النجاح ، مرجو الصواب ، أن يؤدي حق هذه النعمة باخلاص السريرة ، ويكافئ على الاستسلام اليه ، ببذل النصيح بكل مايمكنه .

فمن النبي ﷺ أنه قال : من حق المسلم على المسلم اذا استنصحه أن ينصحه ، فان لم يفعل فهو غادر خائن .

فاذا شح بالرأي لحسد او بغض ، فذلك خطأ محض ، ونقض للدين والمروءة ، اذ لايجوز لمن استشير أن يكتنم رأيا وقد استرشد ، ولا ان يخون وقد اؤتمن . وربما أبطرت المشاورة فأعجب بنفسه ورأيه فاحذر^(١) في الاشارة من غير ترو ، فأخطأ ، اذ ليس للمعجب رأي صحيح ولا رؤية سليمة .

تتمة ونصح :

ولا ينبغي للمرء أن يشير قبل أن يستشار ، الا فيما مسّت الحاجة اليه ،
ولزم عليه المبادرة فيه ، فانه يوشك أن يكون رأيه متّهماً ، أو مطرّحاً ، وكلاهما
وصر^(١) اذ لا يكون الراي غالباً مقبولا ، الا اذا كان عن رغبة وطلب ، وباعث
وسبب .

(١) كذا ويحتمل أن يكون وضر بالاضاد أي: الدرن والوسخ (لسان العرب) .

باب الكبر والعجب^(١)

يجب على كل ذي لب "مجانبتهما"، لانهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، فلا يصغي من استولى عليه الى نصيح، لانه يجلب نفسه عن رتبة المتعلمين، فيقع في ورطات الجهل المركب، وناهيك به ذماً، مع ما يكسبه الكبر من المقت لدى الخالق والمخلوقين.

قال تعالى: «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق»^(٢)
وقال تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا»^(٣).

وقال النبي ﷺ: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من الكبر.
وفي حديث آخر: لا يدخل حضيرة الفردوس متكبر^(٤).
وقال النبي ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه: أنهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله يحجب منهما.

وقال الحكماء: الكبر قائد البغض.

(١) العجب: هو اعجاب المرء بنفسه وهومن دواعي الكبر.

(٢) سورة الاعراف: ١٤٦/٧.

(٣) سورة القصص: ٨٣/٢٨.

(٤) في نسخة المرعشي: متكبر.

وقالوا : التعزز بالنكبر ذل .

وقال بعض العلماء : التكبر على الملوك يعرض للحتوف ، وعلى الاراذل من صغر النفس ، وعلى الاكفاء جهل عظيم .

ورأى بعض الصلحاء المهلب وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء ، فقال له : يا عبد الله ماهذه المشية التي يبغضها الله ورسوله ؟

فقال له المهلب : أما تعرفني ؟

فقال : بلى أعرفك ، أولئك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة .

ونظم هذا المعنى بعضهم ، فقال :

عجبت من معجب بصورته	وكان بالامس نطفة مسذرة
وفي غد بعد حسن هيئته	يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تبهه ونخوته	مابين ثوبه يحمل العذرة

فصل

وأما الاعجاب: فيخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام^١ و
يزري عند الكرام، ويضع لدى الملك العلام^٢.
فعن النبي ﷺ: العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
وقال علي رضي الله عنه: الاعجاب ضد الصواب^(١)، وآفة الالباب.
وقال بعضهم: ما رأيت أثلم للمحاسن من العجب.
فلونظر المرء ببصيرته الى مساوئ نفسه، وضعف قوته، وقلة علمه، وكثرة
احتياجه الى الدنيا، من المطعم والمنكح والمركب ونحو ذلك، لخفض جناح
نفسه واستبدال لنا من عتو^٣.

قال بعض الشعراء:

يا مظهر الكبر اعجاباً بصورته	قصّر هديت، فان التبر تتريب ^(٢)
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرومة؟	وهو بست ^(٣) من الاقدار مضروب
أنف يسيل، وأذن ريحها سهك ^(٤)	والعين مرمصة ^(٥) ، والثغر ملعوب
يا بن التراب وما كول التراب غداً	اقصر فانك ما كول ومشروب

(١) في نسخة المرعشي: الثواب.

- (٢) ورد في عيون الاخبار ج ٣ ص ٢٧٢ الشطر الثاني هكذا: انظر خلاصك ان
الثن تتريب، وبعده: لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشر الكبر شيان ولا شيب
(٣) في عيون الاخبار ورد بخمس وهو خطأ.
(٤) اي كريهة الرائحة.
(٥) الرمص: وسخ ابيض جامد يجتمع في الموق.

فصل

وأحقّ الناس بمجانبة الكبر والاعجاب، من جلّ في الدنيا قدره، وعظم فيها خطره، لانه قد يستقل بعالي همّته كل كثير، ويستصغر فيها كل كبير .
قال محمد بن علي رضي الله عنهما : لا ينبغي للشريف أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطراً، فيكون به نائهاً .

وقال بعضهم: الشريف اذا ارتفع تواضع، والوضيع اذا ارتفع تكبر .
وقالوا: تواضعك في شرفك أحسن من شرفك .
وقالوا : التواضع أوّله تودّد، وآخره سؤدد .
وقالوا: من لم يتّضع عند نفسه، لم يرتفع عند غيره .
وقالوا: من تواضع لله رفعه الله .

فصل

وللكبر أسباب: أقواها : علو اليد، ونفوذ الامر، مع قلّة مخالطة الاكفاء
 حكى : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فأصابته رعدة .
 فقال له النبي ﷺ: هوّن عليك، فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد !!
 وانما قال ذلك حسماً لمواد الكبر، وقطعاً لذرائع الاعجاب، وكسراً لاشر
 النفس، وتذليلاً لسطوة الاستلاء .

هكذا .. هكذا ، والا فلا ، (صلوات الله عليه وسلامه) .
 وحكى : أن قوماً مشوا خلف علي رضي الله عنه، فقال لهم: أبعادوا عني
 خفي نعالكم ، فانها مفسدة لقلوب نوكي الرجال .
 ولذلك فللاعجاب أسباب : منها : كثرة مديح المتملقين .
 قال ابن المقفع : قابل المدح كمادح نفسه .
 وقال بعض الحكماء: من رضي أن يمدح بما ليس فيه فقد مكّن الساخر منه .
 قيل : أنزل الله تعالى في الكتب السالفة : عجبت لمن قيل فيه الخير ،
 وليس فيه ، كيف يفرح ؟ وعجبت لمن قيل فيه الشر ، وليس فيه كيف
 يغضب ؟

ولا يخفى أن للنفس ميلاً الى حب الثناء عنها وسماع المدح (فيها)^(١) فاذا

(١) ليس في نسخة المرعشي .

سامحها في ذلك تشاغل عن الفضائل، فربما تأدى الى الرذائل ، وهذه خدعة لايرتضيها عاقل .

فينبغي : للتيب أن يضبط نفسه عنها ، ولا يغلبه حسن الظن بمادحه ، فيصدق مدحاً هو أعرف بحقيقته، ولتكن تهمة المادح اغلب عليه، فقل "مدح جميعه حق، وثناء كله صدق .

قال الشاعر :

يا تائهاً غرّه افراط مادحه لا يغلبن جهل من أطراك علمك بك
أنسى وقال بلا علم أحاط به وأنت أعلم بالمحصول من رتبك
وكذلك كره أهل الفضل أن يطلقوا ألسنتهم بالثناء والمدح تحرزاً من
التجاوز فيه، وتنزّهاعن التملّص به .

قال علي رضي الله عنه في وصف المتقين: اذا زكي أحدهم قال : اللهم انت أعلم بنفسى مني، وأنا أعلم بنفسى من غيري، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون^(١) .

وربما آل حب المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه ، امّا لتوهمه أن الناس قد غفلوا عن فضله، و امّا ليخدعهم بتدليس نفسه، فيعتقد أن قوله حق مسمّع، واما ليتلذذ بسماع مدحه حيث لم يجد له مادحاً ، كمن يطرب نفسه بصوته، اذا لم يجد له مطرباً .

وعلى كل حال: فهو الجهل الصريح ، والنقص القبيح ، لانه يؤدي الى استسغار العقلاء به .

(١) في نهج البلاغة : اذا زكى احدهم خاف مما يقال له ، فيقول : انما اعلم بنفسى من غيرى وربي اعلم بى منى بنفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون .
(خطبةهمام / رقم : ١١١)

فصل

قد يحدث الوصول الى المنازل والولايات لقوم أخلاقاً مذمومة ، منها :
الكبر والعجب والجفوة والقسوة ، يظهرها سوء طباعهم .
وقد يحدث لآخرين فضائل محمودة ، كالتواضع والحلم وحسن الخلق
يبحث عليها ذكي شيمهم .
وذلك لان لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ، لاسيما
اذا هجمت بغير تدريج .
قال بعض الحكماء : من تقلب الاحوال ، تعرف أخلاق الرجال .
وقال الفضل بن سهل : من كانت ولايته فوق قدره تكبر فيها ، ومن كانت
ولايته دون قدره تواضع لها .

خاتمة ونصح :

ينبغي للعاقل اللبيب أن يطلب من اخوان الصدق ، وأصفياء القلوب ، أن
ينبهوه على مساوئه التي صرفه حسن الظن بنفسه عنها .
فانهم أمكن فيه نظراً وأسلم منه في نفسه فكراً وتبصراً .
فعن النبي ﷺ : المؤمن مرآة المؤمن ، اذا رأى فيه عيباً أصلحه .
ولهذا كان عمر بن الخطاب (رضه) يقول : رحم الله امرءاً أهدى اليه
مساوئنا .

وفي منشور الحكم: من أظهر عيب نفسه فقد زكّاه .
 فاذا قطع المرء أسباب الكبير ، وحسم مواد العجب ، اعتاض بالكبير
 تواضعاً ، وبالعجب تودداً ، وذلك أكد أسباب الكرامة ، وأهدى شيء إلى
 النجاة والسلامة، وأبلغ شافع إلى القلوب، وأحسن مقرب إلى علام الغيوب .
 قال ابن الزبير: التواضع مصايد الشرف^(١) .
 وفي منشور الحكم : من دام تواضعه كثر صديقه .
 بعضهم: من تواضع لله رفعه الله .

(١) كذا في النسختين وفي عيون الاخبار ج ٣ ص ٢٦٦ التواضع احد مصايد

الشرف .

باب الحلم والغضب

- الحلم : ضبط النفس عن هيجان القوة الغضبية .
وهو من أشرف الاخلاق وأحقها بذوي الالباب لما فيه من سلامة العرض
وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد .
- روي ان جبرائيل نزل على محمد ﷺ فقال : يا محمد ، أتيتك بمكارم
الاخلاق في الدنيا والاخرة «خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين»^(١).
- فقال ﷺ : ما هذا يا جبرائيل ؟
فقال : لا أدري حتى أسأل العالم . . ثم عاد وقال : يا محمد ربك يأمرك أن
تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .
وعنه ﷺ : ان الله يحب الحليم الحيي ، ويبغض الفاحش البذي .
وقال له رجل : يا رسول الله ، مرني بعمل ، وأقلل .
فقال : لا تغضب .
- وقال ﷺ : اذا غضبت فاسكت .
وقال : من كنتم غيضاً ، ولو شاء ان يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً .
وقال علي «رضي الله عنه» : من حلم ساد ومن تفهم ازداد .
وقال بعض الادباء : من غرس شجر الحلم اجتنى ثمرة السلامة .
وقال بعض البلغاء : ماذب عن الاعراض كالصفح والاعراض .
-
- (١) وهذه اية من القرآن الكريم في (سورة الاعراف : ٧ / ١٩٩) .

فصل

وللحلم اسباب :

الف : الرحمة للجاهل :

- ففي منشور الحكم: من أكد أسباب الحلم رحمة الجهال .
وفي وصية جعفر الصادق «رضي الله عنه» لبعض اصحابه : اذا شتمت فقل:
ان كنت صادقاً فغفر الله لي ، وان كنت كاذباً فغفر الله لك .
ب : الترفع عن السباب : وذلك من شرف النفس وعلو الهمة .
قبل : ان الله تعالى سمى يحيى : سيداً، لحلمه^(١) .
وقالت الحكماء : شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم .
ج : القدرة على الانتصار : وذلك من سعة الصدر ، وحسن الثقة .
فمن النبي ﷺ : اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه جزاء للقدرة عليه .
وقال بعض الفصحاء : أحسن المكارم عفو المقتدر ، وجود المفتقر .
د : الاستهانة بالمحلول عنه . كما حكى: ان رجلاً أكثر من سب الاحنف ،
وهو لا يجيبه ، فقال : والله مامنعه من جوابي الا هواني عليه .

(١) وانما سماه بذلك في قوله تعالى: فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب:

أن الله يشرك بيحيى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين .
(ال عمران : ٣ / ٣٩) .

قال عمر بن علي «رضي الله عنهما» :

سكت عن السفية فظن أنني عيت من الجواب وما عييت
إذا نطق السفية فلا تجبه فأحسن من اجابته السكوت
ه : الاستحياء من جزاء الجواب : وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.
قال بعض الحكماء: احتمال السفية أيسر من التحلي بصورته ، والأغضاء
عن الجاهل خير من مشاكلته .

و : التفضل على السباب: وهذا من نهاية الكرم، وعلو الهمة ، وحب
التفضل والتألف .

قيل للاسكندر : ان فلانا وفلانا ينتقصانك ويثلبانك ، فلو عاقبتهما ؟
فقال : هما بعد العقوبة أعذر في نقصي وثلبي .
وقال الاحنف بن قيس ^(١) : ما عاداني أحد الا أخذت في امره احدى
ثلاث خصال :

ان كان اعلى مني ، عرفت به قدره .
وان كان دوني ، رفعت قدرتي عنه .
وان كان مثلي ، تفضلت عليه .

ن : استكفاف السباب وقطع الجواب ، وهذا يكون من الحزم وحسن
التدبير .

قال الشعبي : ما ادركت أمي فأبهرها ، ولكني لا أسب أحدًا فيسبها .
قال بعض الشعراء :

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى وفي الخرق اغراء فلاتك مخرقا
فتندم اذا لاتنفعنك ندامة كما ندم المغبون لما تفرقا

(١) وهو من دهاة العرب .

ح : الخوف من العقوبة على الجواب . وهذا من ضعف النفس وربما أوحاه الرأي واقتضاه الحزم .

فقد قيل : الحلم حجاب الافات .

ط : الوفاء ليدسألقة وحرمة لازمة، وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد .
ففي منشور الحكم : اكبر الهمم أرهاها للذمم .

قال الشاعر :

ان الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذئ الاجلاف
فترى الكريم لمن يعاشر منصفاً وترى اللئيم مجانب الانصاف

ي : المبكر وته قتع الفرص الخفية ، وهذا من الدهاء .

ففي منشور الحكم : من ظهر غضبه ، قل كيده .

وقال بعض الادباء : غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله .

يا : قصد ايلامه وتزايد غضبه بالسكوت عنه ، فان السكوت واهمال الساب

في بعض الموارد ربما كان اوجع لقلبه واشد على نفسه .

قال بعض الحكماء : اذا سكت عن الجاهل فقد اوسعته جواباً ، واوجعته

عقاباً .

وقال الشاعر :

والكف عن شتم اللئيم تكرماً أضر له من شتمه حين يشتم .

فهذه أسباب الحلم ، وبعضها أفضل من بعض ، فالاولى أن يدعو المرء

الى الحلم أفضل اسبابه ، فاذا عرى عن احد هذه الاسباب . كان ذلاً لا حلماً ،

لنا قد ذكرنا في حده : انه ضبط النفس عن هيجان الغضب ، فاذا فقد الغضب

بعد سماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس ، ومهانتها ، وقلة الحمية ، وفقد

الشجاعة والغيرة ، والدفاع ، والاخذ بالنار .

وليس قولنا ذلك اغراء بتحكيم الغضب ، بل المراد أنه اذا صدر ما يغضب ، أوقع الحلم على أحد الوجوه التي ^(١) ذكرناها، فاذا لم بتأت شيء منها ، وأدى الحلم الى مفسدة ، وجب البطش اذا امكن .

قال المنصور : اذا كان الحلم مفسدة ، كان العفو معجزة .

وقال بعض الحكماء : العفو يفسد من اللثيم بقدر اصلاحه من الكريم .

وقال ابن الزبير : ما قل سفهاء قوم الا ذلتوا .

وقال بعضهم : أكرموا سفهائكم ، فانهم يكفونكم العار والنار .

قال الشاعر :

أرى الحلم في بعض المواضع ذلة وفي بعضها عزاً يسود فاعله

(١) هنا تنتهي نسخة مكتبة اية الله المرعشي .

فصل

الغضب : هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن يكون هجومه ممن فوقها .

والغضب يتحرك من داخل الجسد الى خارجه ، والحزن بالعكس ، ولذلك قد يقتل الحزن، ولا يقتل الغضب وماذا لا البروز الغضب ، وكمون الحزن. فصار الحادث عن الغضب : السطوة والانتقام ، والحادث عن الحزن : المرض والاسقام . فهذا هو الفرق بينهما .

واعلم أن لتسكين الغضب أسباباً يستعان بها على الحلم : منها : ذكر الله تعالى ، فيدعوه ذكره الى الخوف منه فيبعثه ذلك على الرقة والطاعة .

قال تعالى : « وأذكر ربك اذا نسيت » ^(١) .

قال عكرمة : اذا غضبت .

وقال تعالى : « واما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » ^(٢) .

وذكر أن في التوراة مكتوب : يا بن آدم، اذكرني حين تغضب ، اذكرني حين أغضب ، لا أمحكك فيمن أمحق .

(١) (سورة الكهف : ١٨ / ٢٤) .

(٢) (سورة الاعراف : ٧ / ٢٠٠) .

وقال بعض الحكماء: من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله. وكان بعض الملوك اذا غضب القي عنده مفاتيح ترب^(١) الملوك، فيزول غضبه .

ومنها: ان ينتقل عن الحالة التي هو فيها ، لان الغضب يزول بالتنقل من حال الى حال ، وهذا كان يستعمله المؤمنون .

قالت الفرس : اذا غضب القائم فليجلس ، واذا غضب الجالس فليقم .
ومنها : ان يتذكر ما يثول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام .
قال بعض الادباء : اياك وغرة^(٢) الغضب ، فانها تفضي الى ذل العذر.
وقال بعض الحكماء : الغضب على من لا تملك عجز ، وعلى من تملك لؤم .

ومنها : أن يذكر ثواب العفو ، فيقهر نفسه على العفو رغبة في الجزاء وحذراً من استحقاق الذم والعقاب .

روي عن النبي ﷺ انه قال : ينادي مناد يوم القيامة : من له أجر على الله فليقم .

فيقوم العافون عن الناس . ثم تلا «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»^(٣) .
وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز (رضه) كلاماً مغضباً ، فقال عمر : أردت أن يستغزني الشيطان بعزة السلطان ، فأنا لك اليوم ما تناله مني غداً ؟ انصرف رحمك الله .

(١) ترب : جمع تربة ، بمعنى : المقبرة .

(٢) كذا في الاصل ويحتمل كونه وعزة ، انظر عيون الاخبار ج ٣ / ٢٩١ ومجموعة

وراء ج ١٢٢ / ١٢٢ .

(٣) سورة الشورى ٤٢ / ٤٠ .

ومنها : أن يتذكر انعطاف القلوب عليه ، وميل النفوس اليه ، فلا يحب تنفر الناس عنه ، فيرغب في التآلف وجميل الثناء .
 فعن النبي ﷺ قال : ما ازداد أحد بعفو الا عزاً ، فاعفوا يعزكم الله .
 وهذا كان يستعمله معاوية بن أبي سفيان ^(١) .

(١) بلغ الامام علي بن الحسين (عليه السلام) قول نافع بن جبير في معاوية ، حيث قال : (كان يسكته الحلم وينطقه العلم) .
 فقال عليه السلام : كذب ، بل كان يسكته الحصر ، وينطقه البطر .
 بلاغة الامام علي بن الحسين ص ٢٧٨

باب الصبر والجزع

ومن حسن التوفيق الصبر في الملمات .
 قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا»^(١).
 أي اصبروا على ما فرض الله عليكم ، وصابروا عدوكم .
 وقال رسول الله ﷺ : الصبر مطيئة لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو .
 وقال ابن عباس : أفضل العدة الصبر عند الشدة .
 وفي منشور الحكم : من أحب البقاء فليوطن للمصائب قلباً صبوراً .
 وقال الشاعر :

صبر النفس عند كل ملم ان في الصبر حيلة المحتال
 لا تضيقن بالامور فقد تكشف غمّاؤها بغير احتيال
 قال ابن المقفع : الصبر صبران ، فاللثام أصبر أجساماً والكرام أصبر
 نفوساً ، وليس المراد بالصبر الممدوح قوة الجسد على الكد ، لانه من صفات
 البهائم ، ولكن أن يكون عند المضائق محتملاً^(٢)

(١) سورة آل عمران : ٢٠٠ / ٣ .

(٢) الظاهر ان في النقل سقطا والاصل فيه : (... فان الصبر صبران ، صبر الرجل
 على ما يكره ، وصبره عما يجب ، فالصبر على المكروه أكثرهما وأشبههما أن يكون صاحبه
 مضطراً ، واعلم ان اللثام...) وأما الباقي فالظاهر انها منقولة بالمعنى راجع أصل النص في
 الدرة اليتيمة ص ٤٦ .

فصل

والصبر على ستة أنحاء - والكل مدوح - :

الاول : الصبر على امثال امر الله تعالى والانتفاء عما نهى عنه ، لان " به
تستقيم العبودية ، فيصلح الدين ، فيستحق الثواب الدائم .
قال تعالى : «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»^(١) .
وقال رسول الله صلى الله عليه : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من
الجسد .

فمن لم يصبر على ما يكسب ثواباً ويدفع عقاباً ، كان بعيداً من الرشاد ،
حقيقاً بالفساد .

وهذا النوع من الصبر يكون لشدة الخوف والرجاء .
الثاني : الصبر على ما انقضت أيامه من رزية قد أجهده الحزن عليها ، أو
حادثة قد استكدت لهم بها ، فان الصبر عنها يعقبه الراحة منها ، ويكسبه
المثوبة بها .

فان صبر طائعاً ، والا احتمل همّاً لازماً ، وصبر كارهاً آثماً .
روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : من لم يرض بقضائي
ويصبر تحت بلائي ، فليختر رباً سواي .

(١) سورة الزمر : ١٠/٣٩ .

وقال علي رضي الله عنه للاشعث بن قيس : انك ان صبرت ، جرى عليك القلم وأنت مأجور ، وان جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور .
الثالث : الصبر على ما فات ادراكه ، فان الصبر عنه يعقب السلوة منه ،
والاسف بعد اليأس خرق .

فعن النبي ﷺ : من أعطي فشكر ، ومنع فصبر ، وظلم فاستغفر أولئك لهم الامن وهم مهتدون ^(١) .

وقال بعض الحكماء : اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله ، مثل الذي لم يخطر ببالك .

وقال بعضهم أيضاً : اذا كنت تجزع على ما فات من يدك ، فاجزع على ما لم يصل اليك .

الرابع : الصبر على ما يخشى حدوثه فلا يتعجل بهم " ما لم يأت ، فان كثيراً من الهموم حادث ، والاغلب من المخوف مدفوع .

فعن النبي ﷺ : بالصبر يتوقع الفرج ومن يدمن قرع الابواب يلج .
وقال بعضهم : لاتحملن على يومك هم " غدك ، فحسب كل يوم همّه .
الخامس : الصبر على ما يتوقعه من رغبة يرجوها أو نعمة يأملها .

فانه اذا أدهشه التوقع لها ، وأذهله التطلع اليها ، انسدت عليه سبل المطالب ، أما اذا كان مع الرغبة وقوراً ، وعند الطلب صبوراً ، ارتحلت عنه عماية الدهش ، فأبصر رشده ، وعرف قصده .

قال النبي صلى الله عليه : الصبر ضياء .

يعني - والله أعلم - : أنه يكشف ظلم الحيرة ويوضح حقائق الامور .

(١) اقتباس من قوله تعالى : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون (سورة الانعام : ٨٢ / ٦) .

وكان مكتوباً في قصر اردشير: الصبر مفتاح الدرك .

قال محمد بن بشير:

ان الامور اذا انسدت مطالبها فالصبر يفتق منها كلما ارتتجا ^(١)
لا تياسنّ و ان طالبت مطالبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
خلق بذى الصبر أن تقضى حوائجه ومدمن القرع للابواب أن يلجا
السادس : الصبر على منزل من مكروه ، أو حلّ من مخوف ، فالصبر في
هذا يفتح وجوه الاراء ، ويستدفع به مكائد الاعداء ، فان قل الصبر ، اشتد الجزع
وعزب الرأي فصار المرء مرتع الهموم وفريسة الغموم .

قال الله تعالى : «واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور» ^(٢).

واعلم : أن الصبر يعقبه النصر ، والكرب يعقبه الفرج ، والعسر يعقبه
اليسر ، فالحوادث لا تكون مع التناهي الا منقوصة .

اذا تمّ شيء بدا نقصه توقّع زوالا اذا قيل تم
وأنشد بعضهم أيضاً :

خيل لي لا والله ما من ملّة تدوم على حي وان هي جلت
فان نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت

(١) : ارتج : اغلق .

(٢) سورة لقمان : ١٧/٣١ .

فصل

ولتسهيل المصائب بالصبر، ليقُلَّ تأثيرها وضررها - ان قارنت ذا عزم
وحزم - أسباب :

منها : اشعار النفس ما يعلم من حلول الفناء ، وتقضي المسار والمضار
كلها ، وان لها أجلا منصرماً ، اذ ليس للدنيا حال تدوم ولا المخلوق فيها بقاء
انما الدنيا هبات وعوار^(١) مستردة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

وقال ابن الرومي :

رأيت حياة المرء رهناً لموته وصحته رهناً كذلك للسقم
ومن كان في عيش يراعى زواله فذلك في بؤس وان كان في نعم
ومنها: أن يتصور انجلاء الشدائد ، وانكشاف الهموم ، وانها تتقدر بأوقات
لا تنصرم قبلها ، ولا تستديم بعدها ، ولا تقصر بجزع ، ولا تطول بصبر .

حكى : ان الرشيد حبس رجلاً ثم سأل عنه بعد زمان .

فقال للموكل به : قل له : ان كل يوم يمضي من نعمتك يمضي من بؤسي
مثله ، والامر قريب والحكم لله عز وجل^(٢) ..

(١) كذا ظاهراً ويحتمل كونه : عواد ، ومفرده بمعنى المعروف والصلة والعطف
والمنفعة .

(٢) عيون الاخبار ج ٦ ص ٣٧٥ ، والرجل هو امامنا الغريب موسى بن جعفر (ع)
وقد ذكر هذا بالمعنى في كتاب حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٥٠٠ .

ومنها : أن يتصور أن فيما وقاه الله من الرزايا ما هو أعظم من رزقته ،
وأشد من حادثته ، فيعلم أنه ممدوح بحسن الدفاع .

ولذلك قال النبي ﷺ : ان لله تعالى في كل محنة منحة .

ومنها : أن يتسلّى بذوي الغير ، ويتأسّى بأولي العبر من أهل الفضائل
المصابين قبله فيعلم أن طوارق الانسان من دلائل فضله ، ومحنة من شواهد
نبله ، لان البلاء موكل بالامثل فالامثل .

وماذا الا لان ذا الفضل محسود ، وبالاذى مقصود ، فهيهات أن تسلم له
نعمة ، أو تصفى له لذة .

محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى كالنار مخبرة بفضل العود
وقل " ما يكون محنة فاضل الا من جهة ناقص ، أو بلوى عالم الامن جهة
جاهل ، وذلك لاستحكام العداوة بينهما ، للحسد على التقدم ، فلا تكاد تجد ذا
عقل في سرور متصل ، ولا ذا لب في لذة كاملة .

قال علي رضي الله عنه : قلب العاقل بيت الاحزان .

إذا قل عقل المرء قلت همومه ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد

وقال الحكماء : من زاد في عقله ، نقص من رزقه .

وقال ابراهيم بن هلال الكاتب :

إذا جمعت بين امرأين صناعة وأحببت أن تدري الذي هو أحق

فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق أضيق

فاذا ظفر ذو المصائب بأحد هذه الاسباب تخفت أحزانه ، وسهلت عليه
أشجانه ، فصار وشيك السلوة ، قليل الجزع ، وان غفل نفسه عن دواعي السلوة
ومنعها أسباب الصبر ، تضاعفت عليه عدة الاسباب ، وازدادت
به وربما أنقضت به الى اتلاف النفس أو الدين ، والعياذ بالله ، أو الى الضعف

المبرح في الجسم .

حكى : انه قل من صبر على حادثة تزايدت ، وتماسك في نكبة تصاعدت ،
الا كان الانكشاف وشيكاً ، والفرج قريباً .

حكى : أن امرأة أيوب عليه السلام قالت له : لو دعوت الله تعالى أن يشفيك ؟
فقال لها : ويحك كنا في النعماء سبعين عاماً فهل لي تصبر على الضراء
مثلها .

فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً حتى عوفي .

خاتمة :

وأما الرضا فهو أرفع درجة من الصبر ، لان المرء قد يصبر وهو غير
راض ، ولا ينعكس .

فكل ما في الصبر من المحامد والممادح ، ففي الرضا مثله ، ويزيد عليه
حصول الرضا من الله تعالى ، باعتبار الرضا لقضائه وتسليم الامر اليه ، فان
ذلك من أرفع مآزل الاتقياء وأسنى مدارك الاولياء .

قال الله تعالى : «رضي الله عنهم ورضوا عنه»^(١).

وقال بعضهم :

ومن جال في روض الرضا عن الهه تنزه سرا ثم زالت متاعبه

باب السخاء و الشح

السخاء : بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة الى مستحقه ، بقدر الطاقة .
وربما أنكر هذا الحد من يحب أن ينسب الى الكرم ، وجعل تقدير العطية نوعاً من البخل ، وجعل الجود بذل الموجود ، وهذا تكلف يقضي اليه الجهل بحدود الفضائل .

ولو كان الجود بذل الموجود ، لم يبق للسرف موضع ، ولا للتبذير موقع .
وقد ورد الكتاب العزيز بدمهما ^(١) وجائت السنة المطهرة بالنهي عنهما .
وحيث كان السخاء محدوداً ، فمن وقف على حده سمي كريماً ، ومن قصر كان شحيحاً ، ومن تجاوزه كان مبذراً .

إذا عرفت ذلك ، فاعلم : أن السخاء من فعل شيم النفس وأدلها على علوها وشرفها ، حيث لا ترى له قدراً ، وعلى حزمها وحسن تدبيرها ، حيث تبذل ما

(١) قال تعالى في ذم الاسراف: «ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين» سورة الانعام : ١٤١/٦ وهناك آيات اخرى في ذم الاسراف في سورة الاعراف: ٣١/٧ سورة وغافر : ٤٣ ، ٣٤ ، ٢٨/٤٠ .

وقال تعالى في ذم التبذير:

«... ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا»
سورة الاسراء : ٢٦/١٧ ، ٢٧ .

يكسب به مدح العاجل، والثواب الاجل، وتكتسب به تألف القلوب وجلبتهم على حبها ، اذ هو من أكبر أسباب اللفة .

قال رسول الله صلى الله عليه : جبلت ^(١) القلوب على حب من أحسن اليها ، وبغض من أساء اليها .

وقال عليه السلام : السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل : بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار .

وقال الله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » ^(٢) .
وقال النبي عليه السلام ما من يوم غربت فيه الشمس الا وملك ان يناديان : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وممسكاً تلفاً .

و انزل الله تعالى في ذلك : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » ^(٣) .
جابر : قيل : يا رسول الله أيّ الايمان أفضل؟ قال : الصبر والسماحة .
وعن النبي عليه السلام : أقسم الله بعزته وعظمته ، لا يدخل الجنة بخيل ولا شحيح .

وقال ابن عباس : سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء .
وفي منشور الحكم : الجود علوٌ موجود .
وقيل لبعضهم : انك قد سرفست في بذل المال ، فقال : ان الله عو دني أن يتفضل عليّ ، وعو دته أن أتفضل على عباده ، فأخاف ان قطعت العادة ، أن

(١) جبلة الشيء : طبيعته ، والجبلة أيضاً : الخلقة (لسان العرب) .

(٢) سورة الحشر : ٩/٥٩ وسورة التباين : ١٦/٦٤ .

(٣) سورة الليل : ٥/٩٢ - ١٠ .

يقطع عني المادة .

وكتب بخيل الى كريم يأمره بالابقاء على نفسه، ويخوفه من الفقر ،
فكتب اليه : «الشيطان يعدكم الفقر، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة
منه وفضلاً»^(١) .

(١) اقتباس من قوله تعالى في (سورة البقرة: ٢٦٨/٢) .

فصل

وحدّ الشحّ يعلم من حدّ السخاء، لأنّ الشيء يعرف بضدّه، وفيه من المذام بقدر ما في ضده من المحامد .

قال الله تعالى : « ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شرّ لهم سيّطوّنّ قون ما بخلوا به يوم القيامة »^(١) .

وقال علي « رضي الله عنه » : البخل جامع لمساوئ العيوب .

وقال بعضهم : البخل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله .

وقال بعضهم : بشّر مال البخل بحادث أو وارث .

وقال بعض الحكماء : البخل جلاباب المسكنة .

وقال بعض الأدباء : البخل حارس نعمته، وخازن ورثته .

وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

إذا كنت جمّاً عالمالك ممسكاً فأنت عليه خازن وأمين

تؤدّ به مذموماً إلى غير حامد فيأكله صفواً وأنت دفين

وحيث عرفت أنّ البخل جامع لمساوئ العيوب كما قال علي (رضي

الله عنه) فلنذكر منها أربعة ناهيك بها قبحاً، وهي : الحرص ، والشره ، وسوء الظن ، ومنع الحقوق .

(١) (سورة آل عمران: ١٨٠/٣) .

اما الحرص: فهو غريزة يبعث على شدة الكدح والاسراف في الطلب
لحبّ الجمع .

واما الشره: فهو استقلال الكفاية والاستيثار لغير حاجة .

وهذا هو الفرق بين الحرص والشره .

قال النبي ﷺ : من لم يجزه من العيش مايكفيه ، لم يجد - معاش - ما

يغنيه .

وقال بعض الحكماء: الشره من غرائز اللوم .

واما سوء الظن: فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل، فان كانت بالخالق كانت

شكاً يؤول الى ضلال، وان كانت بالمخلوقين كانت استهانة يصير بها خوّاً

وكانت دليلاً على خبث نفسه .

لان ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه ، فان وجد فيها خيراً ظنه

في غيره، وان كان فيها شرّاً عده بالناس، ويرشح الجلد بما فيه .

قال المتنبي :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وأما قول الحكماء: من الحزم سوء الظن بالناس .

فقد قيل: المراد به قلة الاسترسال اليهم والتعويل عليهم، لاعتقاد السوء

فيهم .

وامّا منع الحقوق : فلاّن نفس البخيل لاتسمح بفراق محبوبها ، و

الانقياد الى ترك مطلوبها، فلاتدعن لحق، ولاتجيب الى انصاف .

ولو ركن البخيل الى هذه الاوصاف المذمومة والشيم اللثيمة، لم يلق

معه خير معمول ولا صلاح مأمول .

فصل

واما السرف فهو الزيادة عن حد السخاء وهو بالذم جدير .
قال تعالى: «ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين»^(١) .
وقال النبي ﷺ: ما عال من اقتصد .
وقال بعض البلغاء: لا كثير مع اسراف ولا قليل مع احترام^(٢) .
نسكتة .

السرف والتبذير: قد يفترق معناهما، فالسرف: هو الجهل بمقادير الحقوق
فيزيد عليها، والتبذير: هو الجهل بمواقع الحقوق، فيبذل في غيرها .
وكلاهما مذموم، وان كان ذم التبذير أعظم، لان المسرف مخطيء
في الزيادة، والمبذر مخطيء في الجميع .
ومن جهل مواقع الحقوق وتقديرها - بماله - فاختطأها، كان كمن جهلها
- بفعاله - فتعداها .
وكما أنه بتبذيره يضع الشيء في غير موضعه، فهو يعدل به عن موضعه،
لان المال أقل من أن يوضع في كل موضع من حق وغيره .
قال بعضهم: في مقابلة كل سرف حق مضيع .

(١) (سورة الانعام: ١٤١/٦) و (سورة الاعراف: ٣١/٧) .

(٢) الاحتراف: الاكتساب .

وقال سفيان الثوري : الحلال لا يَحتمل السرف .

وقال بعض الحكماء : الخطأ في اعطاء ما لا ينبغي ، ومنع ما ينبغي واحد .

وأعلم : أنه ليس يتمّ السخاء ، حتى يسخو عما في يد غيره .

قال بعضهم : لا ينبل الرجل حتى يكون فيه العفة عن أموال الناس ، و

التجاوز عنهم .

وقال بعض الحكماء : السخاء سخاءان : فأشرفهما : سخاؤك عما في يد

غيرك .

وكتب كسرى الى ابنه هرمز : يا بني استقل الكثير مما تعطي ، واستكثر

القليل مما تأخذ ، فان قرّة عين الكرام في الاعطاء ، وسرور اللئام في الاخذ ،

ولا يعد الشحيح أميناً ، ولا الكذاب حراً ، فانه لا عفة مع الشح ، ولا مروءة مع

الكذب .

فصل

والبذل اما ابتداءً، واما عن طلب: والاول فضل .

سئل علي رضي الله عنه، عن السخاء ؟

فقال: ما كان ابتداءً ، وأما ما كان عن مسئلة فهو حياء وتكرم^(١) .

وقال بعضهم : أفضل النوّال ما وصل قبل السؤال^(٢) .

وهذا يكون لاحد أسباب :

الف: أن يرى خلّة يقدر على سدها، وفاقسة يتمكن من ازالتها، فلا يدعه الكرم الا أن يكون زعيم ازالتها واصلاحها، رغبة في الاجر، أو حباً للشكر .
ب : أن يرى في ماله فضلاً عن حاجته ، فيضعها حيث يكون له ذخراً معدّاً .

قال الشاعر :

ولا ضاع مال أورث المجد أهله ولكن أموال البخيل تضيع
ج: أن يكون لتعريض تنبّه عليه بفطنته ، فحداه كرمه على البذل، كما حكى: أن رجلاً سائر بعض الولاة، فقال له: ما أهزل برذونك؟!

(١) في الفرد والدرج ٢ ص ١١٧: وتذمم بدل وتكرم وهكذا في وسائل الشيعة ج ٦ ص ٣٢٠ .

(٢) الفرد والدرج ٢ ص ٤١١ .

فقال: يده مع أيدينا .

فوصله بمال .

فهذا تعريض يبلغ ما لا يبلغه التصريح .

د: أن يكون ذلك جزاءً على صنعة، فيرى تأدية الشكر واجباً .

قال بعضهم : الاحسان رق" والمكافأة عتق .

هـ: حب الرئاسة والترفع على الناس ، فيستعطف النفوس ويرغبها فيه

بالاسعاف .

قال بعضهم: بالاحسان يرتبط الانسان .

وقال بعض البلغاء: من بذل ماله أدرك آماله .

و: أن يستعطف به سطوة أعداءه ، اما لصيانة عرض، أو حراسة مجد ،

أو نفس .

ز: أن يرب^(١) به سالف صنعة أولاهها، ويراعي به قائم نعمة أسداها ،

كي لا ينسي مأوئى، لان مقطوع البر ضائع .

قال الشاعر :

بدأت بنعمى أوجبت لى حرمة عليك فعد بالفضل فالعود أحمد

ح: محبة البذل واللذة به، لجبل النفس على ذلك، فهي تشاق اليه .

قال الشاعر^(٢) :

وما زرتكم عمداً ولكن" ذا الهوى الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

وهذا والخامس والسادس ، من أقسام العطاء لا السخاء وانما ذكرناها

(١) يرب : يزيد .

(٢) هو صالح بن عبد القدوس وهذا البيت امير شعره الذى لم يقل مثله فى اللفظ

والمعنى (الاجازوالاجاز ص ٥٤) .

لدخولها تحت البذل .

ط : أن يفعل البذل لانه سجيّة قد فطر عليها وطبع بها فلا يميّز بين مستحق ومحرّوم، ولا بين محمود ومذموم .

وقد اختلف في تسمية هذا سخاء فيحمد، أو لا فيذم .

ف قيل : هذا هو السخاء طبعاً، وهو أحق بالحمد .

وقالوا: التقدير والتمييز شطر البخل .

وقال الحسن بن سهل: اذا لم أعط الا مستحقاً فكأنما أعطيت غريباً .

وهو الذي قال: الشرف في السرف .

ف قيل له: لا خير في السرف .

فقال: لا سرف في الخير .

وقيل : هذا تبذير مذموم ، لان العطاء اذا كان لغير سبب كان المنع لغير سبب .

لان المال يقل عن كل الحقوق ، فكيف عن بذله في كل محل ؟ - كما قد منّا - (١) فاذا أعطى غير المستحق، فقد منع المستحق، وما يناله من الذم بمنع المستحق أكثر مما يناله من المدح باعطاء غير المستحق، وحسبك ذمّاً لمن كانت فعّاله تصدر من غير تمييز، وتوجد بغير علة .

ولاشك أن ما قدمناه في تعريف السخاء (٢) وما بعده يشهد بقوة هذا .

(١) في صفحة (٢٣٠) .

(٢) في صفحة (٢٢٥) .

فصل

واما اذا كان البذل عن سؤال فللسائل شروط ثلاثة :
ألف: أن يكون السؤال لحاجة موجهة، ليسقط عنه اللوم .
قال بعضهم: الضرورة توقح الصورة .

قال بعض الشعراء :
ألا قاتل الله الضرورة انتها تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق
وقال الشاعر^(١) :

ولولم يكن الا "الاستة مركب فلا رأي للمضطرب الا" ركوبها
أما اذا دعت الحاجة، ولم تكن موجهة ضرورية، فالنفس المسامحة تغلب
الحاجة، وتسمع في الطلب، لاستقامة الحال وانتظام الامر، والنفس الشريفة
الابية، تغلب الصبابة، وتراعي النزاهة .

قال الشاعر :
وليس الليث من جوع بعاد على جيف تحيط بها الكلاب
فكيف بالانسان الفاضل، الذي هو أكرم أنواع الحيوان نفساً، هل يحسن
أن يرى لوحشي البهائم عليه فضلاً و...^(٢) .
وأما اذا كان السؤال من غير حاجة، فهو صريح اللؤم، ومحض الدناءة ،

(١) هو الكميت بن زيد (الايجاز والاعجاز ص ٤٣) .

(٢) كلمة غير مقرومة .

ومجمع العيوب .

ب - اختبار المستول ، بأن يكون مرجو" الاجابة ، اما لحرمة السائل ،

أو كرم المستول .

فان سأل لثيماً لايراعي حرمة، فهو الملووم بابتذاله، المحروم بسؤاله .

قال بعض الحكماء: المخذول من كانت له الى اللثام حاجة .

وقال بعض البلغاء: أذل" من اللثيم سائله، وأقل" من البخيل نائله .

وقال الشاعر :

من كان يأمل أن يرى من ساقط أمراً سنيئاً

فلقد رجى أن يجتنبي من عوسج رطباً جنيئاً

ج: التلطف في الطلب واتيانه به على الوجه اللائق به ، فربما انطلقت

الانفس وانشرحت بلطيف السؤال ، وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل ،

وفظاظه سؤاله .

ولهذا قالت الحكماء: حسن الاستمناح سبب النجاح .

فصل

وأما ما يجب على المستول فأمران :

ألف : ان يكتفي بالتعريض والتلويح ، ولا يلجئ الى صريح السؤال
ليصون السائل عن ذلّ الطالب .

ب - أن يتلقى بالبشر والترحيب ، واللطافة والتقريب ليكون مشكوراً
ان أعطى ، معذوراً ان منع .

فقد قيل : البشر أحد البذلين .

حتى ان ابن دريد اللغوي رحمه الله قصد بعض الصدور في حاجة فلم

يقضها ، وظهر له منه ضجر ، فكتب اليه :

يا خير من وقف العفاة ببابه	مسترفدين نواله المبدولا
لا يدخلنك ضجر من سائل	فلخير دهرك أن ترى مسؤلا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل	فبقاء عزك أن ترى مأمولا
يلقى الكريم فيستدل ببشره	ويرى العبوس على اللثيم دليلا
وأعلم بانك عن قليل صائر	خبيراً فكن خبيراً يروق جميلا

فصل

أحوال السائل والمسئول أربعة :
ألف: أن يكون السائل مستوجباً ^(١) والمسئول متمكناً ، فالاجابة هنا تستحق كرمًا وتلزم مروءة .
ولا سبيل الى الردّ الا لمن استولى عليه البخل، وهان عليه الذم .
قيل لبخيل: لم حبست مالك ؟
فقال : للنوائب .
فقيل: قد نزلن بك .
ثم ان كان التأخير مضراً عاجلاً له وقطع مطلبه .
قالت الحكماء: من مروءة المطلوب اليه ان لا يلجئ الى الالاحاح عليه .
وان كان في الوقت مهلة ، وفي التأخير فسح ، فذهب بعضهم الى أن
الاولى تعجيل الوعد قولا ، ثم يعقبه الانجاز فعلا ، ليكون السائل مسروراً
بعاجل الوعد ، ثم بأجل الانجاز، ويكون المسئول مرهوناً بالكرم، ملحقاً
بالوفاء .
حكى : أن يحيى بن خالد سأل رجل حاجة ، فوعده بقضائها .
فقيل له : أتعد ، وأنت قادر ؟

(١) مستوجباً: مستحقاً .

فقال: نعم ، ان الحاجة ان لم يتقدمها وعد ينتظر صاحبها نجحه ، لم يجدها سروراً ، لان الوعد طعم والانجاز اطعم .
 وذهب بعضهم : الى أن " تعجيل البذل فعلا من غير وعد أولى .
 قالوا: انما يقدم الوعد أحد رجلين :
 اما معوز ينتظر جدة^(١) أو شحيح يروض نفسه الى حينه^(٢) .
 وليس لوعده في غير هاتين الحالتين وجه .
 قالوا : وفي توقع الوعد من مرارة الانتظار مايكدره ، ويوهن عن شكره .

ب : أن يكون السائل غير مستوجب ، والمسئول غير متمكن .
 ففي الرد " هنا فسحة ، وفي المنع عذر ، الا أنه يلزمه أن يلين عند الرد
 لينا يقيه الذم ، ويظهر عذراً يدفع عنه اللوم اذ ليس كل مقل يعرف
 اقلاله .

ج : أن يكون السائل مستوجباً ، والمسئول غير متمكن .
 فيحمل النفس ما أمكن من يسير يسد خلة ، ويدفع مذمة ان أمكنه ذلك .
 ثم يظهر من أعذار المعوزين وتوجع المتألمين ما يوضح به عذره .
 د : عكسه^(٣) .
 فان خاف بالرد قدح عرض ، او قبح هجاء كان الى البذل أجدر، صيانة لا
 جوداً .

فعن النبي ﷺ : ماوقي به العرض فهو صدقة .

(١) الجدة : القنى .

(٢) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

(٣) اى عكس الحالة الثالثة وهو ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول متمكناً .

وان أمن ذلك فمن الناس من أمر بالبذل ، لئلا يقابل الرجاء بالخيبة ، و
لئلا يعتاد الرد ويستسهل المنع .
ومنهم من اعتبر الاسباب وندب الى المنع ، ليقوى على الحقوق اذا
عرضت .

قال الشاعر :

لا تجد بالعطاء في غير حق	ليس في منع غير ذي الحق بخل
انما الجود أن تجود على من	هو للجود والندی منك أهل

خاتمة هذا الفصل :

رأما من وعد بالبذل فقد صار مرهونا ، فلا سبيل الى مراجعة نفسه بالرد
ولا اعتبار باستحقاق السائل وعدمه ، فاذا رد استوجب مقت الخلف ، وهجنة
الكذوب .

واعلم : انه لا سبيل الى المطل بعد الوعد لما فيه من تكدر الصنيع ، و
تمحيق الشكر .

والعرب تقول : المطل احد المنعين ^(١) .

(١) كذا ، وورد في احاسن المحاسن ص ١٥٨ : شر المنعين .

فصل

وللمعروف شروط لا يتم الا بها :

منها : ستره : لئلا يستقل به ، ولا يستزل باشاعته ^(١) .

قال بعض الحكماء: اذا اصطنعت المعروف فاستره ، واذا اصطنع اليك فانشره .

على أن ستره من أقوى أسباب ظهوره ، لما جبلت عليه النفوس من اظهار ما خفي .

قال سهل بن هارون ، في مدح بعضهم :

حفي اذا جئته يوماً لتسأله أعطاك ما ملكت كفّاه واغذرا
يخفي صنائعه والله يظهرها ان الجميل اذا أخفيته ظهرها
ويجب استصغاره واستقلاله لئلا يكون مدلا به .

قال العباس رضي الله عنه : لا يتم المعروف الا بثلاثة خصال ، تعجيله ، وستره ، وتصغيره .

ومنها : مجانبة الامتنان به ، وترك الاعجاب بفضله .

لما فيهما من احباط الاجر واسقاط الشكر .

قال النبي ﷺ : ايتاكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ، وبمحق

(١) فالمعنى : لا يستخس به ولا ينتقص به .

الاجر ، ثم تلا : « لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى » ^(١) .

قال بعض الحكماء : اليمن مفسد ^(٢) للصنيعة .

وقال الشافعي (رضه) :

لا تحملن لمن يمن ^(٣) من الانام عليك منة
واختر لنفسك حظها واصبر فان الصبر جنة
من الرجال على القلوب أشد من وقع الاسنة

هداية :

لا يمكنك أن توسع جميع الناس معروفاً فاعتمد بذلك أهل الفضل والدين
والحفاظ ليقع المعروف موقعه :

فعن رسول الله ﷺ : لا تضع الصنيعة الا عند ذي حسب أو دين .
وقال ﷺ : اذا أراد الله بعبده خيراً جعل صنائعه في أهل الحفاظ .
وقال بعض الحكماء : على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس .

نصيحة :

ينبغي أن لا يحقر القليل اذا كان الكثير معتذراً ، لان فعل القليل من الخير
أفضل من تركه .

قال عبد الله بن جعفر : لا تستحي من القليل ، فان البخل أقل منه .

وقال الشاعر :

اعمل الخير ما استطعت وان كان يسيراً فلن تحيط بكماله
ومنى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركاً لاقاله ؟

(١) سورة القرة : ٢٦٤ / ٢ .

(٢) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة ، ويحتمل كونها : يفسد الصنيعة .

(٣) هذا الشطر غير مقروء في الاصل وهو مأخوذ من ديوان الشافعي ص ٨٧ .

فصل

وأما من أسدي اليه المعروف فقد صار في أسرهِ موثقاً ولزمه - ان كان من أهل المكافأة - أن يكافيء عليه بمثله أو أزيد ، لان المعروف رقّ والمكافأة عتق .

وان لم يكن من أهلها وجب أن يقابل المعروف بنشره ، ويجازي عليه بما أمكن من شكره .

فعن النبي ﷺ : من أودع معروفاً فليُنشره فان نشره فقد شكره ، وان كتّمه فقد كفره .

وعنه ﷺ : أيما عبد صنع الى أخيه معروفاً وصنيعة ، فلم يجد لها الا الدعاء والثناء ، فقد كافأه (٢) .

وقال بعضهم : الشكر قيد النعمة ، ومفتاح الزيادة ، وثمر الجنة (١) .

وقال الرضا : ان قصرت يدك بالمكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

وقال عبد الحميد : من لم يشكر على الانعام . فأعده من الانعام .

وفي منشور الحكم : قيمة كل نعمة شكرها (١) .

وقال الشاعر :

ولو كان يستعلي عن الشكر ماجد لعزة ملك (٢) أو علو مكان

(١) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

(٢) في الايجاز والاعجاز هـ : لعرة نفس .

لما أمر الله العباد بشكره فقال: اشكروني أيها الثقلان
وأما من ستر النعمة، ولم يشكرها، فقد كفرها، وارتكب مذموم الخلاق
وأسوء الطرائق .

قال النبي ﷺ : لا يشكر الله من لا يشكر الناس .
وقال بعض الأدباء : من لم يشكر النعمة ، استحق قطع النعمة .
وقال أيضاً ^(١) : من أنكر الصنعة ، استوجب قبح القطيعة .
هذا كله في التعم الحقة اليسيرة الفانية الصادرة من الامثال والاشباه .
فكيف بسك أيها العاقل اللبيب - أرشدنا الله وإياك - بالنعمة الجسمية ،
والعظيمه التي قد حباك بها مولاك ، التي لا يسع الدهر كله ، ولا تحتمل الطاقة
البشرية القيام بشكر أيسرها .

قال بعض . . . ^(٢) في مناجاته : الهي كيف أبلغ حق حمدك ، وكلما
قلت : « لك الحمد » ، وحب علي بذلك أن أقول : « لك الحمد » .
فهل يحسن بك أيها اللبيب أن تغفل عما تسعه طاقتك من الشكر ، بعد أن
علمت وحبوب الشكر وأمرت به ^(٣) ، ووعدت عليه بالزيادة ^(٤) ؟ !
وهل ^(٥) أنت خائف من قطع النعمة وتبديلها والعياذ بالله ؟ !
فإن من يكن ^(٦) رشيداً عاقلاً ، فلا يتفعل عن ذلك ، إلا إذا استحوذ عليه
الشيطان ، و(أودى به في لحمة) ^(٧) الفسق والعصيان .

-
- (١) كذا ظاهر الأصل والكلمة غير واضحة .
(٢) الكلمة غريبة في نسخة الأصل .
(٣) في قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »
(سورة البقرة : ١٥٢ / ٢)
(٤) في قوله تعالى : « لئن شكرتم لازيدنكم » (سورة ابراهيم : ٧ / ١٤) .
(٥) ، ٦ ، ٧ كذا الظاهر والمبارات غير واضحة في نسخة الأصل .

باب حسن الخلق

من تمام سعادة المرء ، وأدل الاشياء على شرف نفسه ، حسن الخلق .
لانه اذا حسنت أخلاق المرء ، كثر مصافوه ، وقل معادوه ، فتسهلت له الامور
الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب .
على أن الحسن الخلق من نفسه في راحة ، والناس منه فسي سلامة ، والسيء
الخلق نفسه منه في عناء ، والناس منه في بلاء .
وعن النبي ﷺ : حسن الخلق وحسن الجوار ، يعمران الديار ، ويزيدان
في الاعمار .
وعنه ﷺ : ان الله ارتضى لكم الاسلام ديناً ، فأكرموه بحسن الخلق
والسخاء ، فانه لا يكمل الا بهما .
وعنه عليه السلام : أثقل ما يوضع في الميزان، الخلق الحسن .
وقال رجل : يا رسول الله ما الدين ؟
فقال : الخلق الحسن .
فقال : يا رسول الله فما الشؤم ؟
فقال : سوء الخلق .
وقال صلى الله عليه : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم ببسط
الوجه ، وحسن الخلق .
وسئل ﷺ : أيما الاعمال أفضل ؟

فقال : حسن الخلق .

واذ قد سمعت ما تلوناه ، فحسن الخلق عبارة عن : سهولة العريكة ^(١) ،
ولين الجانب ^(٢) ، وطلاقة الوجه ، وقلّة النفرة ^(٣) وطيب الكلمة .
واذا عرف ذلك ، فليعلم أنّ لهذه الاوصاف حدوداً مقدّرة ، ومواضع
مستحقّة .

ففي أمثالهم : لاتكن حلواً فيأكلوك ، ولامرّاً فترمى .
وقال الشاعر :

أصفو وأكدر أحيانا لمختبري وليس مستحسناً صفو بلا كدر
وليس يريد الكدر الذي هو البذاء وسوء الخلق، فان ذلك ذم لا يستحسن
وعيب لا يرتضى ، وانّما يريد الكف والانقباض في موضعه اللائق به .
واذا كان لمحاسن الاخلاق حدوداً مقدرة ، ومواضع مستحقّة، فان تجاوز
بها الحد صار ملقاً ، وان عدل بها عن مواضعها صارت نفاقاً ، والملق ذل ،
والنفاق لؤم .

(١) : الطبيعة . وفلان لين العريكة : اى سلس .

(٢) : يقال : فلان لين الجانب اى هادى لطيف .

(٣) : النفرة : هو الخروج عن الاعتدال والتأثر السريع والشديد لمتغيرات الاحوال

يقال نفر القوم : اذا ارضوا وصدوا .

فصل

ربما يتغير حسن الخلق فيصير اللين خشونة ، والطلاقة عبوساً ، وكذلك أسباب :

منها : الولاية ، والكلام فيها على نحو ما تقدم في الكبير والعجب ^(١) .
ومنها : العزل عنها ، وذلك : إما لشدة أسف ، أو لقلّة صبر .
ومنها : الغنى ، ولذلك قيل : من نال استطال .

قال الشاعر :

لقد كشف الاثراء منك خلائقاً من اللّوم كانت تحت ثوب من الفقر
ومنها : الفقر ، فقد يتغير به الخلق ، اما للانفة من ذل الاستكانة ، أو للأسف على فائت الغنى .

ولذلك قال النبي ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً ^(٢) .

ومنها : الهموم التي تذهل اللب ، وتشغل القلب ، فلا يتسع الاحتمال ، وما يقوى على صبر .

ومنها : الامراض التي يتغير بها الطبع ، كما يتغير بها الجسم ، فلا تبقى الاخلاق على الاعتدال ، ولا يقدر معها على الاحتمال .

ومنها : علو السن ، وحدوث الهموم ، المؤثرين في الجسد والنفس ، فكما يضعف الجسد عما كان يحتمله بطبعه من الافعال ، كذلك تضعف النفس عما كانت تصبر عليه من المخالفة في الاعمال والاقوال .

(١) الباب ١١ الفصل الرابع ص ٢٠٨ .

(٢) راجع هامش ص ١٥٥ .

باب الحياء

ان الخير والشر معان كامنة تعرف بسمات ظاهرة دالة عليها، فسمه الخير :
الدعة والحياء ، وسمه الشر : القحة والبذاء .

فعن النبي ﷺ : الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من
الجفاء ، والجفاء في النار .

وقال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه .
وليس لمن سلب الحياء عنه صائد^(١) عن القبيح ، ولا راد عن الفحش ،
فيقدم على ما يشاء ويفعل كلما يهواه .
ولذلك جاء : اذا لم تستح فاصنع ما شئت .
وفي مثله يقول الشاعر :

اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقد قال بعضهم في معنى ذلك^(١) غير ما قاله الاصوليون ، فقال: المعنى
اذا عرضت أفعالك التي هممت بفعلها ، فلم تستح منها، فاعمل منها ما شئت.
الا أن ما عليه الاصوليون أشبه ، لان الكلام خرج منه ﷺ مخرج الذم ،
لامخرج الامر ، ولا يخلو من شيء، اذ ربما لا يسلم ذلك.

(١) كذا ظاهر الكلمة .

فصل

والحياء يكون على ثلاثة أنحاء :

الاول: حياء الانسان من الله تعالى ، والباعث عليه العقل الصريح، والنظر الصحيح ، حيث يرى الله تعالى أحق بان يستحي منه لعظمة عزته ، وجزيل نعمته .

ولذلك قال رسول الله (ص) : قلة الحياء كفر .

وهذا الحياء يدعو الى امثال ما أمر الله تعالى به ، والكف عما زجر عنه فيحصل السعادة الابدية .

قال النبي ﷺ : الحياء نظام ^(١) الايمان ، فاذا انحل نظام الشيء تسدد مافيه وتفرق .

وقال ﷺ : استحيوا من الله عزوجل حق الحياء .

قيل : يا رسول الله ، وكيف نستحي من الله حق الحياء ؟

فقال ﷺ من حفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى ورفض زينة الحياة الدنيا، وذكر الموت والبلوى ، فقد استحيى من الله حق الحياء ^(٢) .
وعن علقمة أنه قال : يا رسول الله ، عظني .

فقال ﷺ : استحي من الله استحيائك من ذي هيبة من قومك .

(١) النظام : هوفى الاصل الخيط الذين ينظم به اللؤلؤ ونحوه .

(٢) الجامع الصغير ج ١ ص ٣٩ - ٤٠ .

الثاني : حياؤه من الناس ، وهو يبعث على كف الاذى وترك المجاهرة

بالقبيح .

روي عنه عليه السلام ، أنه قال : من تقوى الله تقوى الناس .

وروي أن حذيفة بن اليمان (أثي)^(١) الجمعة، فوجد الناس قد انصرفوا

منها ، فتكسب الطريق^(٢) وقال : لاخير فيمن لا يستحي من الناس .

وهذا النوع يكون من كمال المروءة وحب الثناء .

قال الشاعر :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها الا الحياء

اذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الامور كما يشاء

الثالث : حياؤه من نفسه ، وهو يبعث على العفة وصيانة الخلوات .

والباعث عليه علو الهمة ، وشرف جوهر النفس .

قال بعض الحكماء : من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس

لنفسه قدر .

وقال الشاعر يفتخر بشرف نفسه :

فسرّي كاعلاني وتلك خلقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري

فمن كمل حياؤه من الوجوه الثلاثة ، فقد كملت فيه أسباب الخير ،

وانتفت عنه أسباب الشر .

وان اختل منها شيء لحقه من النقص باخلاله أضعاف ما يلحقه من الفضل

بكماله .

اللهم ألبسنا ثياب التقى ، وأحمنا عن موبقات الردى ، واجعل سعينا فيما

تهوى ، انك أنت اللطيف الخبير .

(١) كذا ظاهراً وفي نسخة الاصل بياض .

(٢) تنكب الطريق : عدل عن الطريق وتجنبته وأقبل نحو غيره .

باب المصاحبة والاصدقاء

اعلم ان صحبة العقلاء والاخيار الافاضل ، ومجالستهم ، ومحادثتهم ،
تثمر الزيادة في العقل والعلم والعمل ، ومحاسن الاخلاق والاداب ، ومعرفة
مواقع الخطاب .

لان اللبيب اذا رأى ما هم عليه من ذلك بعثه عقله وهمته على أن يقتدي بهم
في أقوالهم وأفعالهم وآدابهم ، ولا يرضى أن يقصر عنهم لما يعلمه كل أحد
من قبح النقص .

بل قد تبعه الحمية على الزيادة عليهم فيكون ذلك سبباً لسعادته وباعثاً على
أستزادته .

فقد قال النبي (ص): المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخال .
وقال الشاعر :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا	مضافاً لأرباب الصدور تصدراً
[وايّاك أن ترضى صحابة ناقص	فتنحط قدراً من علاك وتحقراً] ^(١)
فرفع «أبو من» ثم خفض «مزمّل»	يصدق قولي مغرباً ومحدّراً ^(٢)

(١) هذا البيت ليس في نسخة الاصل .

(٢) في نسخة الاصل : منبأً ومغرباً ، وما أثبتناه هو الصحيح على ما في جامع ←

وقال النبي ﷺ : مثل الجليس السوء كصاحب الكير، ان لم يحرق ثوبك
آذاك بدخاناه ، ومثل الجليس الصالح كالطيار، ان لم يصبك من عطره أصبت
من ريحه .

— الشواهد، وقائل هذه الايات هو الشيخ أمين الدين العروضي المحلى كما فى كتاب
(جامع الشواهد) .

وهو بين ان مراقة الاشراف وأهل الرفعة والشأن يوجب ارتفاع شأن الانسان، فى
حين ان مصاحبة السوقة والسفلة يوجب استبدال الانسان وانتقاص قدره .
ويقول : فى الاخر الايات : ان التأمل فى هذين المثالين يبين قولى
حال كونى مغرياً (من الاغراء : وهو بقوله : عليك بارباب الصدور) .
وحال كونى محذراً (من التحذير: وهو بقوله : واياك أن ترضى بحابة ناقص).
وأما المثالان فأولهما : حالة الرفع فى «أبو من» ، فى نحو قولك : علمت أبو
من زيد ، فكلمة (أبو) مرفوعة ، مع ان محلها نصب ، بناءً على المفعولية لـ
(علمت) ، و حاله الرفع هذه ليس الا من جهة اضافتها الى (من) الذى يقتضى التصدر
فى الكلام .

وأما المثال الثانى هو : «مزمّل» فى قول امرئ القيس فى معلقته :
كأن أباناً فى عرائن وبله كبير أناس فى بجاد مزمّل
وهو يريد تشبيه جبل (أبان) عندما يبدأ المطر بالنزول عليه برجل عظيم كسى
بكساء مخطط (فان البجاد : هو الكساء المخطط) والمزمّل : الملفوف بالثوب و نحوه
ومنه قوله تعالى : يأبها المزمّل قم الليل الا قليلا (سورة المزمّل : ١/٧٣).
فكلمة (مزمّل) فى هذا البيت نعت ا- (كبير) ، وحيث ان المنعوت مرفوع فلا بد
أن يتبعه النعت فى الاعراب .
فى حين انه- فى البيت- ورد مخفوطاً ، وليس ذلك الا امجاورته كلمة (بجاد)
المجور بحرف الجر.

وقد استشهد ابن هشام بهذا البيت فى موضعين من كتاب (مغنى اللبيب) ، فى أواخر
الباب الرابع وفى القاعدة الثانية من الباب الثامن : (أنا لشيء قد يعطى حكم لشيء آخر
إذا جاوده) .

وقال بعض البلغاء : خير الاختيار صحبة الاخيار ، وشر الاختيار مودة
الاشرار .

وماذا لك الا لتأثير المصاحبة في اكتساب الاخلاق ، فتصلح أخلاق المرء
بمصاحبة اهل الصلاح ، كما قدمناه ، وتفسد بمصاحبة أهل الفساد .
قال الشاعر :

إذا اجتمع البخس ^(١) اللثيم بمعشر كرام السجايا ضرّهم باجتماعه
كما البحر ^(٢) تأتيه المياه جميعها عذابا فيودنها ^(٣) بمرّ طباعه
فكما ينبغي مصاحبة أهل الصلاح رجاء الفلاح ، كذا يجب مجانبة أهل
العصيان خوف النكبان .

قال الشاعر :

يخاف على الف من (...) ^(٤) صحاح اذا ما خالط الالف اجرب
فهلا يخاف المرء من ألف اجرب يخالطه وهو الصحيح المجرب ؟
وحينئذ ينبغي أن يصحب من فيه خمس خصال : الفضل ، والعلم ، وحسن
الخلق ، والتقوى ، والصنع السليم الذي يصدر عنه الانصاف .
فمصاحبة مثل هذا ، لو لم يحصل منها الا الحياء منه - المانع من معصية
الله - لكفى .

كيف ، ومجالسة العقلاء ومحادثتهم من الذلّ للذات النفسانية عند العقلاء .

(١) البخس : الناقص القدر .

(٢) في هامش نسخة الاصل : (ما) في قوله : (كما البحر) زائدة ، و (البحر)
مجرور بالكاف ، ويجوز أن يكون اسماً مقصوداً عن مد للضرورة الشعرية ، فيكون (البحر)
مجروراً بالاضافة .

(٣) كذا ظاهراً ويحتمل كونه : فيودنها .

(٤) كلمتان ممسوحتان في نسخة الاصل ..

فقد قيل في قوله تعالى: «على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين»^(١)
 أي : يقابل بعضهم بعضاً ، فيتصاحبون ويتحدثون، فيكون ذلك من أكبر
 اللذات في الجنة .
 وقال المأمون: لولا عزّة السلطان لما منعت أحد من الدخول عليّ أبداً ،
 لحيي محادثة الرجال .
 وقال بعضهم : أنا بالصدّيق آنس مني بالاخ .
 فقال له ابن المقفع صدقت ، لان الصديق نسيب الروح ، والاخ نسيب
 الجسم .

فصل

وحيث كانت مصاحبة الاخيار بهذا القدر من الفضل ، فاعلم : أنها لاتتم
الا بعد حسن المداراة ، والصفح عن الهفوات ، وفتح باب العذر والتأويل
للزلات لان الانسان مغمور بالنقص - الا من عصمه الله تعالى - لما تدهوه اليه
نفسه ، ويهوي به اليه هواه .

ثم - ولو فرض استقامته من كل الوجوه - فارادات الناس وآراؤهم
تختلف كاختلاف صورهم ، فربما يفعل ما هو حسن في نفس الامر ، ويسبق
الي وهمك قبحه ، فتبادره باللوم وأنت أحق به منه .

ولهذا قيل : رب ملوم لا ذنب له ، ولا ثم أحق باللوم .
وقال بعضهم ، رب سامع بخبري لم يسمع بعذري ، فان صدر منه مالم
تجد له تاويلا ، فاعلم أن ذلك لقصورك عن معرفة التاويل .
فقد روي عن النبي ﷺ هذا المعنى في قوله : التمسوا للاخوانكم العذر
في زلاتهم ، فان لم تجدوا لهم العذر في ذلك ، فاعتقدوا أن ذلك منكم
لقصورك عن معرفة العذر .

وقال الشاعر :

تصور في آثار موقعها أمرا	وليس صدقي من اذا قلت كلمة
تصته ره قصدا لمصلحة أخرى	ولكنه من لو قطعت بنائه

وحكي : أن بنت عبد الله بن مطيع قالت لزوجها ، طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان أجود قریش مارأيت الامر^(١) من اخوانك .

فقال لها : ولم ؟

قالت : رأيتهم اذا أبسرت لزومك ، واذا أعسرت تركوك .

فقال لها : هذا - والله - من كرمهم يأتوننا في حال القوة لنا عليهم ، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم .

فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل ، فجعل قبيحهم حسناً ، وهذا محض الكرم ، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا هفوات اخوانهم .

قال الشاعر :

اذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً

أديباً لبيباً فاضلاً فطناً حراً

اذا ما بدت من صاحب لك زلة

فكن أنت محتالاً لزلته عذراً

(أحب)^(٢) الذي ينفي الفواحش سمعه

كأن به عن كل فاحشة وقراً

والداعي الى هذا التأويل ، التغافل الحادث عن الفطنة ، والتألف الصادر عن الوفاء .

قال بعض الحكماء : وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز الا بالتغافل .

وقال أبو تمام :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وقال بعضهم : من شدد نفر^(٣) ، ومن تراخى تألف ، والشرف في التغافل .

(١) الامر : الأكثر مرادة .

(٢) كذا ظاهر الكلمة ، وهي غير واضحة في نسخة الاصل .

فصل

فان تحققت عدم وجود التأويل ، وأنه صادر عن عمد وقصد اضرار ،
فافتح عند ذلك باب العفو والتجاوز ، لان المرء غير معصوم ، وانسب ذلك الى
ما يصدر من باقي الناس ، فانك تجده قليلا .
بل انسبه الى ما يصدر منك من الزلات والهفوات فربما تجده أصغرواقل
خطراً مما قد فعله .
فان لم يرتكب المرء في أصدقائه هذا النهج الذي أوضحناه ، فلا صديق
له البتة .

قال بعض بلغاء الشعراء^(١) :

إذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا نعاتبه
وان أنت لم تشرب مراراً على الاذى^(٢)
ظلمت وأي الناس تصفو مشاربهم
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

(١) هو يشار بن برد على ما في (الايجاز والاعجاز ص ٤٥) .

(٢) في نسخه الاصل القذى والتصحيح من المستطرف ج ١ ص ١٢٠ .

وقال بعض أشرف الاشراف في الصاحب:
كذَّب عليه اذا أرضاك ظاهره
شهادة الصادقين : السمع والبصر
فان سمعت فقل ما كان عن أذن
وان رأيت فقل ما كان عن بصر
ان كنت لا ترتضي الا أخا ثقة
فاخلق لنفسك اخوانا على (قدر)^(١)

(١) يياض في نسخه الاصل .

فصل

ومن محاسن ما يترتب على هذا : التفضل والاغضاء لتألف الاعداء ،
بحيث يشيهم عن البغض أو الأذية ، وهذا يكون مع ما ذكرناه بصنوف أخرى
من الدرّ والملاطفة ، ويختلف ذلك بحسب اختلاف الرجال والاحوال .
وهو من أكبر الحزم ، وأدل دليل على كمال العقل ، لأنّ من أغفل تألف
الاعداء - مع وفور النعمة وظهور الحسد - ربما توالى عليه مكرهم وحيلهم
وبادره سفههم بالأذية .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : رأس العقل بعد الإيمان التودد الى الناس .
وقال بعض البلغاء : من استصلح عدوّه زاد في عدده ، ومن استفسد صديقه
نقص من عدده .

وقال الشافعي :

أني أحيي عدوّي عند رؤيته	لادفع الشرعني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	كانما قد حشى قلبي محبات

وقال بعض الحكماء : تكثروا من الاخوان فانكم لاتدرون ممن تنتفعون
منهم .

(١) هكذا ورد في ديوان الشافعي ص ٢٨ وفي نسختنا جمل المعجز من البيت الثاني
للاول ، والمعجز من البيت الاول للثاني .

وقال سليمان بن داود عليه السلام لابنه : لاتستكثر أن يكون لك ألف صديق ،
فألف قليل ، ولاتستقل أن يكون لك عدو واحد فالواحد كثير .
فأخذه ابن الرومي ، فقال :

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم	بطون اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب	وانّ عدواً واحداً لكثير

فصل

وحيث قد ندب الى تألف الاعداء وملاطفتهم، فلا يجوز أن يكون المرء اليهم راكناً، وبهم واثقاً .
بل يجب أن يكون منهم على حذر تام، فان العداوة اذا استحکمت كانت طبعاً لا يستحيل ولا يزول، وانما يستكف - بالتألف - أضرارها أو اظهارها، كالنار يستدفع بالماء احراقها ويستفاد انضاجها ، وان كان احراقها بالطبع لا يزول ، وجوهرها لا يتغير .

قال ابن نباتة :

وامزح له ان المزاح وفاق	واذا عجزت عن العدو فداره
تعطي النضاج وطبعها الاحراق	النار بالماء الذي هو ضدّها

باب المزاح والضحك

اما المزاح فهو ازاحة عن الحقوق، ومخرج الى القطيعة والمعقوق، يصمم المازح، ويؤذي الممازح .

فوصمة المازح أنه يذهب عنه المهابة والبهاء، ويجرّىء عليه غوغاء السفهاء .

وأما أذيت الممازح فلانه معقوق^(١) بقول كذب، أو فعل ممض "ان أمسك عنه أحزن قلبه، وان قابل عليه خان أدبه .

فحق على العاقل أن يتقّيه، وينزه نفسه عن وصمة مساويه .

فعن النبي ﷺ: المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى .
وقال عمر بن عبدالعزيز: المزاح سباب، الا أن صاحبه يضحك .

وقيل: انما سمي مزاحاً، لانه يزيع عن الحق .

وقال بعضهم: لو كان المزاح فحلاً لم ينتج الا شراً .

وقال بعض الادباء: من كثر مزاحه زالت هيئته .

وقال بعض البلغاء: من قلّ عقله كثر مزله .

على أنه قل ما يخلو من المزح من كان سهل الاخلاق لطيف النفس .

فالعاقل يتوخى من مزحه احدى خصلتين لاثالث لهما :

أما: استيناس المخاطبين، والتودد الى المخالطين .

(١) مملوء، يقال عقت الدلو: اذا طلعت من البئر مملوءة .

وهذا لا يكون مستملاً الا بالافتصاد^(١) ثم بما أنس من جميل القول و مستحسن الفعل .

قال بعضهم لابنه : اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرّئ السفهاء والتقصير فيه يفض عنك المؤانسين ، وبوحش منك المصاحبين .

واما: أن يتقي به ما حدث من همّ ، وأضر من تعب أو غم .
فقد قيل : لأبد للمصدور أن ينفث .

قال أبو الفتح البستي :

أفد طبعك المكذور بالجد راحة براح^(٢) وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيتنه ذاك فليكن بمقدار مانعطي الطعام من الملح
وقد كان النبي صلوات الله عليه يمزح على أحد هذين الوجهين .
وقال ﷺ: اني لامزح ، ولا أقول الا حقاً .

فمن مزاحه: أن عجوزاً من الانصار قالت: ادع لي بالمغفرة .
فقال لها : أما علمت أن الجنة لا يدخلها المعجائز ؟ !
فصرخت ، فقال لها: اما قرأت قوله تعالى: «انا أنشأناهم انشاءً، فجعلناهم
أبكاراً، عرباً أتراباً»^(٣).

ومنه : أنه دخل يوماً على عائشة (رضه) ، فوجدها نائمة ، فربط قرننها
بالسرير ، ثم حركها ، فقصدت القيام فلم تقدر ، وهو ﷺ يضحك .
ولذلك كان الخلفاء الراشدون بعده ، وكثير من أصحابه يمزحون .

(١): اي الاقلال في المزح .

(٢) كذا الظاهر ، ويحتمل ان يكون ماورد في النسخة: يصح .

(٣) في (سورة الواقعة: ٥٦ / ٣٥ - ٣٧) .

حكى : ان رجلا أتى علي بن أبي طالب ، وقال : يا أمير المؤمنين، اني احتلمت على امي .

فقال : أقيموه في الشمس ، واضربوا ظله الحد .
 وكان صهيب بن سنان مزاحاً ، فقال له النبي ﷺ : أنا كل تمرأ وبك رمد؟!
 فقال : يا رسول الله انما أمضخ على الناحية الاخرى .
 وانما ساغ لصهيب أن يعرض لرسول الله بالمزح في جوابه، لان استخباره تضمن المزح فأجابه بما يوافق، والافليس لاحد أن يجعل جواب رسول الله مزاحاً.

وقال النبي ﷺ : مزاح المؤمن عبادة ، وضحكه تسبيح .
 وقال : المؤمن دعب لعب ، والمنافق عبس قطب .
 وكان الناس يحيدون عن مجلس الثوري لكثرة مزاحه .
 وقال الاحنف : من ترك مباحة أخيه فقد فارقه .
 وقال يحيى بن أكرم : المزاح لسان المحبة ، ورسول المودة، وسبب الراحة ، وثمره التصافي ، ونزهة التلاقي .

وحيث قد مزح النبي ﷺ ، فالمزاح سنّة .
 وقد سمعت مائلوناه من اقتداء الامثال به ﷺ ، وجهة حسنه .
 فما تقدم فيه من الذم^(١) : محمول على ما شيب بكذب، لقبح الكذب في نفسه ،
 أو على الافراط فيه ، ومجاورة القدر المستملح ، فانه هجنة ومذمة، لانه خلاعة،
 ومفض الى كثرة الضحك ، وهي تمييت القاب وتسقط المهابة .
 أو محمول على المداومة عليه، فانها اشتغال باللعب والهزل، وهما مذمومان .
 أو على ما كان منه في غير محله ، ومع غير أهله كممازحة الاعداء فانها
 تجعل للعدو طريقاً الى الاستخفاف ، واظهار المساوىء .

(١) في أول هذا الباب ص ٢٦٢ .

فصل

وأما الضحك : فاعتياده شاغل عن النظر في الامور المهمة ومذهل عن التفكير في النوائب الملمة .

وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار ، ولا لمن وسم به خطر ومقدار .
قال رسول الله ﷺ : اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها »^(١) أن الصغيرة التسم ، والكبيرة الضحك .
وفي منشور الحكم : ضحك المؤمن من غفلة قلبه ؛
ونظر بعضهم الى قوم يضحكون ، فقال : ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين .
وعلى كل حال ، فالقول في الضحك كالقول في المزاح : ان تجافاه^(٢)
الانسان بالكلية ، تنفّر الناس عنه واستوحشوا منه ، وان ألقه وأفرط فيه كان حاله ما وصفنا .

فليكن بذل الضحك بمقداره المستحسن على سبيل البشر والايناس .
على انه الاكثار منه في المرة النادرة لا ينكر ، اذا كان لطاير استغفل القلب عن دفعه .

فان رسول الله ﷺ وهو أملك الخلق لنفسه ، ضحك حتى بدت نواجذه .

(١) سورة الكهف : ٤٩ / ١٨ .

(٢) تجافاه : ابتعد عنه .

باب الحسد و المنافسة

حقيقة الحسد : شدة الاسى على الخير أن يكون للناس الافاضل .
وحقيقة المنافسة : طلب التشبّه بالافاضل وحصول مثل ما لهم ممن غير
ادخال ضرر على الماضل ، وقد يعبر عنها بالتغيبط ، وهي محمودة في الجملة ،
لأنها داعية الى اكتساب الفضائل ، ولأن الباعث عليها علو الهمة ، وفضيلة
النفس .

روي عن النبي ﷺ أنه قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد .
أما الحسد فهو خلق ذميم ، لاضراره بالبدن وفساده للدين حتى أمر الله
نبيه بالاستعاذة من شره فقال تعالى : «ومن شر حاسد اذا حسد»^(١) .
وقال بعض السلف : الحسد أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء -
يعني : حسد ابليس لعنه الله - وأول ذنب عصي به في الارض - يعني : حسد
قاييل - .

وقال بعض الحكماء : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود ، نفس
دائم ، وهم لازم ، وقلب هائم .

وقال بعضهم : يكفيك من الحسود أنه يغتم في وقت سرورك .
وفي منشور الحكم : عقوبة الحاسد من نفسه .

(١) سورة الفلق : ٥/١١٣ .

وقال ابن المعتز :

اصبر على كيد الحسود فان صبرك قاتله
يكفيك منه أنه حيّ تذوب مفاصله

ودواعي الحسد :

أما : بغض المحسود ، فيأسي عليه لفضيلة تحمد له ، وهذا النوع أضر
الحسد ، إلا أنه لا يكون عاماً ، فهو قد لا يبغض كل الناس .

وأما : بأن يظهر للمحسود فضل يعجز عنه الحاسد ، فيكره تقدمه فيه ،
واختصاصه به ، فيشير^(١) بذلك حسداً .

وهذا أدنى من الأول ، لأنه يمتزج به ضرب من المنافسة ، ولكنها مع عجز
فمن ثم صارت حسداً ، ولأنه يختص بمن علا ، لا بمن سفل .

وأما : أن يكون في الحاسد شح بالفضائل ، وبخل بالنعم ، وليست موكولة
إليه فيمنع منها ، فيسخط من الله تعالى في قضائه ، ويحسد ما منح من عطائه ،
وان كانت نعم الله عنده أكثر .

وهذا أغم أنواع الحسد ، وأخبثها ، إذ ليس لصاحبه راحة ، ولا لرضاه
غاية .

(١) كذا ظاهراً ، والكلمة غير واضحة .

فصل

ينبغي لمن مالت نفسه الى الحسد حسم مادته ، والتخلص منه ، ليسلم من ضرره وخبت عاقبته ووزره .

ويستعين على ذلك باتباع الدين ، والرجوع الى الله تعالى ، فيقهر نفسه على ذميم خلقها ، ويقطع ^(١) عن لثيم طبعها ، وان كان نقل الطباع عسراً ، لكن يكون بالرياضة والتدريج ، والتخلّص والتهذيب .
قال أبو تمام :

ولم أجد الاخلاق الا تخلّصاً ولم أجسد الافضال الا تفضلاً
أو بالرجوع الى العقل الذي يستقيح نتائج الحسد ، فيغلب عقله على نفسه ، فتصير مقهورة ، فيدعن لرشدها .
أو بأن يستسلم للقضاء والقدر ، فلا يرى أن يغالب قضاء الله تعالى فيرجع مغلوباً ، ولا أن يعارضه فيرد محزوناً .
فان أظفرته السعادة بأحد هذه الاسباب ، أرشد الى الصواب ، واستبدل بالقص فضلاً .

وان صدّته الشقوة ، فانقاد للطبع اللثيم ، وغلب عليه الخلق الذميم ، فظهر حسده واشتد كمدّه ، فقد باء بثلاث حسرات :

(١) كذا ظاهره والكلمة غير واضحة .

أحدها : سقام الجسد ، ثم لا يجد لحسرتة انتهاء ، ولا يأمل لسقامه شفاء .
وثانيها : انخفاض المنزلة ، وانحطاط الرتبة ، لانحراف الناس عنه ،
ومقتهم له .

فقد قيل : الحسود لا يسود .

وثالثها : سخط الله تعالى في معارضته ، واحتطاب الاوزار في مخالفته
اذ ليس يرى قضاء الله عدلا .

ولذلك قال النبي ﷺ : ان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .
وقال ابن المعتز : الحاسد المغتاف على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه
طالب لما لا يجده .

وقد قيل : حاسد النعمة لا يرضيه الا زوالها .

فالعاقل بالبعد عن الحاسد حقيق ، وكتم النعمة عنه من أكبر التوفيق .
قال عبد الحميد : أسد يقارب ، خير من حسود يراقب .

باب الطيرة والفال

لا شيء أضرب بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ، ومن ظن أن حوار
بقرة ، أو نقيب غراب يرد قضاء ، أو يدفع مقدوراً ، فقد جهل .
فمن النبي ﷺ أنه قال : لا عدوة ولا هامة ولا طيرة ولا صفر .
أما العدوى : فما يظنه الناس من تعدي الامراض والعلل .
قيل ^(١) يا رسول الله : انا نرى النقبة من الجرب في مشفر البعير يتعدى
الى جميعه .

فقال ﷺ : فما أعدى الاول ؟ .

وأما الهامة : فهو ما كانت العرب في الجاهلية يعتقدون من أن القتل إذا ظل
دمه فلم يدرك بثأره صاحته هامة في القبر : اسقوني .
وأما الصفر : فهو كالحيّة يكون في الجوف يصيب الماشية والناس ، وهو
أعدى عندهم من الجرب .

ثم أنه قد كانت العرب إذا أرادت سفراً ، نظرت أول طائر تلقاه ، فإن
طار يمنة سارت وقيمتت ، وإن طار شمالاً رجعت وتشائم .
فنهى النبي عن ذلك وقال : طرق ^(٢) الطير على وكناتها .

(١) في نسخة الاصل : فليل .

(٢) هكذا ظاهراً وفي الاصل غير واضح .

قال لبید :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصی

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ومع ذلك قل ما يخلو من الطيرة أحد ، لا سيما من عارضته المقادير في اراداته وصدده القضاء عن طلباته ، فيجعل الطيرة عذر خبيته، ويغفل عن ارادة الله تعالى ومشيته .

فاذا تطير مرة أخرى أحجم ويثس من الظفر، وظن أن القياس فيه الطيرة ، ثم يصير ذلك له عادة فلا ينحج له قصد ، ولا يتم له سعد .

وأما من ساعدته المقادير فهو قليل التطير، ثقة باقباله، وتعويلا على سعادته فلا يصدده خوف ولا يؤوب الاظافراً ، لان الغنم بالاقدام ، والخيبة مع الاحجام .

فالطيرة من سمات الادبار ، واطراحها من امارات الاقبال ، فيلزم من بلي بها أن يصرف نفسه عن وساوس النوكى ، ولا يجعل للشيطان سلطاناً في نقض عزائمه ، ويعلم أن قضاء الله تعالى غالب ، وأن الحركة سبب جاذب ، ولیمض في عزائمه ، واثقاً بالله تعالى ان اعطي ، وراضياً ان منع .

فعن رسول الله ﷺ : في الانسان ثلاثة من أخلاق الجاهلية : الطيرة ، والظن والحسد ، فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ومخرجه من الحسد أن لا يبغي .

وعنه ﷺ : كفارة الطيرة التوكل على الله .

وفي منشور الحكم : الخيرة في ترك الطيرة .

روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله انا نزلت داراً فكثرت فيها عددنا ، وكثرت فيها أموالنا ، ثم تحولنا عنها الى اخرى ، قلت فيها أموالنا، وقلّ فيها عددنا .

فقال النبي ﷺ : ذروها ، وهي ذميمة .
وليس هذا منه ﷺ على وجه الطيرة ، ولكن على طريق التبرك ^(١) بما
فارق ، وترك ما استوحش منه الى ما أنس به .

(١) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

فصل

وأما العال: ففيه تقوية على العزم وباعث على الجد ومعوثة على الظفر .
فقد تمال النسي ^{إلى} في غزواته وحروبه .
فينبغي لمن نغال أن يتأوله بأحسن تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظن طريقاً
إلى نفسه .
فقد قال رسول الله ﷺ: البلاء موكّل بالمنطق .
حكى: أن يوسف الصديق ^{إلى} شكى إلى الله تعالى السجن .
فأوحى الله تعالى إليه : يا يوسف ، أنت حبست نفسك حيث قلت: « رب
السجن أحب إليّ » ^(١) ولو قلت : « العافية أحب » لعوفيت .
وحكى: أن المؤمل الشاعر لما قال :
... ^(٢) المؤمل يوم الحيرة ^(٣) المظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر
عمي ، فأتاه آت في ممامه ، وقال له : هذا ما طلبته .

(١) ورد قوله هذا في (سورة يوسف: ٣٣/١٢) .

(٢) كلمة غير مقروءة .

(٣) كذا ظاهراً، والكلمة غير واضحة .

باب الامل والتسويق والرجاء والمنى

قال رسول الله ﷺ ، لعبد الله بن عمر (رضه) : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً .

وقال ﷺ أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟

قالوا: نعم يا رسول الله .

فقال: قصرّوا الامل ، واستحيوا من الله حق الحياء .

وقال سلمان رضي الله عنه: ثلاث أعجبني حتى أضحككني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفل عنه ، وضاحك بملء فيه ، ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه .

وقال بعضهم: الزهد في الدنيا قصر الامل ، لا لبس العبادة^(١) .

وقيل في بعض الكتب : يا بن آدم ، فرحت ببلوغ أملك ؟ وانما بلغته بانقضاء أجلك ، ثم سوفت بعملك ، كأن منفعتك لغيرك .

وقال مسعر: كم من مستقبل يوماً وليس بمستكمل له ، ومنتظر غداً وليس من أجله ، ولورأيتم الاجل ومسيره لا بغضتم الامل وغروره .

(١) كذا ظاهراً ، والعبادة غير واضحة .

نبذة :

وقد يكون الامل باعثاً على العمل الديني، وهو المقرون بالرغبة ، وهو من أكبر المصالح وأجلّها اذ به جاء الامر من قبل الله « عزوجل » وصدع الشرع على لسان نبيّه .

الا أنه لما كان وعد الله محقق الوفاء به ، كان نوعاً آخر من الامل ، وأشبه بالتحقيق، بل كان تحقيقاً، لولا أن الموافاة غير معلومة .

وقد يكون الامل باعثاً على العمل الدنيوي، وقدّمنا من الكلام فيه طرفاً كسافياً ان شاء الله تعالى ^(١) .

(١) تقدم الكلام في الامل في الباب ٥ : الدنيا/الفصل : ٥ ص ١٣٦ .

فصل

وأما التسوية : فإن كان في فعل المعاصي قبل حضور وقتها أعني : ما
تحدث به النفس وتضميره فلا يخفى قبحه ، لأنه ربما أفضى الى الفعل .
فحقّ على ذي الحجى أن يردع نفسه عنه بوعده الله تعالى ووعيده ، و
يخوفهما ويحذّرها من قبح عواقبه .
وتوهمه يعرض كثيراً للبطّالين ، فليشغل اللبيب فكره فيما ينفعه ، والا ففي
المباحات ، والظاهر أنه لا وزر فيه ، والله تعالى أعلم .
وان كان التسوية في فعل المعصية عند حضور وقتها - بمعنى تركها الان ،
مع العزم على فعلها فيما بعد - فهو محمود ، من حيث أنه قد ترك به المعصية
الان فربما لا يتيسر له فعله فيما بعد ، أو ربما يسبقه بالتوبة .
ومن ثم قال علي رضي الله عنه : تأخير الاساءة من الاقبال .
وان كان التسوية مؤدياً الى التواني فيما ينفع عاجلاً أو آجلاً ، فهو
العجز الناشئ عن غلبة النفس وقهرها على الاحجام عما ينفع ، فيجعل التسوية
ذريعة الى الترك ، وخديعة للعقل ، فان انخدع ، تأدى صاحبه الى الفشل والوهن
والنأسف .
فحق على العاقل أن يكذب نفسه فيما أمّلته ، ويبادر العمل فيما أمهلته ،
وأن لا ينخدع فيما خدعته .

قال بعض الحكماء : الجاهل يعتمد على أمله، والماعل يعتمد على عمله .
وقال بعض البلغاء : الامل كالسراب غرّ من رآه، ونخاب من رجاه .

تبصرة :

وقد يكون التسويف في فعل التوبة ، لاجل المبادرة الى الحوبة .
وهذا من أعظم المصائب، وأكبر النوائب، لانه قد باع السعادة بالشقاوة .
رجاء أن يشتريها فيما بعد فمن أخسر صفقة من هذا الامن ؟
لانه قد يأتيه الموت بغتة، وان لم يأت به بغتة . فانه ربما سوف مرة أخرى أو مرار
لان نفسه قد غلبت عليه ، واستولى عليه مقود الشهوة ، فردع نفسه وشهوته
بعد ذلك شديد جداً ، بل ربما لا تتأتى له بعد ذلك توبة اصلاً ، مؤاخذه له .
قال أبو حازم : نحن لانريد أن نموت حتى نتوب ، ولا نتوب حتى
نموت .

وقال بعض البلغاء : الامل رائد الاهمال .

وقال محمد بن بشير :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً	ويسومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت ^(١) اساءة	فشنّ باحسان وأنت حميد
ولا ترخ فعل الخير منك الى غد	لعل غداً يأتي وأنت فقيـد

(١) في نسخة الاصل : اقترحت اساءة .

فصل

وأما الرجاء :فان كان فيما عند الله فهو الم محمود ،لانه «عز وجل» أكرم وأعظم من أن يخيّب راجياً ، وربما كان باعثاً على العمل ، وهو قريب الشبه مما قدمناه في الامل ^(١) .

وأما اذا كان باعثاً على ترك العمل وارتكاب المعاصي ، فهو من أقبح القبائح ، لان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته فالراجي على هذا النحو ، غرّه بالله الغرور ^(٢) .

وان كان الرجاء لما يناله من حظوظ الدنيا من المطامع ، اما من الناس أو من سعيه ، فهو أيضاً مذموم ، لانّ الاغلب على الرجاء المعقود أن بالطمع ينحلّ باليأس .

قال علي رضي الله عنه :كلما لا ترجوا خیرما ترجوا ^(٣) .

وقد وجدنا صدق هذا الكلام - وجوداً - كالعيان ، حتّى صار الرجاء قاطعاً للرجاء ، لكثرة ما رأينا من تعقب الخلف والفشل بعده ، وحصول ما لم يطمح اليه الرجاء على أسهل الوجوه .

(١) في أول هذا الباب ص ٢٧٥ .

(٢) اشارة الى قوله تعالى : ولا يغرّنكم بالله الغرور (الحديد: ١٤/٥٧ ، راجع

تفسيره في ص ٤٨ .

(٣) كذا في نسخة الاصل والمروى عنه (ع) في ثلثي الاخبار ج ٢ ص ٣٩

وص ٥٠ :كن لما لا ترجوا أرجي منك لما ترجوا .

فصل

وأما المنى : فهي بضائع النوكى ، وتثبيط عن الآخرة والاولى ، قل أن
يهذي بها الا دني النفس سخييف العقل .

قال بعض الشعراء :

ان خا نك الدهر فكن عائداً بالبيض والظلماء والعيس
ولا تكن رب المنى ، فالمنى رؤوس أموال المغاليس
الا أنه ربما يتسلى بالاماني ، وان قل صدقها ، لكن يعتاض بها سلوة من
هم ، ومسرّة من غم .
قال أبو العتاهية :

حرك مناك اذا اغتممت فانهن مراوح

وقال الشاعر :

و تمنيت مالا و بت مغتبطا ان المنى رأس أموال المغاليس

باب الموت

فهو من حكم الله تعالى وألطفه ، والا لضاقت الارض بنسوع الانسان ،
ولاسرفوا في الفساد والطغيان .

قال النبي ﷺ : تحفة المؤمن الموت .

وجه ذلك : أن المؤمن في دار الدنيا في سجن ، لعنائه بريضة نفسه على
ترك ما تدعوه اليه من الشهوات ، التي قد ألفتها النفس ، باعتبار ملابتها هذا
الجسم ، المتحلل ، المتخلخل ، الشديد الحاجة ، وفي بلاء السعي في اصلاحه
وفي عذاب من مدافعة مايوسوس له الشيطان ، وينصب له من مكائده ، والموت
مخلص لنفسه النورانية من هذه الجنة الظلمانية ، وملحق نفسه برفقائها فتستأنس
بهم .

والى ذلك الاشارة في قوله تعالى : «يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»^(١).

قيل للنبي ﷺ : من أكيس الناس ؟

فقال ﷺ : أكثرهم ذكراً للموت ، وأشدهم استعداداً له ، أولئك الأكياس
ذهبوا بشرف الدنيا ، واکرام الآخرة .

وقال ﷺ : أكثروا ذكر هادم اللذات .

(١) سورة الفجر ٢٧/٨٩ - ٢٩ .

وقال عيسى عليه السلام : كما تنامون كذلك تموتون ، وكما تنتبهون كذلك تبعثون .

وقال بعضهم : عجبت لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح ؟ وعجبت لمن يعلم أن النار حق ، كيف يضحك ؟ وعجبت لمن يرى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ؟

وحكى : أن بشر بن منصور لما حضرته الوفاة ، فرح .

ف قيل له : أتفرح بالموت ؟ !

فقال : أتجعلون قدومي على خالتي أرجوه ، كمقامي مع مخلوق أخافه ؟

وحكى : أن عمر بن عبدالعزيز (رضه) كان يجمع عنده جماعة ويتذاكرون

الموت والقيامة ، فيتباكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال الحسن : فضح الموت الدنيا ، ماترك لذي لب فيها فرحاً .

وقال بعضهم : شيثان قطعاً عني ارادة الدنيا : ذكر الموت ، والوقوف

بين يدي الله عز وجل .

وقال بعضهم : ان بقائك ^(١) الى فناء ، وفناءك الى بقاء ، فخذ من فنائك

– الذي لا يبقى – ، لبقائك – الذي لا يفنى – .

وقال الرشيد لابن السماك : عظمي وأوجز .

فقال : اعلم انك [لست] ^(٢) أول خليفة يموت .

فاستيقظ أيها الراقد لعمل آخرتك ، واغتنم بقية أجلك بخير عملك ، فان

من قصر أمله ، واستقل أجله ، حسن عمله .

قال عمر لابي الدرداء (رضه) : عظمي .

(١) في نسخة الاصل : بقاء .

(٢) ليس في النسخة وانما أضيفناه لسياق الكلام .

فقال : ارض بالقوت ، وخف بالقوت ، واصل صومك الدنيا وفطرك الموت .

وقال الجاحظ في كتاب البيان : وجد مكتوباً على حجر :
«يا بن آدم ، لو رأيت يسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طويل ما ترجوا
من أملك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ، ولقصرت من حرصك وحيلك ،
وانما يلماك بغتة ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ، وتبرأ منك
القريب ، وانصرف عنك الحبيب»^(١).

وقال بعضهم :

ياذا التغافل فيك فاعمل فيهما ^(٢)	الليل يعمل والنهار كلاهما
بصنائع الخيرات أن تغنيهما	وهما جميعاً يغنيانك فاجتهد

وقال ابن المعتز :

وأيا منسا - تطوى - وهن " مراحل	نسير الى الاجال ^(٣) في كل ساعة
اذا ما تخطته الاماني " باطل	ولم أر مثل الموت حقاً كأنه
فكيف به والشيب للرأس شامل	وما أقبح التفريط في زمن الصبي
فعمرك أيام تعدد قلائل	ترحل من الدنيا بزاد من التقى

وقال بعض الصلحاء : لنا من كل ميت عظة بحاله ، وعبرة بمآله .

وقال بعضهم : اعمل عمل المرتحل فان حادى الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك .

(١) قد ذكر الاستاذ المحقق الكبير السيد محمد حسين الجلالى اختلاف النسخ في هذا النص عند تعرضه لمصادر الكتاب (راجع التقديم) .

(٢) كان ابن سميون الواعظ يقول : لم أسمع في المواضع أبلغ وأوجز من قول من قال : ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ، الإيجاز والاعجاز ص ٣٥ .

(٣) كذا ظاهر العبارة وهي في نسخة الاصل غير واضحة .

وحكى : أن سليمان بن عبد الملك نظر يوماً في المرأة، فقال : أنا الملك الشاب .

فقالت جارية له :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب قد علمناه غير أنك فان
ولما مات الاسكندر قال بعض الحكماء : كان الملك أمس أنطق منه
اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس .

وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس :

الموت باب وكل الناس يدخله باليت شعري بعد البساب ما الدار
فأجابه :

الدار جنة عدن ان عملت بما يرضي الاله، وان خالفت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك أي الدار تختار
وسمع بعضهم صرخاً على ميت فقال : العجب من قوم مسافرين يكون
على مسافر قد بلغ منزله .

فصل

في القبر

حكى : أن الربيع حفر في داره قبراً ، وكان اذا وجد في قلبه قسوة ، جاء فاضطجع فيه ، ثم يمكث فيه ما شاء ، ثم يقول : «رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً»^(١).

ثم يرد على نفسه فيقول : قد رجعتك ، فاعمل .

فيجد في نفسه بذلك قوّة ونشاطاً على الطاعة .

وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظاات ؟

فقال : النظر الى محلة الاموات .

ووجد مكتوباً على قبر: قهرنا ، ثم قهرنا ، ثم صرنا للناظرين عبر .

ووجد على آخر: من أمل البقاء ، وقد رأى مصارعنا ، فهو مغرور .

وحيث كان الانتهاء الى هنا فما أنا ذا قد قطعت الكلام حامداً لله تعالى ،

شاكرآ له على أنعمه الجسام ، مصلياً على محمد النبي وآله ، وأصحابه الائمة

الاعلام .

(١) اقتباس من قوله تعالى : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون

لعلني اعمل صالحاً فيما تركت ، كلا، انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم

يبعثون » .

(سورة المؤمنون : ٩٩/٢٣ - ١٠٠)

سائلا من كرم الله تعالى أن ينفع به المسترشدين والطلاب ، وأن يجازيني
 عليه الجزاء الاوفى يوم الحساب .
 مستمداً من تفضل الناظر فيه ، أن يكون نظره بعين الاغضاء لا الاستقصاء
 فليسدل ثوب الستر ، وليفتح باب العذر ، والا فليجعل جزاء كدحي في تأليفه
 وترصيفه قريحتي وفكري ، المجاوزة عن تهافني فيه ووزري ، فاني :
 قد تتبعت فيه جهدي ولكن ليس من هفوة الجنان أمان
 واقد قال صاحب الفضل قدماً ليس يخلسو من هفوة انسان
 مع علمي بأني لم أصل الى مثل هذا التأليف الا بمعونة العزيز اللطيف .
 فرغ من مشقة مشقه ، مؤلفه ، فقير رحمة ربه الغني ، حسين بن عبد
 الصمد الحارثي الهمداني ، أدخله الله في مرضيه ، و جعل مستقبله خيراً من
 ماضيه ، لثلاث خلت من شهر شعبان المعظم ، من شهور سنة خمس وأربعين
 وتسعمائة هجرية نبوية ، على من شرقت به أفضل الصلاة وأكمل السلام ،
 آمين .

استدراك

ص ٣٧ الهامش (١) يضاف عليه :
فقد ذكر فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ مضمون
ما ذكره المؤلف ، في كتابه : (ملخص أفكار المتقدمين والمتأخرين) ، راجع
الكتاب طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ ، ص ٧٢ .
ص ٤٠ سطر ٩ / كلمة : وأقول ، تجعل بين قوسين ، هكذا : (وأقول :).
هذا وقد فاتنا إضافة (وآله) في أغلب الموارد التي وردت الصلاة فيها على
الرسول ﷺ خالية من ذكر (الال) .
فقد وردت : نصوص كثيرة تؤكد على ضرورة ذلك في الصلاة والسلام
على النبي ﷺ ، وتنتهي عن الصلاة البتراء .

الفهارس

١ - فهرس الايات

الاية	السورة ورقم الاية	الصفحة
أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم..	البقرة : ٤٤/٢	٩٧
فاذكروني أذكركم واشكروا لي..	البقرة : ١٥٢/٢	٢٤٤
ان الذين يكتمون ما أنزلنا ..	البقرة : ١٥٩/٢	١٠٠
والذين آمنوا أشد حبا لله ..	البقرة : ١٦٥/٢	٥٤
واتقون يا أولي الالباب.	البقرة : ١٩٧/٢	٥٢
مثل الذين ينفقون أموالهم ..	البقرة : ٢٦١/٢	١٤٨
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن ..	البقرة : ٢٦٤/٢	٢٤٢
الشیطان يعدكم الفقر ...	البقرة : ٢٦٨/٢	٢٢٧
يؤتي الحكمة من يشاء ...	البقرة : ٢٦٩/٢	١١٠
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ...	البقرة : ٢٧٨/٢	٥٢
زین للناس حب الشهوات ..	آل عمران : ١٤/٣	١٢٩
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي ..	آل عمران : ٣٩/٣	٢١١
واذكروا نعمت الله عليكم..	آل عمران : ١٠٣/٣	١٤٠
وشاورهم في الامر ..	آل عمران : ١٥٩/٣	١٩٢

١٠٠	آل عمران : ١٧٨/٣	واذ أخذ الله ميثاق الذين ..
٢٢٨	آل عمران : ١٨٠/٣	ولا يحسنّ الذين ييخلون ...
٢١٧/١٣٠	آل عمران : ٢٠٠/٣	يا أيها الذين آمنوا اصبروا ..
٥٢	النساء : ١ / ٤	يا أيها الناس اتقوا ربكم .
٩٠	النساء : ١٤٣/٤	مذبذبين بين ذلك . .
١٥٠	المائدة : ٢٠/٥	اذجعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا .
٥٢	المائدة : ٣٥/٥	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . .
١٧٩	المائدة : ١٠٠/٥	قل لا يستوي الخبيث والطيب ..
٢٢٤	المائدة : ١١٩/٥	رضي الله عنهم ورضوا عنه . .
٢٢٠	الانعام : ٨٢/٦	الذين آمنوا ولم يلبسوا . .
٢٣٠/ ٢٢٥	الاعراف : ٣١/٧	ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
١٧٨	الاعراف : ٥٨/٧	والبلد الطيب يخرج نباته . . .
١٩٩	الاعراف : ١٨٨/٧	ولو كنت اعلم الغيب . . .
٢٠٢	الاعراف : ١٤٦/٧	سأصرف عن آياتي الذين . .
٢١٥	الاعراف : ٢٠٠/٧	واما ينزغنك من الشيطان نزغ ..
١٥٦	التوبة : ٣٤/٩	والذين يكتزون الذهب . . .
١٥٣	هود : ٨٤/١١	اني أراكم بخير .
٢٧٣	يوسف : ٣٣/١٢	قال رب السجن احب الي .
١٦٣ / ١٦٢	يوسف : ٥٣/١٢	ان النفس لامارة بالسوء .
٩٢	يوسف : ٧٦/١٢	وفوق كل ذي علم عليم .
١٤٢	الرعد : ٢١/١٣	والذين يصلون ما أمر الله به ..
٢٤٤	ابراهيم : ٧/١٤	لئن شكرتم لازيدنكم .

١٢٨	النحل: ٧١/١٦	والله فضل بعضكم على بعض ..
١٢٣	النحل: ٩٧/١٦	فلنحيينّه حياة طيبة .
١٨٠	النحل: ١٠٥/١٦	انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
٢٢٥	الاسراء: ٢٦-٢٧/١٧	ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا ..
٦٢	الاسراء: ٧٢/١٧	ومن كان في هذه أعمى فهو في ..
٣٤	الاسراء: ٧٩/١٧	ومن الليل فتهجد به نافلة لك
٦٨	الاسراء: ٨٥/١٧	وما أوتيتم من العلم الا قليلا
٥٧	الاسراء: ١١٠/١٧	ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
٢١٥	الكهف: ٢٤/١٨	واذكر ربك اذا نسيت
١٤٥	الكهف: ٤٦/١٨	والباقيات الصالحات خير عند ربك ..
٢٦٥	الكهف: ٤٩/١٨	مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ..
٩٦	الكهف: ٦٦/١٨	هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت ..
٨٠/٥٧	الكهف: ١٠٣/١٨	قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا ..
٥٦	الكهف: ١٢٠/١٨	فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل .
١٧٨	طه : ٨٤/٢٠	وعجلت اليك رب لترضى .
٣٣	الحج: ٣١/٢٢	ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء ..
٢٨٤	المؤمنون: ٩٩-١٠٠/٢٣	ربّ ارجعون لعليّ أعمل صالحا
١٥٣	النور: ٣٣/٢٤	فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا .
١٧٢	الفرقان: ٧٢/٢٥	واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما .
٢٠٢	القصاص: ٨٣/٢٨	تلك الدار الآخرة نجعلها للذين ...
٦٤	العنكبوت: ٤٣/٢٩	وما يعقلها الا العالمون .
١٤٧	الروم: ٧/٣٠	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا .

١٤٢	الروم: ٢١/٣٠	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا.
٢٢١	لقمان: ١٧/٣١	واصبر على ما أصابك ان ذلك..
٥٢	لقمان: ٣٣/٣١	يا أيها الناس اتقوا ربكم
١٥٥	فاطر: ١٥/٣٥	أنتم الفقراء الى الله
٦٥	فاطر: ٢٨/٣٥	انما يخشى الله من عباده العلماء
٦٤	الزمر: ٩/٣٩	قل هل يستوي الذين يعلمون والذين..
٢١٩	الزمر: ١٠/٣٩	انما يوفى الصابرون أجرهم..
١٤٧	السجدة: ١٠/٤١	وقدر فيها أقواتها.
٤٨	الجاثية: ٢٣/٤٥	أفرأيت من اتخذ الهه هواه.
١٠٩	الاحقاف: ٤/٤٦	أو أثارة من علم.
٥٢	الحجرات: ١٠/٤٩	واتقوا الله لعلكم ترحمون.
١٨٥	الحجرات: ١٢/٤٩	ولا يغتب بعضكم بعضاً.
٥٢	الحجرات: ١٣/٤٩	ان أكرمكم عند الله أتقاكم .
٢٥٤	الواقعة: ١٥/٥٦	على سرر موضونة متكئين عليها..
٢٦٣	الواقعة: ٣٧-٣٥/٥٦	انا أنشأناهم " انشاء ...
٢٨٧/٤٨	الحديد: ١٤/٥٧	ولكنكم فتنتم أنفسكم...
٨٠	الجمعة: ٥/٦٢	مثل الذين حملوا التوراة..
١٠٨	القلم: ١/٦٨	ن والقلم وما يسطرون.
٢٥٢	المزمل: ١/٧٣	يا أيها المزمل قم الليل ..
٤٩	النازعات: ٤٠/٧٩	وأما من خاف مقام ربه ..
١٧٨	المطففين: ٢٩/٨٣	ان الذين اجرموا كانوا من..
١٢٦	الاعلى: ٣/٨٧	والذي قدر فهدى

٢٨٠	الفجر: ٢٧/٨٩ - ٣٠	يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي ..
٢٢٦	الليل: ٥/٩٣ - ١٠	فأما من اعطى واتقى ...
١٢٧	الانشراح: ٧/٩٤ - ٨	فاذا فرغت فانصب ...
١٠٨	العلق: ٤/٩٦	الذي علم بالقلم
١٢٦/٦٥	العلق: ٧/٩٦	ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ..
٥٤	البينة: ٥/٩٨	وما امروا الا ليعبدوا الله ..
٦٣	الزلزلة: ٧/٩٩ - ٨	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ..
١٥٣	العاديات: ٨/١٠٠	وانته لحب الخير لشديد ..
٢٦٦	العلق: ٥/١١٣	ومن شر حاسد اذا حسد ..

٢- فهرس الاحاديث

الحديث	الصفحة	المروى عنه
أبعدوا عني خفق نعالكم ..	٢٠٦	علي <small>عليه السلام</small>
أثقل ما يوضع في الميزان المخلق الحسن.	٢٤٥	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
الاحمق ابغض خلق الله اليه.	٤٥	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
الاحمق كالفخار لا يرقع ولا يشعب.	٤٥	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
أخوف ما أخاف على امتي الرياء.	٥٧	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
إذا أراد الله بعبد خيراً . .	٢٤٢	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
إذا استرذل الله عبداً حظر عليه العلم .	٧١	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالمساء ..	٢٧٤	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
إذا ترك العالم لأدري أصيبت مقاتله .	٩٤	ابن عباس
إذا تم العقل نقص الكلام .	١٦٩	علي <small>عليه السلام</small>
إذا زكي أحدهم قال: اللهم انت اعلم بنفسي ..	٢٠٧	علي <small>عليه السلام</small>
إذا شتمت فقل: ان كنت صادقاً فغفر الله لي...	٢١١	الصادق <small>عليه السلام</small>
إذا صدق العبد بر وإذا بر آمن .	١٨٠	النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>

النبي ﷺ	٢١٠	إذا غضبت فاسكت.
النبي ﷺ	٢١١	إذا قدرت على عدوك فأجعل العفو جزاءه... .
الرضا عليه السلام	٢٤٣	إذا قصرت يدك بالمكافأة ..
النبي ﷺ	١٨٠	إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر ...
النبي ﷺ	٢٤٨	إذا لم تستحي فاصنع ما شئت .
النبي ﷺ	١٤٠	الارحام اذا تماسست تعاطفت .
النبي ﷺ	٤١	ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً ..
النبي ﷺ	٢٤٩	استحي من الله استحيائك من ذي هيبة.
النبي ﷺ	٢٤٩	استحيوا من الله حق الحياء .
النبي ﷺ	١٨٨	استعينوا على الحاجات بالكتمان . .
علي عليه السلام	١٣٤	اشتد غضبي على من ظلم ..
النبي ﷺ	١٣٣	أشد الناس عذاباً من جار في حكمه . .
علي عليه السلام	٢٠٤	الاعجاب ضد الثواب ..
النبي ﷺ	١٦٣	أعدى عدوك نفسك.
النبي ﷺ	١٤٣	أعظم النساء بركة أحسنهن وجهاً ..
النبي ﷺ	٢٤٥	أفضل الاعمال حسن الخلق
النبي ﷺ	٦٥	أفضل الاعمال العلم بالله والفقه في دينه . .
النبي ﷺ	٢٢٦	أفضل الايمان الصبر والسماحة . .
ابن عباس	٢١٨	أفضل العدة الصبر عند الشدة ..
النبي ﷺ	١٥٨	اقتصدوا في الطلب ..
النبي ﷺ	٢٢٦	أقسم الله بعزته وعظمته أن لا يدخل الجنة بخيل . .

أكثرُوا ذكر هادم اللذات	٢٨٠	النبي ﷺ
أكيس الناس أكثرهم ذكراً للموت ..	٢٨٠	النبي ﷺ
التمسوا لآخوانكم العذر في زلاتهم	٢٥٥	النبي ﷺ
اللهم احيني فقيراً وتوفني فقيراً ..	١٥٥	النبي ﷺ
اللهم اغني بالافتقار اليك ..	١٥٥	النبي ﷺ
الامل رحمة من الله تعالى لامتي.	١٣٦	النبي ﷺ
ان أحساب هذه الدنيا المال	١٥٣	النبي ﷺ
ان الحسد لياكل الحسنات ..	٢٦٩	النبي ﷺ
اللسان معيار اطاشه الجهل ورجحه العقل.	١٦٥	النبي ﷺ
ان الله ارتضى لكم الاسلام دينا فاكرموه ..	٢٤٥	النبي ﷺ
ان الله تعالى يوصيكم بامهاتكم ...	٢٤١	النبي ﷺ
ان الله يحب الحليم الحيي ..	٢١٠	النبي ﷺ
ان الله وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء .	٧١	الصادق عليه السلام
ان الله يختبر عباده وليس لهم ان يختبروه .	١٦٧	عيسى عليه السلام
ان اولياء الله: الذين نظروا الى باطن الدنيا.	١١٧	عيسى عليه السلام
ان لله في كل محنة منحة .	٢٢٣	النبي ﷺ
انتظار الفرج من الله عزوجل عبادة .	١٥٢	النبي ﷺ
انك ان صبرت جرى عليك القلم وأنت أجور ..	٢٢٠	علي عليه السلام
انكم لن تسعوا الناس باموالكم ..	٢٤٥	النبي ﷺ
انهاك عن الشرك بالله والكبر (قاله لعمته العباس).	٢٠٢	النبي ﷺ
انهاكم عن عقوق الامهات .	١٤١	النبي ﷺ
اني عليم احب كل عليم (مما وحي الله الى ابراهيم)	٦٤	النبي ﷺ
اني لامزح ولا أقول الا حقاً	٢٦٣	النبي ﷺ

أول ما خلق الله العقل	٤٢	الباقر عليه السلام
اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب	٢٦٥	النبي صلى الله عليه وآله
اياك ومصاحبة الكذوب فانه يقرب لك البعيد	١٨١	علي عليه السلام
اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر.	٢٤١	النبي صلى الله عليه وآله
أياما عبد صنع الى أخيه معروفاً أو صنيعاً .	٢٤٣	النبي صلى الله عليه وآله
بشس الاستعداد الاستعداد .	١٩٢	علي عليه السلام
البخل جامع لمساوىء العيوب .	٢٢٨/١٥٧	علي عليه السلام
البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة	٢٢٦	النبي صلى الله عليه وآله
البذاء من الجفاء والجفاء في النار .	٢٤٨	النبي صلى الله عليه وآله
البلاء موكل بالمنطق	٢٧٣	النبي صلى الله عليه وآله
بالصبر يتوقع الفرج	٢٢٠	النبي صلى الله عليه وآله
تأخير الاساءة من الاقبال .	٢٧٦	علي عليه السلام
تحروا الصدق ولورأيتم فيه الهلكة.	١٨٢	النبي صلى الله عليه وآله
تحفة المؤمن الموت .	٢٨٠	النبي صلى الله عليه وآله
تسعة أعشار الرزق في التجارة .	١٤٨	النبي صلى الله عليه وآله
تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده .	١٠١	النبي صلى الله عليه وآله
تعلموا ماشئتم أن تتعلموا .	٩٧	النبي صلى الله عليه وآله
تعلموا وعلموا فان أجر العالم والمتعلم سواء .	١٠١	النبي صلى الله عليه وآله
تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل .	١١٧	عيسى عليه السلام
التفكر في الخير يدعو الى العمل به .	٦٣	ابن عباس
ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة .	١٨٥	النبي صلى الله عليه وآله
جالس العلماء وزاحمهم بركتيك .	٦٥	لقمان عليه السلام

النبي ﷺ	٢٢٦	جبلت القلوب على حب من احسن اليها .
النبي ﷺ	١٨٦	الجنة لا يدخلها ديتوث ولا قلاّع .
علي عليه السلام	٦١	حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .
النبي ﷺ	٥٠	حبك للشيء يعمي ويصم .
النبي ﷺ	٢٤٥	حسن الخلق. (قاله في جواب من سأله: ما الدين ؟)
النبي ﷺ	٢٤٥	حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار .
النبي ﷺ	٨٨	حسن السؤال نصف العلم .
النبي ﷺ	١٥٠	الحلال بيتن والمحرام بيتن فدع ما يريبك .
النبي ﷺ	٢٤٨	الحياء من الايمان والايمان في الجنة
النبي ﷺ	٢٤٩	الحياء نظام الايمان .
النبي ﷺ	٦٩	خيار امتي علماؤها .
النبي ﷺ	٨٥	خيار شبانكم المتشبهون بشيوخكم .
علي عليه السلام	٩٥	خمس خذوهن عني .
النبي ﷺ	١٤٨	خير المال عين ساهرة لعين نائمة .
علي عليه السلام	١١٨	الدنيا أولها عناء وآخرها فناء .
لقمان عليه السلام	١١٨	الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير .
علي عليه السلام	١٢٥	الدنيا دار صدق لمن صدقها .
عيسى عليه السلام	١١٧	الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .
النبي ﷺ	٢٥٩	رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس .
جبرئيل عليه السلام	٢١٠	ربك يأمرك أن تصل من قطعك .
علي عليه السلام	٤٩	رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر .
النبي ﷺ	١٨٠	رحم الله امراً أصلح من لسانه .

علي عليه السلام	٩٦	رحم الله امرأ عرف قدره .
النبي عليه السلام	١٦٥	رحم الله من قال خيراً فغنم .
النبي عليه السلام	١٤٨	الرزق في خبايا الارض - يعني الزرع -
النبي عليه السلام	٢٧١	ذروها وهي ذميعة (قاله لمن تشائم من داره) .
ابن عباس	٢٢٦	سادة الناس في الدنيا الاسخياء .
علي عليه السلام	٢٣٢	السخاء: ما كان ابتداء .
النبي عليه السلام	٢٢٦	السخي قريب من الله، قريب من الجنة .
علي عليه السلام	١١٨	سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره .
النبي عليه السلام	١٣٠	السلطان ظل الله في الارض .
النبي عليه السلام	٢٤٥	سوء المخلق. (قاله في جواب من سأله: ما الشرك؟)
لقمان عليه السلام	١٩٥	شاور من جرتب الامور .
النبي عليه السلام	١٦٤	الشديد من غلب نفسه .
النبي عليه السلام	٨٥	شرار شيوخكم المشبهون بشبّانكم .
النبي عليه السلام	١٨٥	صامتا عما أحل لهما وأفطرتا على ما حرم .
النبي عليه السلام	٢٢٠	الصبر ضياء .
النبي عليه السلام	٢١٩	الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .
النبي عليه السلام	٢١٨	الصبر مطية لا تكبو .
النبي عليه السلام	١٤٢	صلة الرحم منماة للعدد مثراة للمال .
علي عليه السلام	٢٦٥	ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجده .
علي عليه السلام	٩١	ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك .
النبي عليه السلام	٢٧٠	طرق الطير على وكناتها .
النبي عليه السلام	٦٨	طلب العلم فريضة على كل مسلم .

العالم من علم ان ما علم فيما لا يعلم قليل .	٩٤	علي عليه السلام
عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح .	٢٠٦	الكتب السالفة
وعجبت لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف ..	٢٠٦	الكتب السالفة
العجب يا كل الحسنات كما تأكل النار ..	٢٥٦/٢٠٤/٩١	النبي صلى الله عليه وآله
العقل نور يقع في القلب .	٤٣	النبي صلى الله عليه وآله
العلم أفضل خلف والعمل به أكمل شرف	٦٥	علي عليه السلام
العلم خزائن مفتاحه المسئلة .	٨٧	النبي صلى الله عليه وآله
علة العلم (قاله في جواب من قال: ما ينفي عني الجهل)	٩٧	النبي صلى الله عليه وآله
عليّ بخلفائي .. الذين يحيون سستي .	٦٩	النبي صلى الله عليه وآله
الغيبية: أن تقول في أخيك ما هو فيه .	١٨٦	النبي صلى الله عليه وآله
فضل العالم على العابد كفضلي ...	٦٥	النبي صلى الله عليه وآله
الفقر فخري وفخر الأنبياء من قبلي .	١٥٥	النبي صلى الله عليه وآله
فما أعدى الأول؟ (قاله في جواب من قال بالعدوى)	٢٢٠	النبي صلى الله عليه وآله
في الانسان ثلاثة من اخلاق الجاهلية .	٢٧١	النبي صلى الله عليه وآله
قصروا الامل واستحيوا من الله حق الحياء .	٢٧٤	النبي صلى الله عليه وآله
قلب العاقل بيت الاحزان	٢٢٣	علي عليه السلام
قلة الحياء كفر	٢٤٩	النبي صلى الله عليه وآله
كاد الفقر أن يكون كفرا .	٢٤٧/١٥٥/١٥١	النبي صلى الله عليه وآله
كفارة الطيرة التوكل على الله .	٢٧١	النبي صلى الله عليه وآله
كلكم خير منه (أي ممن ألقى كلمته على الناس)	١٥١	النبي صلى الله عليه وآله
كلما لاثرجوا خير مما نرجوا .	٢٧٨	علي عليه السلام

كل معروف صدقة .	١٤٥	النبي ﷺ
كما تنامون كذلك تموتون وكماتنتبهون.	٢٨١	عيسى عليه السلام
لا أدري (قاله في جواب من سأل أي البقاع خير)	٩٤	النبي ﷺ
لا تكن على حالة الا رضيت بمادونها .	١٢٣	النبي ﷺ
لا تضع الصنيعة ألا عند ذي حسب أودين .	٢٤٢	النبي ﷺ
لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق .	٢٦٠	سليمان عليه السلام
لا تمنعوا العلم أهله فان في ذلك فساد دينكم .	١٠٠	النبي ﷺ
لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا .	١٠٣	النبي ﷺ
لا داء أعيبى من الجهل .	٧٢	علي عليه السلام
لا تغضب (قاله في جواب من قال مرني بعمل)	٢١٠	النبي ﷺ
لا عدوة ولا هامة ولا طيرة ولا صفر .	٢٧٠	النبي ﷺ
لا يتم المعروف الا بثلاث .	٢٤١	ابن عباس
لا يدخل الجنة من كان في قلبه الكبر .	٢٠٢	النبي ﷺ
لا يدخل حضيرة الفردوس مستكبر .	٢٠٢	النبي ﷺ
لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن .	١١٧	عيسى عليه السلام
لا يشكر الله من لا يشكر الناس .	٢٤٤	النبي ﷺ
لا يكون المؤمن كذابا .	١٨٠	النبي ﷺ
لا ينبغي للشريف أن يرى للدنيا خطراً .	٢٠٥	الباقر عليه السلام
لسان العاقل من وراء قلبه .	١٦٧	النبي ﷺ
للفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .	٦٤	النبي ﷺ
لقحوا عقولكم بالمذاكرة .	١٩٦	النبي ﷺ
للقلوب شهوة واقبال وفترة وادبار .	٨٢	ابن مسعود

النبي ﷺ	٦٩	لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه .
ابن عباس	٩٦	لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفي منه موسى .
عيسى عليه السلام	١٦	ليس بنافعك أن تعلم ما لم تعمل .
النبي ﷺ	١٢٧	ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة .
النبي ﷺ	١٢٧	ليس طلب المعاش من طلب الدنيا (قاله الله لابراهيم) .
النبي ﷺ	٨٤	ليس من أخلاق المؤمن الملق .
النبي ﷺ	١٣٩	المؤمن آلف مألوف و . .
النبي ﷺ	٢٦٤	المؤمن دعب لعب، و المنافق عبس قطب . . .
النبي ﷺ	٢٠٨	المؤمن مرآة المؤمن ..
لقمان عليه السلام	٦١	المؤمن من أبصر الفاقة ..
النبي ﷺ	٢٦٦	المؤمن يغبط والمنافق يحسد .
علي عليه السلام	١٠٠	ما أخذ الله العهد على أهل الجهل . .
النبي ﷺ	٢١٧	ما ازداد أحد بفقر إلا عزاً . .
النبي ﷺ	١٦١	ما أنحل الوالد ولده فحلة أحسن من أدب . .
النبي ﷺ	١٥٠	ماسد جوعتك (قاله لمن سأل ما يكفيني من الدنيا)
النبي ﷺ	٢٣٠	ما عال من اقتصد .
النبي ﷺ	٦٩	ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في الدين .
علي عليه السلام	٥٣	ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك .
النبي ﷺ	١٣١	ما من أمير على عشرة إلا ويأتي مغلولاً . .
النبي ﷺ	١٢٣	ما من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب .
النبي ﷺ	٢٢٦	ما من يوم .. إلا وملكين يناديان ..
النبي ﷺ	٢٣٩	ما وقى به العرض فهو صدقه .

علي ؑ	٩٦	ماهلك امرىء عرف قدره .
النبي ؑ	٢٥٢	مثل المجلس السوء .. والمجلس الصالح . .
النبي ؑ	٢٥١	المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل .
علي ؑ	١٦٨	المرء محبوب تحت لسانه .
النبي ؑ	٢٦٢	المزاح استدراج من الشيطان ..
النبي ؑ	٢٦٤	مزاح المؤمن عبادة . .
النبي ؑ	٢٦٤	مزاح النبي ..
النبي ؑ	١٤٩	المسافر وماله على قلّة .
النبي ؑ	١٩٢	المشاورة حصن من الندامة . .
النبي ؑ	١٤٥	المعروف كاسمه ..
جبرائيل ؑ	٢١٠	مكارم الاخلاق فى الدنيا والاخرة ثلاث . .
النبي ؑ	١٨٦	ملعون ذوالوجهين . .
النبي ؑ	١٥٣	من أراد الله به خيراً حال بينه وبين شهواته .
النبي ؑ	١٩٤	من أراد أمراً فشاور وفقه الله . .
النبي ؑ	٧٤	من ازداد فى العلم رشدأ ولم يزد زهدأ ..
النبي ؑ	١٥٠	من اعطى فضل ماله فهو خير له . .
النبي ؑ	٢٢٠	من اعطى فشكر و . . اولئك لهم الامن .
النبي ؑ	٢٤٣	من أودع معروفا فلينشره ..
النبي ؑ	٨٥	من تشبه بقوم فهو منهم .
النبي ؑ	٧٤	من تعلم علماً لغير الله .. فليتبوأ النار .
النبي ؑ	٧٤	من تعلم العلم للتكبر مات جاهلاً . .
علي ؑ	٦٣	من تفكر أبصر .

من تقوى الله تقوى الناس .	٢٥٠	علي عليه السلام
من حاسب نفسه ربح . .	٦١	علي عليه السلام
من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه .	١١٥	علي عليه السلام
من حق المسلم أن ينصح . .	٢٠٠	النبي صلى الله عليه وسلم
من حلم ساد ومن تفهم ازداد .	٢١٠	علي عليه السلام
من ظن ان للعلم غاية فقد بخسه حظه .	٦٨	النبي صلى الله عليه وسلم
من شراركم المشاؤون بالنميمة ..	١٨٦	النبي صلى الله عليه وسلم
من فتحت عليه باب من الخير فلينتهزه . .	١٤٦	النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت له بيت وخادم فهو ملك . .	١٥٠	النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم سره كان الخيار بيده .	١٨٨	علي عليه السلام
من كتم علماً لخسة ألجمه الله . .	١٠٠	النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم غيضاً .. ملأ الله قلبه ايماناً .	٢١٠	النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يجزه من العيش ما يكفيه . . لم يجد ما يكفيه .	٢٢٩	النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يرض بقضائي .. فليختر رباً سواي ،	٢١٨	حديث قدسي
من ليس له زوجة فهو من اخوان الشياطين .	١٤٤	النبي صلى الله عليه وسلم
من مشى مع ظالم ليعينه .. فقد خرج عن الاسلام	١٣٣	النبي صلى الله عليه وسلم
من وقتر عالماً فقد وقتر ربه .	٨٤	النبي صلى الله عليه وسلم
من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها .	١١٧	النبي صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .	٦٩	النبي صلى الله عليه وسلم
من هو مان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا .	٦٥	ابن مسعود
نعم المطية الدنيا فارتحلوا بها ..	١٢٥	النبي صلى الله عليه وسلم
نعم الموازنة المشاورة ..	١٩٢	علي عليه السلام

النبى ﷺ	١١٥	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس . .
النبى ﷺ	١٠٢	واضع العلم في غير أهله . .
النبى ﷺ	١٦٨	وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم الا... .
النبى ﷺ	٨٧	هلا سألوا اذا لم يعلموا .
النبى ﷺ	٨٠	همّة السفهاء الرواية وهمّة العلماء الرعاية .
النبى ﷺ	٢٠٦	هون عليك فانما أنا ابن امرأة . .
ابن عباس	٤٨	الهوى الله يعبد من دون الله .
النبى ﷺ	٥٠	الهوى عمى .
التوراة	١٤٩	يا بن آدم أحدث سفرأ أحدث لك رزقأ .
التوراة	٢١٥	يا بن آدم أذكرني حين تغضب أذكرك... .
بعض الكتب	٢٧٤	يا بن آدم فرحت ببلوغ أملك ؟... .
عيسى عليه السلام	٩٥	يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت . .
النبى ﷺ	٩٩	يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ..
النبى ﷺ	١٣٤	يسلط الله الحزن على أهل النار .
النبى ﷺ	١٨١	يعرف المؤمن بوقاره وليس كلامه
عيسى عليه السلام	١١٧	يقول الله للدنيا من خدمني فاخدميه ..
النبى ﷺ	٢١٦	ينادى مناد يوم القيامة من له أجر على الله فليقم .

٣- فهرس المصطلحات

١٦٢	التأديب من المعلم	١٥٩	أدب النفس
٢٣٠	التبذير	٥٧	الاخلاص
١٤٨	التجارة	٩١	أخلاق العلماء
٢٥٧	التجاوز عن الاصدقاء	١٩٧، ١٩٥، ١٩٢	الاستشارة
٢٧٦	التسويق	٢٠٤	الاعجاب :: العجب
٥٢	تقوى الله	٢٥٩	الاغضاء لتألف الاعداء
٩٥	تكبر العالم	١١٤	الالغاز
٩١	التواضع	١٣٩	الالفة الجامعة
١٨٤	التورية	١٤٤	الالفة - الرغبة فيها -
ج		٢٧٤	الامل
٢١٨	الجزع	١٣٦	الامل الفسيح
٢٥٢	الجليل الصالح والسيئ	١٩٠	أمين السر
١٤٣	الجمال	٩٩	الانقطاع الى العلم أو العمل
ح		ب	
٢٦١	الحذر من الاعداء	١٠٠	البخل بالعلم
٢٢٩، ١٥٧، ١٥٥	الحرص	٢٢٨، ١٥٧	البخل .. الشح
١٢٥	الحزن	٢٣٢	البذل قبل السؤال
٢٦٦	الحسد	١٤٤	البر من أسباب الالفة
٢٤٦ - ٢٤٥	حسن الخلق	١٧٠	البلاغة
٢٥٥	حسن المداراة	ت	
٨٠	الحفظ من غير تصور المعنى	١٦١	التأديب من الوالد
٨٤	حق المعلم		

س	الحلم وأسبابه	٢١١ - ٢١٠
السائل - عن العلم - ٢٣٥ - ٢٣٨	الحق	٤٥
السقاء ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢	الحياة	٢٤٨ - ٢٤٩
سرعة الجواب ١٧٥	خ	
السرف ٢٣٠	الخشونة	٢٤٧
السعاية ١٨٦	الخصب في الدار	١٣٥
السلطان القاهر ١٢٩	الخط وشروطه	١١٠ - ١١٢
السؤال ٨٧	د	
سوء الظن ٢٢٩ ، ١٦٣	الدنيا	١١٧
ش	الدهاء	٤٠
الشح ١٥٧ ، ٢٢٨	دواعي العبادة	٥٣ - ٥٥
الشه ٢٢٩	الدين وتأثيره في الحياة	١٢٩
الشريف ٢٠٥	الدين من أسباب الالفه	١٣٩
شكر النعمة ٢٤٣	ر	
الشهوات ١٥٢	الرجاء	٢٧٨
الشهوة ٥١	الرضا	٢٢٤
ص	الرضا باليسير	١٢٥
الصبر وأنحائه ٢١٨ - ٢١٩	الرموز	١١٦
الصدق ١٨٠	الرياء	٥٦
الصمت ١٦٥	ز	
الصناعة ١٤٩	الزهد	١٢١
ط	الزراعة	١٤٨
طاعة الله ٥٣		

فهارس (نور الحقيقة ونور الحقيقة)

٣٠٦

ف			
٢٧٣	القال	٨٣	طالب العلم
١٧٠	الفصاحة	٧٠	طلب العلم - موانعه -
١٥٤ ، ١٥١	الفقر	٢٧٠	الطيرة
٦٩	الفقه	ض	
ق		٢٦٥	الضحك
٢٨٤	القبر	ع	
١٢٣	القناعة	٢٤٧	العبوس
ك		٩٢ ، ٩١	العجب :::: الاعجاب
٣٠٦ ، ٢٠٢	الكبر وأسبابه	١٣١	العدل
١٠١	الكتابة والكتب	٢٧٠	العدوى
٧٩	الكتب - الكلام عنها -	٤٢	العقل
١٨٨	كتمان السر	٣٧	- لماذا سمي عقلا
١٨١	الكذب ودواعيه	٤٣	العقل - رأس كل صلاح -
١٨٢	الكذب - مضارة -	٣٨ ، ٣٧	العقل المكتسب
١٤٧	الكسب والمكاسب	٣٨ ، ٣٦	العقل الغريزي
٢٤٤	كفر النعمة	٦٤	العلم وفضله
١٦٥	الكلام	٦٨	العلوم - كلها شريفة -
١٧١	- آداب الكتّام	٧٥	العلوم - ترتيب طلبها -
١٦٧	- شروط الكلام	٩٧	العمل بالعلم
١٥٠	الكفاية - في المعيشة -	غ	
م		٢١٥	الغضب
١٤٧	المادة - التي بها الحياة -	١٥٤	الغنى
١٤٢ ، ١٥٣	المال	١٨٥	الغيبة

٢١٩	منع الحقوق	١٠٢	المتعلم
٢٨٠	الموت	١٧٤، ١٧٣	المثل والامثال
ن		٦١	محاسبة النفس
١٤٠	النسب - من أسباب الالفة -	١٧٥	محاسن الاجوبة
٧٧	النسيان	٣٦٢	المزاح والضحك
١٤٤	نظم أمر الدين	١٩٤	المستشار وصفاته
١٣٨	النفس المطيعة	٢٣٨، ٢٣٧	المستول - عن المال -
١٨٦	النميعة	١٩٩	المشير وشروطه
٧٤	نيّة طالب العلم	٢٥١	المصاحبة والاصدقاء
هـ		١٤٢	المصاهرة - من أسباب الالفة -
١٦٨	الهدر - في الكلام -	٢٤١	المعروف وشروطه
١٦٨	الهديان - في الكلام -	١٠٤	المعلم وما يجب عليه
٤٧	الهوى - قد يخفي مكره -	٤٠	المكر
و		٨٤	الملق - في طلب العلم -
٢٠٨	الولاية والحكم	٢٨٨	المنى والامل
		٢٦٦	المنافسة

٤ - فهرس اقوال العرب وأمثالهم السائرة

الفكرة مرآة تريك حسناتك من	الاب رب ، والولد كمد ، والعلم
٦٣ سيئاتك	١٤١ غم ، والخال وبال . .
لا تكن حلواً فياً كلوك ولا مراً	إذا كثر خزان السرزاد ضياعاً ١٩١
٢٤٦ فترمى	انظر الى ما قال ولا تنظر الى من
لا خير في علم لا يعبر معك الوادي	١٩٩ قال
ولا يعمر بك النادي ٧٩	البشر احد البذلين ١٣٦
لسان الجاهل مفتاح حتفه ٧٢	الجاهل صغير وان كان شيخاً ،
مالك لك ، اوللوارث اوللناتبة ١٥٥	والعالم كبير وان كان صغيراً ٧٢
ألمذاكرة صيقل العقل ٧٨	الجنون على فنون ٤٤
ألمشايع اشجار الوقار و منابع	جهل الخط الزمانة الخفية ١٠٩
الاخبار لا يطيش لهم سهم ٣٨٠٠	حسن الخط أحد الفصاحتين ١١٠
ألمطل أحد المنعين ٢٤٠	حرف في قلبك خير من ألف في
من بسطه الادلال قبضه الملال ١٤٣	٧٩ كتبك
من تواضع بعلمه رفعه الله ٩١	العقل وزير ناصح والهوى وكيل
من قل "توقية" كثرت مساوئه ١٥٠	٥٠ قاضح
من قل "ذل" ١٣٩	علم لا يعبر معك الى الحمام لا يرفعك
من ودك لامر انقضسى وداده	٧٩ على الانام
بانقضائه ١٤٣	عليكم بآراء الشيوخ ، فانهم ان
الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها	فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على
عسر اخمادها ٤٨	هيونهم وجوه العبر ٣٨
الهيبة مقرونة بالخيبة ٧٠	٦٣ الفكرة قلب العقل

٥ - فهرس القوافي

صدر البيت	قافيته	الصفحة	صدر البيت	قافيته	الصفحة
إذا كنت	سواء	١٥٦	ج		
إذا لم	ماتشاء	٢٤٨	ان الامور ارتتجا	٢٢١	
ورب	الحياء	٢٥٠	ح		
	ب		حرك مراوح	٢٧٩	
يامظهر	تتريب	٢٠٤	(وكل اناء بالذي فيه ينضح)	١٧٣	
يخاف	أجرب	٢٥٣	د		
ومن جال	متاعبه	٢٢٤	تكلم جماد	١٦٩	
إذا كنت	لاتعاتبه	٢٥٧	إذا قل يرمد	٢٢٣	
وليس	الكلاب	٢٣٥	بدأت أحمد	٢٢٣	
ولو لم يكن ركوبها		٢٣٥	مضى شهيد	٢٧٧	
وان يك	الادب	١٦٠	ولي جلساء ومشهدا	١٠٧	
وما كل	بليب	١٩٤	انما الدنيا مستردة	٢٢٢	
ما وهب	أدبه	٤٣	ان جئت الواحدة	١٦٢	
فما خلق	الادب	١٦٠	محن الفتى العود	٢٢٣	
	ت		ر		
هذب	بيت	٦٥	منك المؤمل بصر	٢٧٣	
سكت	ماعييت	٢١٢	يد المعروف شكور	١٤٥	
تمتع	متا	٢٥٩	ذريني الفقير	١٥٤	
خليلي	جلت	٢٢١	الموت الدار	٢٨٣	
اني	محببات	٢٥٩	تكثّر ظهور	٢٦٠	

ط	٢٨٣	الدار جنة فالنار
أعذر ضبطه ١١٠	١١٩	هل أنت دساكره
ع	٢٥٦	إذا شئت حرأ
إذا لم لا ينفع ٧٩	٢٥١	عليك تصدرا
ولا ضاع تضييع ٢٣٢	٢٤١	حفي اعتذرا
لعمرك صانع ٢٧١	١٩١	ومستودع قبرا
وانك أجمعا ١٥٣	١٩١	وما السر الحشرا
صاد الصديق الطعما ١١٦	٢٥٥	وليس صديقي أمرا
منعت مامعا ١١٦	٤٤	أبني المبصر
إذا اجتمع باجتماعه ٢٥٣	٦٦	إذا ما المال السعير
ف	٨٨	فسل الفقيه نذير
ان الوفاء الاجلاف ٢١٣	٢٤٦	أصفو بلا كدر
آباؤنا التلف ٨٥	٢٤٧	لقد كشف الفقر
ق	٢٥٨	كذب عليه البصر
وزن الكلام المنطق ١٦٨	١١٨	هي الدار الغير
إذا المرء أحرق ١٨٩	١٨٨	أسيرك ان ظهر
إذا جمعت احرق ٢٢٣	٢٨٤	قهرنا عبر
وإذا عجزت وفاق ٢٦١	ز	
وفي الحلم مخرقا ٢١٢	١٦٦	إذا كنت أعجز
إذا عرف صادق ١٨٣	س	
ان الذي موثق ١٥٦	١٤٥	من يفعل الناس
الا قاتل الخلائق ٢٣٥	٢٧٩	ان خانك العيس
لا تحقرن رامقه ٨٥	٢٧٩	وتمنيت المفا ليس

١٥١	المال ينفذ آثامه	ل	
١٦٧	وفي الصمت يتكلما	٢٣٣	وما زرتكم الرجل
٨٤	ان المعلم يكرما	٢٤٠	لا تعجد بخل
٧٨	اذا لم ماتعلما	٢٨٢	نسير مراحل
٥٧	صلى الصائم	٢١٤	أرى الحلم فاعله
٩٨	وعامل الظلم	٢٦٧	اصبر قاتله
٢٢٢	رأيت للسقم	٢٣٧	ياخير المبدولا
٢٢٩	اذا ساء توهم	٢٦٨	ولم أجد تفضيلا
١٠٣	ومن منح ظلم	٩٢	من رام اقبالا
٢٢١	اذا تم تم	٣٨	اذا طال عقلا
	ن	٧٣	لا فراغا بالامال
٤٩	ان الهوى هوان	٧٧	ذريني السهل
١٢٤	جرى قلم السكون	١١٣	انما الزعفران الرجال
١٤٥	بني ان لين	١٣٦	ما أحسن الرجل
١٤٦	اذا هبت سكون	٢١٨	صبر المحتال
٢٢٨	اذا كنت وأمين	٢٤٢	اعمل الخير بكلكه
٢٨٥	قد تتبعت أمان	م	
٣٩	رأيت العقل السنين	٨٦	وان عناء اعلم
٩٣	يامن تلبس المساكين	٦٨	يا أيها الرجل التعليم
١٤٣	ان النساء الرياحين	١١٩	نهارك لازم
١٤٤	ان النساء الشياطين	١٢٦	لا يسلم الدم
٢٤٣	ولو كان مكان	١٢٩/١٢٦	والظلم لا يظلم
٢٨٣	أنت نعم للانسان	٢١٣	والكف يشتم

٧٣	نروح	لاتنقضي	٨٦	اعلمه	رمانى
٩١	وازنت	لاتفي	٥		
١١٤	رجل مات وخلص	أبيه	٦٨	ما حوى	سنه
١٢٤	قنع النفس	يكفيها	٢٠٣	عجبت	مذره
١٥٤	ان بين	لقدرى	٢٨٢	الليل يعمل	فيهما
٢٣٦	من كان	سنيا	١٧٣	وسمعك	النطق به
٢٥٠	فسرى	نهارى	٥		
٢٥٦	ليس الغبي	المتغابي	٤٥	لكل داء	يداويها
			٥٠	ولست	راضيا

٦- فهرس الكتب ومصادر التحقيق

- البيان والتبيين : لعمر بن بحر الجاحظ (ت/ ٢٥٥ هـ) ط مصر / ١٣٦٨ هـ .
 بهجة المجالس : لابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة ٢٦٣ هـ ط الدار
 المصرية .
 الجامع الصغير : للسبوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ طبع عبد الحميد أحمد
 حنفي / مصر .
 خمس رسائل: ويحتوي على منتخبات عدة كتب ومنها: الايجاز والاعجاز
 لابي منصور الثعالبي ، وأحسن المحاسن لابي الحسن الرخجي/ طبع هذا
 الكتاب في مطبعة الجوائب في الاستانة سنة ١٣٠١ هـ .
 الدرة اليتيمة: لعبد الله بن المفقّح المتوفى نحو ١٤٣ هـ طبع دار النجاح-
 بيروت ١٩٧٤ م .
 سفينة البحار: (فهرس « بحار الانوار » للعلامة المجلسي) وضعه الشيخ
 عباس القمي/ طبع ايران .
 عيون الاخبار: لابن قتيبة الدينوري المتوفى / ٢٧٦ هـ طبع مصر / ١٩٦٣ م .
 الغرر والدرر : للامدي في ستة أجزاء طبع جامعة طهران سنة ١٣٦٠ هـ .
 المستطرف : لمحمد بن أحمد الابشيهي المحلي المتوفى سنة ٨٥٠ هـ طبع
 دار احياء التراث العربي- بيروت سنة ١٣٧١ هـ .
 المحاسن والمساوى: : للشيخ ابراهيم البيهقي من علماء القرن الثالث
 الهجري طبع دار صادر سنة ١٣٩٠ هـ .
 المخلاة : لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ابن المؤلف) المتوفى
 سنة ١٠٠٣ هـ طبع الميمنية بمصر سنة ١٣١٧ هـ .
 نهج البلاغة : من كلام الامام علي عليه السلام جمع الشريف الرضي طبع مصر .

فهرس المحتويات

٣	الاهداء
٥	المؤاف والكتاب
٢٢	مقدمة المحقق
٣٣	مقدمة المؤلف
٣٦	الباب الاول: باب العقل
٤٠	الفصل الاول: في الدهاء والمكر
٤٢	الفصل الثانى: العقل أشرف المخلوقات
٤٥	الفصل الثالث: في الحمق
٤٧	الفصل الرابع: ما يصادّ العقل
٥٠	الفصل الخامس: قديخفى الهوى مكره
٥٢	الفصل السادس: تقوى الله تعالى
٥٣	الفصل السابع: طاعة الله
٥٦	الفصل الثامن: في الرياء
٦١	الفصل التاسع: محاسبة النفس

٦٤	الباب الثاني : باب العلم
٦٤	الفصل الاول: العلم أشرف ما رغب فيه
٦٧	الفصل الثاني : لا يجهل فضل العلم الا أهل الجهل
٦٨	الفصل الثالث: العلوم كلها شريفة
٧٠	الفصل الرابع: في موانع الطلب
٧٤	الفصل الخامس: وثوق الطالب بالله
٧٥	الفصل السادس: ترتيب العلوم
٧٧	الفصل السابع: في النسيان
٧٩	الفصل الثامن: استئقال الطالب
٨١	الفصل التاسع: أحوال النفس
٨٣	الفصل العاشر: شروط كمال الراغب
٨٤	الفصل الحادي عشر: آداب المتعلمين
٨٧	الفصل الثاني عشر: في التقليد
٨٩	الفصل الثالث عشر: من يأخذ عنه الطالب
٩١	الفصل الرابع عشر: آداب العلماء
٩٢	الفصل الخامس عشر: علة اعجاب العلماء
٩٣	الفصل السادس عشر: علة اخرى للتكبر
٩٤	الفصل السابع عشر: الفتيا بغير علم
٩٥	الفصل الثامن عشر: كثرة العلم وقلته
٩٧	الفصل التاسع عشر: العمل بالعلم
١٠٠	الفصل المتمم للعشرين : بذل العلم والبخل به
١٠٢	الفصل الواحد والعشرون: المتعلم ضربان

١٠٤	الفصل الثاني والعشرون: فراسة العالم
١٠٥	خاتمة الباب الثاني: الطالب للعلم - من السلاطين -
١٠٧	الباب الثالث: الكتابة
١١٢	الفصل الاول: عوارض الخط
١١٤	الباب الرابع: الالغاز والرموز
١١٦	الفصل الاول: في الرمز
١١٧	الباب الخامس: الدنيا
١٢١	الفصل الاول: الزهد
١٢٣	الفصل الثاني: القناعة
١٢٥	الفصل الثالث: رياضة النفس
١٢٦	الفصل الرابع: من حكمة الله أنه خلق الناس محتاجين
١٢٨	الفصل الخامس: ما ينتظم به أمر الدنيا
١٣٣	فصل: أنواع العدل
١٣٨	الفصل السادس: ما يصلح به حال الانسان
١٣٨	فصل: النفس المطيعة
١٣٩	فصل: الالفه الجامعة
١٤٧	فصل: المادة الكافية
١٥٠	الفصل السابع: حال الانسان في المكسب
١٥٧	الفصل الثامن: حب المال والحرص والشح
١٥٩	الباب السادس: في أدب النفس
١٦١	الفصل الاول: التأديب
١٦٥	الباب السابع: الكلام والصمت

١٦٧	الفصل الاول: شروط الكلام
١٧١	الفصل الثاني: آداب الكلام
١٧٤	الفصل الثالث: ضرب الامثال
١٧٥	الفصل الرابع: محاسن الاجوبة
١٨٠	الباب الثامن: الصدق والكذب
١٨٤	الفصل الاول: الكذب المرخص به
١٨٥	الفصل الثاني: الصدق الذي يقوم مقام الكذب
١٨٨	الباب التاسع: كتمان السر
١٩٠	الفصل الاول: أمين السر
١٩٢	الباب العاشر: الاستشارة
١٩٤	الفصل الاول: صفات المستشار
١٩٧	الفصل الثاني: الاكثار من المشاورة
١٩٧	الفصل الثالث: اذا اختلف المشيرون
١٩٩	الفصل الرابع: على المستشار النصيح
٢٠٢	الباب الحادي عشر: الكبر والعجب
٢٠٤	الفصل الاول: العجب
٢٠٥	الفصل الثاني: أحق الناس بمجانبة الكبر
٢٠٦	الفصل الثالث: أسباب الكبر
٢٠٨	الفصل الرابع: الوصول الى المناصب قديحدث الكبر
٢١٠	الباب الثاني عشر: الحلم والغضب
٢١١	الفصل الاول: أسباب الحلم
٢٥١	الفصل الثاني: الغضب

٢١٨	الباب الثالث عشر: الصبر والجزع
٢١٩	الفصل الاول: أنواع الصبر
٢٢٢	الفصل الثاني: أسباب تسهيل المصائب
٢٢٥	الباب الرابع عشر: السخاء والشح
٢٢٨	الفصل الاول: الشح وعيوبه
٢٣٠	الفصل الثاني: السرف والتبذير
٢٣٢	الفصل الثالث: أسباب البذل
٢٣٥	الفصل الرابع: شروط السائل
٢٣٧	الفصل الخامس: ما يجب على المستول
٢٣٨	الفصل السادس: أحوال السائل والمستول
٢٤١	الفصل السابع: شروط المعروف
٢٤٣	الفصل الثامن: من أسدي اليه المعروف فعليه أن ينشره
٢٤٥	الباب الخامس عشر: حسن الخلق
٢٤٧	الفصل الاول: ما يؤدي الى الخشونة والعبوس
٢٤٨	الباب السادس عشر: الحياء
٢٤٩	الفصل الاول: أقسام الحياء
٢٥١	الباب السابع عشر: المصاحبة والاصدقاء
٢٥٥	الفصل الاول: حسن المداراة
٢٥٧	الفصل الثاني: العفو
٢٥٩	الفصل الثالث: تألف الاعداء
٢٦١	الفصل الرابع: الحذر من الاعداء
٢٦٢	الباب الثامن عشر: المزاح والضحك

٢٦٥	الفصل الاول: الضحك
٢٦٦	الباب التاسع عشر: الحسد والمنافسة
٢٦٨	الفصل الاول: كيفية التخلص من الحسد وذكر مضار الحسد
٢٧٠	الباب المتمم للعشرين: الطيرة والغال
٢٧٣	الفصل الاول: الغال
٢٧٤	الباب الحادي والعشرون: الامل والتسويق والرجاء والمنى
٢٧٦	الفصل الاول: التسويق
٢٧٨	الفصل الثاني: الرجاء
٢٧٩	الفصل الثالث: المنى
٢٨٠	الباب الثاني والعشرون: الموت
٢٨٤	الفصل الاول: القبر
٢٨٦	استدراك
٢٨٧	الفهارس / ١ - فهرس الايات
٢٩٢	٢ - فهرس الاحاديث
٣٠٤	٣ - فهرس المصطلحات
٣٠٩	٤ - فهرس القوافي
٣١٣	٥ - فهرس الكتب ومراجع التحقيق
٣١٤	٦ - فهرس المحتويات

